www.ibtesama.com/vb
١٠٠٠ كتاب
** معرفتي **

الحياة اليومية في مصر القديمة

مجلة الابتسامة

تأليف
ألن شوزتر

ترجمه
دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم

راجعه
محرم كمال

باشراف ادارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

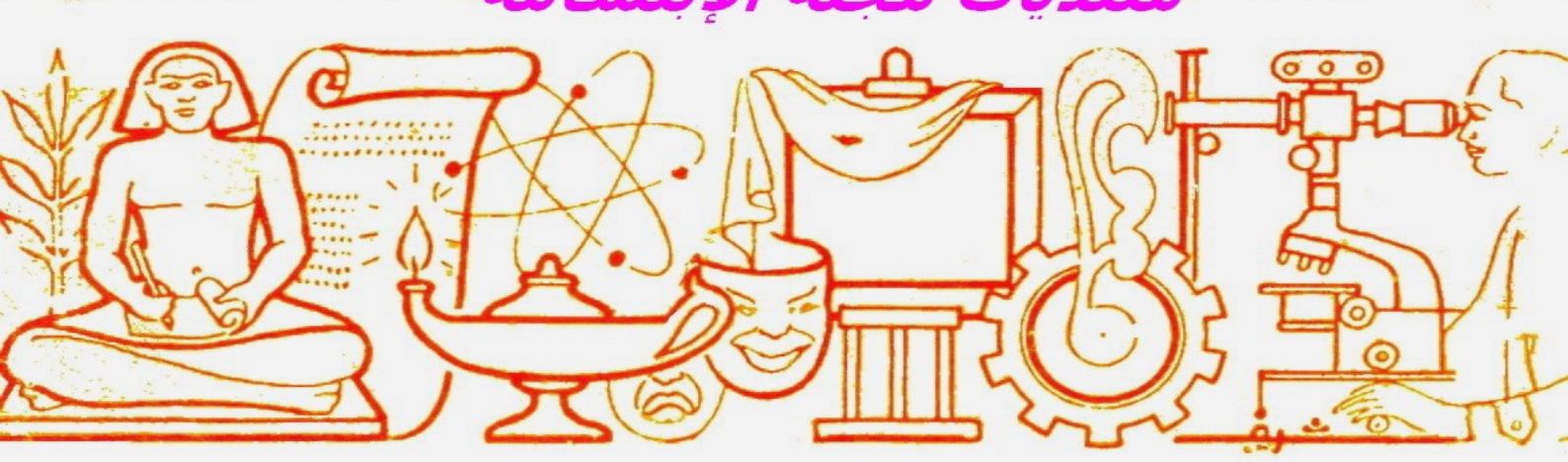

نشرته مكتبة النهضة المصرية

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الألف كتاب

الحياة اليومية في مصر القديمة

(٤٩)

** مكتبة ** www.ibtesama.com/vb منتديات مجلة الابتسامة

إشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الألف كتاب (٤٩)

الحياة اليومية في مصر القديمة

تأليف

الن و. شورتر

الأمين المساعد بقسم الآثار المصرية والأشورية بالمتحف البريطاني
ومؤلف « مقدمة للدين المصرى »

ترجمه
الدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم
استاذ التاريخ القديم
بجامعة الاسكندرية

راجعه
محرم كمال
الأمين الأول
بالمتحف المصرى

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

www.ibtesama.com/vb

هذه ترجمة كتاب :

EVERYDAY LIFE IN ANCIENT EGYPT

BY

ALAN W. SHORTER

www.ibtesama.com/vb

لوحة المقـــدمة

« ... حين أكون بين الملوك العدول القائمين أمام آمون رع ، ملك الآلهة
وأمام أوزيريس ، سيد الأبدية ! »

www.ibtesama.com/vb

مقدمة

هذا الكتاب محاولة لتقديم صورة مبسطة واضحة بقدر الإمكان عن الحياة فى مصر القديمة فى أوج مدنيتها... ولكى تكون سلسلة ما أقدمه دائمة الاتصال جعلتها تتخذ شكل القصة بمعنى أننى اخترت عدداً من الشخصيات الحقيقية أو الخيالية ونسجت حولها قصصاً تتآلف مع ما لدينا من معلومات توصل إليها البحث الأثرى . وما دام الأمر كذلك فلعله من الخير أن نبين فى جلاء — لمنع أى لبس — الطريقه التى تم بها هذا العمل .

إن المناظر التى يتناولها هذا الكتاب ترجع إلى عهد الدولة الحديثة (ما لم تكن هناك إشارة إلى فترة أخرى) وتمتد خلال الفترة الواقعة بين عام ١٤٥٠ ق.م أى أواسط الأسرة الثامنة عشرة وبين عام ١١٠٠ ق.م نهاية الأسرة العشرين . وهى فترة خلفت لنا تراثا أكثر وضوحا لإعادة بنائه من أية فترة أخرى . ومن الواضح أنه من خطل الرأى القول بأن الظروف الاجتماعية والسياسية طوال تلك الأعوام لم تتغير وعلى ذلك فان هذه الفترة وحدة تستطيع أن تزودنا بمادة نكوّن منها صورة عن الحياة المصرية ، ويجب على القارىء لهذا الكتاب أن يتذكر أنه لايقرأ

www.ibtesama.com/vb

حوليات أحداث حقيقية رغم أن كثيراً من الحوادث المختلفة المعروفة تمت فى فترات معينة خلال هذه الحقبة وهى تلائم أهدافنا فالمؤامرة المشهورة مثلا التى قامت ضد (رعمسس) الثالث والمسجلة فى بردية تورين القضائية ومستند آخر كانت مصدر وحى للمؤامرة ضد فرعون المذكورة فى الفصل الأول.. كما أن الفصل السابع توسع خيالى للأحداث المذكورة فى بردية أمهرست التى نشرها وترجمها الأستاذ بيت فى كتابه « السرقات الكبرى لقبور الأسرة العشرين المصرية » .

وإننى لأدرك تماما أننى قد عرضت نفسى لتهمة التبسيط غير العلمى باتخاذى هذه الطريقة من الكتابة ولكن شيئا من إمعان النظر فى الأمر يكشف عن أن الخيال أمر مشروع تماما حين تكون المادة التى أمامنا مبعثرة وهو أمر واضح بالنسبة لحضارة قديمة .

وهذه القصص المركبة مقصورة على الفصل الأول ومعظم الفصل الثانى وبعض صفحات قليلة من الفصل الثالث والنصف الأول من الفصل الرابع ثم الفصلين الخامس والسابع . أما ماعدا ذلك فعرض للمسائل كما كشف عنها العلم الأثرى . وقد أضيفت إلى ذلك مقالة قصيرة هى الفصل التاسع عن بعض مظاهر فرعون ومملكته .

www.ibtesama.com/vb

أما اللوحات فقد اختيرت بعناية لتكمل النص المكتوب من صور لأدوات مادية ترتبط بالحياة اليومية للمصريين ومن بينها عدد ضخم محفوظ فى المتحف البريطانى حيث يمكن مشاهدتها مع غيرها . أما لوحة المقدمة ولوحتا ٢٠ و ٣٠ فقد رسمها خصيصاً لهذا الكتاب صديقى برنارد توماينز الذى بذل جهداً مشكوراً لاستخدام المادة التى تحت يديه .

وإننى أقدم أخيراً خالص شكرى للاستاذ أدولف أرمان والدكتور بلاكمان لسماحهما لى بنقل عدد من النصوص المصرية التى يحويها كتاب « آداب المصريين القدماء » وكذلك إلى السادة مشيون وللدكتور الن جاردنر والدكتور بلاكمان ومستر جن للإذن لى فى النقل من تراجمهم . وللأستاذ بيت ومفوضى مطبعة كلارندون للسماح لى باستخدام المادة العلمية من كتابه « السرقات الكبرى لقبور الأسرة العشرين المصرية » وإلى أمناء المتحف البريطانى وأمين قسم الآثار المصرية والأشورية ومدير متحف العلوم وإلى جمعية الكشف المصرى للسماح لى بنشر صور فوتوغرافية ولوحات. ولزوجتى ومستر سدنى سميث ومستر جاد ومستر جلانفيل لمعونتهم الكبيرة فى قراءة الأصول ومساعدتى عن طريق النقد والمقترحات أما الفهرس فقد أعده مستر هيوز .

لندن . سبتمبر ١٩٣٢

www.ibtesama.com/vb

الحياة اليومية فى مصر القديمة

مقدمة

لمحة عن تاريخ مصر

خلف لنا السكان الأوائل الذين سكنوا مصر فى العصر الحجرى القديم (الباليوليتى) — حين كانت البلاد مستنقعات — أسلحة الظران والأدوات التى استعملوها مبعثرة فوق الصحراء العالية وليس هناك بعد هذا شىء يحدثنا عنهم . وحين تطالعنا أول لمحة للسكان البدائيين فى مصر نرى البلاد اتخذت المظاهر التى تتخذها اليوم . كان سكان مصر فى عصر ما قبل التاريخ من المجموعة الحامية التى يرجع إليها كذلك النوبيون فى هاتيك العصور وهم يختلفون اختلافا بيناً عن الزنوج إذ ذاك الذين لم يتخطوا شمالا خط الاستواء . وكان شعرهم أسود قصيراً مجعداً وأنوفهم مدببة وعيونهم لوزية الشكل ولحاهم مدببة وأما سحنهم فكانت متباينة كما هى اليوم ، فهى سمراء تميل إلى الحمرة القاتمة فى الجنوب وهى صفراء تميل إلى الحمرة فى الشمال .

وإلى الغرب كان يوجد الليبيون وهم شعب فاتح البشرة . وأما

www.ibtesama.com/vb

إلى الشرق فعدد من قبائل الصحراء وأما إلى شمال وشرق مصر فكان ساميو فلسطين وبلاد العرب . ويظهر أن المصريين اعتقدوا فى عصور متأخرة أنهم أتوا أصلا من بونت وهى الأقليم الأفريقى الذى كان على اتصال تجارى بمصر طوال تاريخها والذى ربما يقابل بلاد الصومال اليوم . وهناك وجه شبه كبير بين أهل بونت كما يظهرون على الآثار المصرية وبين المصريين أنفسهم ومن المحتمل كثيراً أن مصرى ما قبل الأسرات وجدوا طريقهم من الجنوب مارين بشاطىء البحر الأحمر وداخلين إلى مصر عن طريق وادى الحمامات ومن هناك انتشروا كذلك جنوبا فى النوبة .

ولقد خلف لنا الأقوام الذين عاشوا فيما قبل الأسرات — أى الفترة السابقة للأسرة الأولى من الملوك المصريين والتى ترجع إلى حوالى ٣٣٠٠ ق . م — بقايا كثيرة من حضارتهم نستطيع أن نكون من وراثها فكرة طيبة عن صورتها . ذلك أن أقدم الحضارات وهى المعروفة بالحضارة التاسية والحضارة البدارية اللتين اكتشفتا منذ سنوات قليلة كان لها طراز غريب من الفخار خدش سطحه الخارجى بأمشاط قبل حرقه . وبالمتحف البريطانى مجموعة طيبة من الأدوات التى عثر عليها فى قبور أقدم المصريين وتحوى عقودا من الأصداف وأشكالا وصورا غريبة وحلياً من العاج وأشياء أخرى . وكان المصريون قد تعلموا أول

www.ibtesama.com/vb

مبادىء الحرف والصناعات التى مهروا فيها فيما بعد واستطاعوا أن يغطوا حبات من الستياتيت بتزجيج أخضر أو يحفروا قطعة العاج ويحولوها إلى أناء زينة غريب على شكل فرس البحر .

وإننا لنعرف الكثير عن الجزء الأخير من عصر ماقبل الأسرات الذى استطاعت الحفائر الحديثة أن تكشف عن بقايا متعددة منه . وقد كان المصريون فى ذلك العصر يسكنون فى أكواخ مبنية من سعف النخيل والطمى ويعيشون على الزراعة والصيد . وحين يموتون كانوا يدفنون فى قبور قليلة الغور تحفر فى رمال الصحراء ويوضع الجسم مقرفصاً بحيث تلامس الركبتان الذقن أو تكادان وكان الميت يلف فى جلد أو حصير . وكانت توضع حوله الأدوات والأشياء التى كان يستعملها خلال حياته والتى قد يحتاج إليها فى الحياة الأخرى وهى أوانى للطبخ وخزن الطعام وأسلحة من الظران ولوحات حجرية لصحن الصبغة الخضراء التى تزين العين . وهناك جثة لواحد من هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى عصر ماقبل الأسرات معروضة فى المتحف البريطانى ويمكن مشاهدتها وقد جففتها رمال الصحراء حتى لم تبق منها سوى اللحم والجلد والشعر .

أما فيما يتصل بالتاريخ السياسى لمصر فى عصر ماقبل الأسرات فان معلوماتنا عنه غير مؤكدة رغم أن علماء الدراسات المصرية حاولوا إقامة هيكل لها . ومع ذلك فاننا نستطيع أن نصور التركز

www.ibtesama.com/vb

التدريجى للسلطة فى مختلف الجهات وتجمع المدن المتعددة تحت لواء قائد هام ثم اتحاد بين الرؤساء وهزيمة الحكام الضعفاء وتسلط الأقوياء عليهم ... ومهما يكن سير الأحداث فإن النتيجة تظهر حوالى عام ٣٣٠٠ ق . م حين نرى مصر مكونة من مملكتين منفصلتين الواحدة فى الشمال والأخرى فى الجنوب وكانت عاصمة المملكة الجنوبية هى المدينة التى عرفها اليونان تحت اسم هيراكونبوليس المعروفة اليوم باسم الكاب ولقد أعلن ملوك هيراكونبوليس الحرب ضد منافسيهم فى الشمال حتى استطاع أحدهم المدعو مينا (نعرمر كذلك) أن يتغلب على القوة الشمالية تماماً وأن يجعل من نفسه حاكما على مصر المتحدة .

ويحدثنا القصص الذى انحدر إلينا أن مينا (أو مينس كما يسميه اليونان) أسس مدينة منف وجعل منها عاصمة له . ونحن نعرف أنه كان يعتبر فى العصور التالية رأساً للأسرة الأولى من الملوك . ومنذ ذلك الوقت نرى أنه رغم أن الفراعنة كانوا يبسطون سلطانهم على دولة غير منقسمة فإن فكرة ازدواج المملكة ظل محتفظاً بها حتى نهاية التاريخ المصرى . فالإدارة كلها كان يفترض فيها الازدواج وكان هناك القصر المزدوج ومخزن الحبوب المزدوج .. الخ وكان يرمز إلى ازدواج الملكية المصرية فى كل العصور بالتاج المزدوج لفرعون وهو المكون من التاجين

www.ibtesama.com/vb

الأبيض والأحمر اللذين كان يلبسهما حكام المملكة الجنوبية والشمالية على التوالى .

على هذه الصورة بدأت الفترة الأولى العظمى للحضارة المصرية وهى الفترة التى يطلق عليها الدارسون اسم « العصر العتيق » وهو العصر الذى استمر حتى نهاية الأسرة الثالثة حوالى ٢٩٠٠ ق . م ، أما الفترة التالية التى تبدأ بالأسرة الرابعة وتستمر حتى سقوط الأسرة السادسة حوالى ٢٤٠٠ ق . م فتعرف بـ « الدولة القديمة » وهذا العصر هو عصر نمو مصر وهو العصر الذى نشهد فيه انتعاشاً وفتوة لا تتحققان لها بعد ذلك . . . كان لفرعون سلطة وسيادة مطلقة وكان يحكم مصر من قصره يحيط به النبلاء العظام الذين يقربهم منه ويلتفون من حوله فى حياته وبعد موته ذلك لأن مقابرهم كانت تلتف حول هرمه . وكان يحكم الأقاليم المقسمة إليها مصر حكام محليون أو مفوضون يشغلون مناصبهم طبقاً لرغبة الملك . وبمرور الزمن نرى السلطان الملكى يضعف كما نجد كبار النبلاء ينصرفون عن البلاط ويبدأون فى حكم أقاليمهم بأنفسهم ثم يدفنون فى النواحى التى يباشرون فيها سلطانهم بدلا من أن تبنى مقابرهم حول مقبرة الملك وكان من أثر ذلك أن وجد فرعون نفسه يعتمد على سند نبلائه كما نرى سير الأمور فى البلاد يشبه ما كان يحدث فى أوربا خلال عصر الإقطاع . . .

www.ibtesama.com/vb

وطالما كانت للملك قوته فإن الأمور كانت تأخذ مجراها الطبيعى أما أولى علامات الضعف فى السلطة المركزية فكانت تعنى ثورة من الحكام الأقوياء تعقبها الفوضى .

وكان النظام الإدارى فى البلاد يتركز حول قصر الملك وكان الملك محور الحضارة المصرية وإنا لنرى فى العصور التالية أن الملك يعرف تحت اسم « برعا » أى البيت الكبير أو القصر وهكذا أصبحت « برعا » فى العبرية فرعون ونستطيع فى هذه الناحية أن نعقد مقارنة بين هذا الأمر وما كان يطلق على سلاطين الأتراك العثمانيين من لقب « الباب العالى » .

ولعل أروع أثر خلفته الدولة القديمة هو الأهرام ومقابر الجيزة عند القاهرة بالقرب من مكان العاصمة القديمة منف . فعلى هذه الهضبة الصخرية بنى الملوك هذه الآثار الخالدة من الحجر وهى التى أثارت إعجاب السياح والتى كانت تعد خلال العصور اليونانية والرومانية ضمن عجائب العالم السبع . وأعجبها جميعاً هو الهرم الأكبر الذى بناه خوفو والذى يرتفع إلى ٤٥١ قدماً فوق الصحراء ويشغل مساحة ١٢ فداناً . أما هرم خفرع الذى خلف خوفو بعد حكم واحد متداخل فهو كذلك ذو حجم ضخم على حين بنى هرم منكاورع الذى خلف خفرع على مساحة أصغر . وقد بنيت هذه الأهرام لتكون مقابر يحفظ فيها جسد فرعون إلى الأبد

www.ibtesama.com/vb

سليما وقد بنيت فى واجهاتها الشرقية معابد جنزية تقوم هيئة كهنتها الدائمة بإحياء الطقوس التى يقدم فيها الطعام والشراب لحفظ كيان الملك الميت .

وقد خصصت المساحة القائمة حول الأهرام لمقابر رجال البلاط الذين تابعوا بهذه الصورة خدمة مولاهم فى العالم الآخر . وقد بنيت هذه المقابر على شكل مصاطب مرتبة فى صفوف وتتخللها طرقات حتى ليرى الزائر نفسه يسير فى مدينة حقيقية للموتى . ويمكن اعتبار الهرم وما يحيط به من مقابر كرمز مادى متماسك لهذه الفترة الأولى العظمى من الحضارة المصرية فى فرعون العالى فوق مستوى البشر يقوم على خدمته نبلاؤه . . . ومن هذه وغيرها من المصاطب استطعنا أن نحصل على التماثيل الرائعة التى تحفل بها المتاحف والتى توحى وجوهها بقوة واتزان مقترنين بوقار ملحوظ ولعل تمثال ننخفتكا بالمتحف البريطانى أحد هذه الأمثلة البديعة .

وهكذا نجد أن الدولة القديمة كانت فترة تقدم ونمو . . . أما فى الداخل فقد استمتعت البلاد بحكومة وطيدة الدعائم قادرة على تسيير دفة الأمور وأما فى الخارج فإن علاقة مصر بجيرانها لم يهمل أمرها فقد أرسلت البعوث الدائمة إلى أرض بونت فشقت طريقها فى اليابسة عبر وادى الحمامات إلى الشاطئ ثم اتخذت بعد ذلك طريق البحر الأحمر . كما وجهت الحملات إلى سينا (من أجل

www.ibtesama.com/vb

مناجم الفيروز) وإلى فلسطين . ومنذ الأسرة الثالثة كان الخشب الذى يستعمل فى بناء السفن يستورد من سوريا وقرب نهاية الدولة القديمة نرى السفن تعبر البحر إلى بيلوس (جبيل) على الشاطئ السورى .

ومع ذلك فإن النهاية كانت قريبة . . . فى خلال الأسرة السادسة امتد الوهن إلى السلطة الملكية وأصبح الملك غير قادر على مباشرة سلطانه على نبلائه الذين كانوا قد استقروا عندئذ فى أقاليمهم كأصحاب إقطاعات . . . وانتهت الأسرة السادسة فى فوضى وارتباك ويظهر أن مصر استطاع أن يغزوها خلالها أسيويون من الشمال .

وبعد حوالى مائة عام — بعد صراع وحشى مع حكام هراقليوبوليس وهى مدينة فى مصر الوسطى - نرى أن عرش مصر يسترده بيت أمراء أرمنت الواقعة قرب طيبة كما نرى الأسرة الحادية عشرة تؤسس . . . وبهذا البيت الملك الجديد تظهر الفترة الثانية العظمى للحضارة المصرية وهى التى يطلق عليها علماء الدراسات المصرية اسم « الدولة الوسطى » وقد وصلت إلى القمة فى عهد فراعنة الأسرة الثانية عشرة . وقد ظلت سلطة أمراء الإقطاع تهدد العرش بيد أن اليد الحديدية لملوك الأسرة الثانية عشرة اضعفتها باستمرار إلى أن قضى عليها نهائياً سنوسرت الثالث فيما يبدو

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٣٦) وقد اشتهر هذا الحاكم الأخير بروحه الحربية النزاعة إلى العنف والتى استطاع بفضلها أن يقضى على ثورة القبائل الزنجية فى السودان وأن يوجه كذلك حملة ضد فلسطين . وقد خلفه أمنمحات الثالث (لوحة ٣٧) وقد وصلت الدولة الوسطى فى عهده إلى ذروة مجدها وكان أهم أعماله تنظيم بحيرة موريس فى الفيوم . وقد استطاع بفضل القناطر أن يسيطر على فيضان المياه إلى النيل كما استطاع بواسطة إقامة سد أن يستنقذ رقعة من الأرض للزراعة . وبموت امنمحات الثالث بدأ الانهيار الذى انتهى كذلك بفوضى حتى لنرى مصر الشمالية تسقط مرة أخرى حوالى عام ١٧٠٠ ق . م فريسة غزو ضخم لشعوب من الشمال هم الهكسوس أو ملوك الرعاة .

وقد نجح هؤلاء الغزاة الأجانب فى الاستيلاء على مصر الشمالية مدى مائة عام على الأقل استطاعوا أحياناً خلالها أن يبسطوا سلطانهم على الحكام الوطنيين فى الجنوب عند طيبة . ومع ذلك فإن الخلاص جاء أخيراً من طيبة فأشهرت الحرب ضد الهكسوس بواسطة ثلاثة ملوك متعاقبين يحملون اسم سقنن رع حتى تم طردهم ومطاردتهم إلى فلسطين على يد أحمس بن سقنن رع الثالث مؤسس الأسرة الثامنة عشرة أزهى عصور تاريخ مصر القديمة (١٥٨٠ — ١٣٢١ ق . م) .

www.ibtesama.com/vb

وكان الهكسوس قد احضروا معهم عند غزوهم للبلاد الحصان والعربة ولم يكونا قد عرفا إذ ذاك فى مصر . وكان من أثر أداة الحرب هذه بالإضافة إلى الروح الحربية الجديدة التى اكتسبها المصريون منذ أجيال نتيجة صراعهم ضد المغتصب الأجنبى أن استيقظت روح جديدة لدى المصريين . فمنذ هذه اللحظة نراهم يمدون أبصارهم نحو الخارج واستطاعوا عن طريق سلسلة من الملوك الممتلئين حماساً أن يكونوا امبراطورية عالمية . وقد أتم هذا الأمر تحوتمس الثالث الرائع الذى أخضع فلسطين وسوريا فى خلال حملات استمرت ستة عشر عاماً متتالية ومد سلطانه جنوباً إلى ما وراء الجندل الثالث فى النوبة وأصبحت النوبة وفلسطين وسوريا معروفة كمستعمرات وبدأت الجزى تفيض فى كميات ضخمة إلى مصر حتى اعترف بقوتها الملوك المجاورون لبابل وآشور وميتانى . وحين كان يخلف الفرعون فرعون آخر كنا نرى قيمة مصر تزداد وسلطانها يوطد . حتى ارتفعت طيبة مقر البيت المالك إلى مرتبة العاصمة للعالم القديم وحتى شغلت معابد إلهها آمون رع — الذى يمنح السلطة والنصر للفرعون ابنه — مساحة ضخمة . وقد حكم امنحتب الثالث — الذى بلغت الأسرة الثامنة عشرة فى عهده ذروتها — مصر كحاكم دولى فالتمس التقرب

www.ibtesama.com/vb

إليه ملوك البلاد الأجنبية ولم يتردد من جانبه فى التزوج من أميرات أجنبيات بقصد تحقيق أهداف سياسية . أما ابنه امنحتب الرابع فكان مصلحاً دينياً انصرف إلى إحياء عبادة إله الشمس القديم والقضاء على الإله آمون الذى كان قد اغتصب مكانه . وفى الوقت الذى كان الأمر يستدعى عناية مرهفة للاحتفاظ بكيان الامبراطورية الآسيوية نرى امنحتب الرابع يغير اسمه إلى أخناتون ويغلق معابد آمون وينقل عاصمته شمالا إلى مكان يعرف اليوم باسم تل العمارنه (لوحة ٣٤ شكل ١ و ٢) وقد بنى هناك مدينة لنفسه ولبلاطه وقضى أيامه فى الخدمة الدينية والأعياد الأخرى التى تتصل بالطبيعة المادية وذلك حين كانت الامبراطورية فى سوريا تقوضها معـــاول تقدم الحيثيين إلى الجنوب وغزوات القبائل من الشرق وثورة الأسر الحاكمة السورية نفسها . . . وحين مات أخناتون أخيراً بعد حكم دام نحو ١٨ عاماً نجد الامبراطورية الآسيوية قد تقلصت كثيراً .

وقد جاء فى أعقاب الملوك الذين حكموا مدداً قصيرة بعد أخناتون وهم سمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى — جاء رجل لم يكن من الدم الملكى إلا أن قوته استطاعت أن تعيد البلاد إلى وضعها الطبيعى وقضى هذا الحاكم — واسمه حرمحب — مدة حكمه الطويلة

www.ibtesama.com/vb

فى إنفاذ مشروعات إصلاحية فى مصر وهكذا استطاع أن يعبد الطريق أمام خلفائه ليستعيدوا مركزهم فى العالم .

وتنتسب الأسرة التاسعة عشرة إلى فترة الإمبراطورية الثانية لأنه قامت خلال حكم سيتى الأول ورعمسيس الثانى سلسلة من الحملات ضد فلسطين وسوريا أمكن عن طريقها استعادة النفوذ المصرى فى الإقليم السابق . ثم إن جذور الحيثيين كانت قد تشعبت فى سوريا بصورة يصعب معها اقتلاعها . وأكبر الأحداث المعروفة لهـــذه الحروب هى معركة قادش المشهورة على نهر الأورنت التى كادت القوات الحيثية تهزم فيها رمسيس الثانى بسبب قيادته الفاشلة ولكنه استطاع بفضل شجاعته الشخصية أن ينتقذ نفسه وينسحب . وبعد معارك استمرت عدة سنين عقدت معاهدة سلام بينه وبين الملك الحيثى . وبذا استطاع رمسيس أن يقضى بقية عمره فى أعمال إنشائية سلمية من بينها عمائره المشهورة إذ نرى فى كل أنحاء مصر معابد أقامها تشهد بعظمته (لوحة ٢١ شكل ١) كما نرى فى الجنوب البعيد فى النوبة عند أبو سمبل تماثيله الأربعة الضخمة التى يبلغ ارتفاع كل منها ٦٥ قدماً منحوتة فى الصخر الصلب تتطلع إلى اللانهاية . ويرى اسم رمسيس منقوشا على الآثار فى طول مصر وعرضها حتى أصبح معروفاً فى العالم الحديث أكثر من غيره من الفراعين ، على حين اختلط فى العصور

www.ibtesama.com/vb

القديمة بملوك الأسرة الثانية عشرة المعروفين تحت اسم سنوسرت وعرف فى القصص اليونانى كأنما هو سيزوستريس وقد مات بعد أن حكم ٦٧ عاماً .

وعند ما حكم مرنبتاح ابن رعمسيس وخلفه نرى قوة مصر فى الشرق القديم تبدأ فى الذبول وقد استدعى فى العام الخامس من حكمه ليصد هجوماً من القبائل الليبية فى الغرب التى اتحدت مع شعوب البحر الأبيض المتوسط . واستطاع الفرعون المصرى أن يسحق الغزاة ومع ذلك فإننا نجد مصر منذ ذلك الوقت تبذل قصارى جهدها لتستعيد امبراطوريتها ولتحافظ على نفسها . وبعد ثلاثين عاماً نرى الأمور تبلغ إبانها فى عهد رمسيس الثالث ثانى ملوك الأسرة العشرين حين بدأ الهجوم يتلو الهجوم ضد مصر عن طريق الليبيين وشعوب البحر ورغم ذلك فإن رمسيس الذى ربما كان جندياً أعظم من تحوتمس الثالث كان نداً لأعدائه فهزم الحلف فى غرب الدلتا وضرب جموع شعوب البحر الذين كانوا يتقدمون جنوباً من ناحية سوريا واستطاع أن يقضى على القوات الأخيرة براً وفى معركة بحرية هى أولى المعارك من نوعها التى سجلها التاريخ ولا تزال صورها حتى اليوم قائمة على حائط معبد رمسيس فى طيبة الغربية وكأنما عادت أمجاد الماضى وأضحت لمصر السيادة مرة أخرى .

www.ibtesama.com/vb

ولـكن هذا لم يكن ... ذلك لأن نفوذ كهانة آمون رع فى طيبة كان يتزايد فى إطراد مدى قرون طويلة . . وكان جانب كبير من الجزية الأجنبية المقدمة إلى مصر منذ تـكوين الإمبراطورية الأجنبية يـكرسه الملوك للإله آمون رع حتى أصبح كهنته أكثر الناس ثراء فى مصر وأقواهم نفوذاً فى البلاد كلها . وهكذا استطاع كبير كهنة آمون أن يصل إلى مركز من الخطورة بمكان وحتى أصبحت النهاية محتومة . . . وجاء بعد رمسيس الثالث ملوك ثمانية يحملون نفس الاسم وكل منهم أضعف من سلفه حتى لنرى فى نحو عام ١١٠٠ ق . م عند وفاة رعمسيس الحادى عشر أن حريحور كبير كهنة آمون رع « ملك الآلهة » يغتصب العرش وكانت الدلتا قد ثارت ووضعت على العرش فرعوناً منافساً ولم تعد هنـاك إمبراطورية أسيوية .. ولم تبق لمصر سوى النوبة .

وقد ظلت مصائر مصر مدى سنين عرضة للتشـكل والتنويع فمرت على التوالى تحت ثلاثة ألوان من الاحتلال الأجنبى : ليبى (الأسرة الثانية والعشرون) ونوبى (الأسرة الخامسة والعشرون) ثم الأشورى . . وجاء الحـكم الأخير بالخراب الشامل حتى أن طيبة « ذات المائة باب » نهبتها جيوش أشور بانيبال العاتية . . ومع ذلك فإن مرحلة من مراحل العظمة كانت تنتظر مصر ذلك أن أشور انغمست فى الصراع مع بابل وهو الصراع الذى انتهى

www.ibtesama.com/vb

بانهيارها فانسحبت حاميتها من مصر واستقل بسمتك وهو الأمير الوطنى لسايس فى الدلتا وأسس فى عام ٦٦٣ ق . م الأسرة السادسة والعشرين وهى الفترة المعروفة بـ « النهضة » .

وكان التفكير المصرى قد طرأ عليه بعض التغيير ذلك أن مصر أخذت تنظر إلى الماضى فالتفتت إلى أمجادها السابقة التى حاولت جاهدة أن تقلدها . ونظر المصريون فى عصر النهضة إلى الأيام التى كانت تسبق الإمبراطورية . . وأخذوا لهم مثالا يحاكونه هو مدنية الدولة القديمة . وكان فن الأسرة السادسة والعشرين يستهدف إنتاج فن يشبه فن تلك الفترة واستعيدت الألقاب القديمة كما استعيدت النصوص الدينية القديمة ونقشت مرة أخرى على المقابر والتوابيت .

ولكن مصر فى عصر الأسرة السادسة والعشرين كانت شيئاً جديداً حقاً تحت قناع الرجوع إلى القديم . فلقد تغير الشرق القديم وبدأ ركب الحضارة يتحرك من الشرق إلى الغرب . وبدأ يظهر فى الوجود العالم الإغريقى وتأسست المستعمرات الإغريقية فى كل مكان وكانت السفن اليونانية تنشر قلوعها فى البحر الأبيض المتوسط . وفتح فراعنة الأسرة السادسة والعشرين أبواب مصر للمستعمرين اليونان الذين استقروا فى أنحاء متفرقة من البلاد وكانت نقراطيس ودافنى أشهر مراكزهم وتكوّن الجيش المصرى

www.ibtesama.com/vb

من اليونان ومن الكاريين ومن السوريين ومن الليبيين ولم يتردد فرعون فى عقد أحلاف أجنبية بقصد الحرب أو التجارة . وهكذا قامت دولة عالمية تختلف كثيراً عن مصر فى العصور السالفة . . أقامها الحكام المستنيرون حتى وصلوا بها إلى درجة عالية من النجاح والتقدم . وحتى بدأ الفراعنة يفكرون مرة أخرى فى إمبراطورية فى آسيا ولكن أحلامهم من هذه الناحية لقيت مصيراً مؤسياً لأن الكارثة النهائية كانت نتيجة هزيمة الأمير البابلى نبوخذنصر للفرعون نيكاو فى معركة قرقميش عام ٦٠٥ق.م ومنذ ذلك الوقت ضاع الأمل فى استرجاع سوريا وفلسطين كما أن الجهود التى بذلها بسمتك الثانى ليعاود حكم النوبة السفلى باءت بالفشل .

كان الانتعاش القصير للمجد المصرى أمراً لم يقدر له الاستمرار ذلك لأن ظهور كيروش الفارسى الذى انتقل من نصر إلى نصر كان نذير فناء للدول المنهوكة القوى وسرعان ماترى خلفه قمبيز يضيف مصر إلى الإمبراطورية الفارسية فى عام ٥٢٥ ق . م ورغم أن الدين المصرى والعادات المصرية قدر لها أن تظل محتفظة بكيانها مدى قرون كثيرة تحت الحكم الفارسى والمقدونى ثم تحت الاحتلال الرومانى إلا أن تاريخ مصر القديمة كدولة مستقلة انتهى عند هذه المرحلة .

www.ibtesama.com/vb

الفصل الاول

فرعون الإله الطيب

كان جيش ضخم يأخذ مسراه عبر السهل الترابى على مدى النظر وكانت تتقدمه فرق العربات وقد غطت أصوات العجلات وحوافر الخيل على أصوات غناء المشاة الذين يخبون من ورائها كان فرعون عائداً من حملة موفقة فى سوريا كما عاد مرات من قبل وكان قلبه مزهوا بالنصر . وكان يقود عربته الفاخرة بنفسه وكانت العربة مغطاة بالذهب ومزينة بمناظر القتال وعلى رأس الملك تاج الحرب الأزرق بالصل الذهبى يبرز من مقدمه ملتمعا فى ضوء شمس الصباح . وكان يسير إلى جانب العربة أسده المدلل بمقوده المربوط إلى عربته وهو الأسد الذى صحبه دائما فى حملاته بل وخاض المعارك إلى جانبه .

وكان فرعون فى رحلة العودة يستعيد بذاكرته الصراع الذى خرج منه منتصراً كما كان يفكر فى أعياد النصر التى سيحتفل بها فى طيبة حين يضع الغنائم والاسلاب فى كومات أمام أبيه آمون رع ملك الآلهة وسيد الكرنك (لوحة ١ شكل ٢) ... ألم يسنده

www.ibtesama.com/vb

لوحة ١

(شكل ١) منتو ، إله هرمونتيس ، وهو إله الحرب

(شكل ٢) آمون رَع ، الإله الأعظم لطيبة

www.ibtesama.com/vb

لوحـة ٢ قاعة العرش فى قصر أخناتون بالعمارنة وترى فى الوسط المنصة التى كان يقوم عليها العرش

www.ibtesama.com/vb

آمون رع مدى خمسة أيام من قبل حين فصله العدو مع فرق حرسه عن بقية الجيش ؟ وكاد مدى لحظة يتصور أنه قد فقد كل شيء ولكن ابن آمون رع صرخ ملتمسا إلى ابيه الإلهى وسط الضوضاء وسرعان ما رأى يدى إلهه تمتد له .. وللتو استعاد الملك المصرى شجاعته وقاد عرباته بصرخة فى هجمة عنيفة على العدو حتى جعله يعدو مسرعا نحو النهر وصاح « أنا مونتو .. [1] أنا أفوق سهمى بيمناى واحارب بيسراى .. أنا فى حضرتهم مثل بعل فى ساعته أنا أشهد الالفين وخمسمائة عربة التى أقف فى وسطها تذهب بدداً أمام جيادى . »

وعند هذه اللحظة أوقفت تيار ذكرياته أصوات التهليل الصادرة من جيوشه حين لمحت على البعد قلعة الحدود عند ثل وهى بوابة مصر . وأخذ الجند يعدون واقى الضباط الكثير من العناء فى حفظ النظام حتى وصلوا إلى الأسوار الأولى . وكانت القلعة من قسمين على جانبي قناة تصل بين ما نعرفه اليوم ببحيرتى المنزلة والبلاح . وكانت الحملات البحرية إلى فلسطين وسوريا تبدأ عادة من ثل وتعود إلى نفس القاعدة لأنها كانت تتحكم فى أهم الطرق ولأنها لم تكن تبعد كثيراً عن الفرع البلوزى الذى يصب فى البحر مخترقا شرق الدلتا وكانت قد وضعت على هذ الفرع عشرات

---

١ — أنظر لوحة ١ شكل ١

www.ibtesama.com/vb

السفن الحربية على استعداد لاستقبال الجيش العائد الذى كان يستقلها بعد استراحة يوم فى ثل ليبدأ رحلته النيلية .

وكان يمر يوم بعد يوم ومدن الدلتا تبتعد الواحـــدة بعد الأخرى حتى يستدير النهر إلى الجنوب وتتجه الوجوه نحو مصر العليا حيث طيبة ذات المائة باب . هاهى ذى منف ذات الحائط الأبيض مدينة بتاح إله الفن وكانت يوما من الأيام عاصمة مصر وهى التى أسسها مينا أول ملوك الأسرة الأولى . وعلى الهضبة من الحجر الجيرى تنهض أهرام خوفو وخفرع ومنكاورع إلى السماء تلتمع بلون الذهب فى أضواء الشمس الغاربة التى أضفت لمعانا على مساكن الموتى هذه . وكان من المتفق عليه أن ينزل الملك فى منف ويتجه فى جلاله نحو معبد بتاح العظيم ليقدم له صلاة شكر من أجل النصر.. ولـكننا سنترك هذا المنظر للخيال محتفظين لانفسنا بمنظر أشد روعة فى طيبة . وبدأت مدن الصعيد تمر الواحدة بعد الأخرى : أسيوط مدينة الاله الذئب وب واوت ثم ابيدوس أقدس بقعة فى مصر حيث دفن اوزيريس (لوحة ١٨ شكل ١) إله الموتى ثم دندرة مدينة حاتحور إلهة الحب الرقيقة ومرضعة الملوك ثم قفط مدينة مين الإله القوى للنسل والاخصاب وأخيراً هاهى ذى طيبة . إن أسطول القوارب الذى أبحر إلى العاصمة كان يتقدمه صفان صغيران من قوارب التجديف بهما الشرطة لابعاد بقية القوارب

www.ibtesama.com/vb

عن الطريق رغم أن ذلك لم يكن أمراً ذا بال لأن السلطات فى طيبة كانت قد عنيت بذلك الأمر ثم يلى ذلك القارب الملكى نفسه وعلى ظهره تحت مقصورة كان يجلس فرعون. وكان التاج الأزرق مستقراً فوق رأسه وكان يرتدى الكتان الرقيق المنشى ذا الثنيات والذى تبرز اكمامه من وراء ذراعه وكان يحتذى نعلا من الجلد المذهب وحول عنقه قلادة ثقيلة من حبات الذهب والأحجار نصف الكريمة ويمسك فى يده عصا خشبية مكفتة بالذهب وصولجا بقبضة من المرمر المعرق باللون الأزرق. وكان يلتف حول العرش قادة الجيش وهيئة قيادة السفن وهم يرتدون زيهم الرسمى: نقبة من الكتان القصير وزرد من البرونز ويمسكون بحرابهم وبدروعهم المصنوعة من جلد الفهد فى أيديهم. وكان هؤلاء الضباط بدورهم محوطين بخدمهم الخصوصيين يحملون الأقواس وجعاب السهام وغيرها من العتاد الحربى. ولعل أروع ما كان يشهده الناظر .. أكثر حتى من فرعون وقواده منظر مقدم السفين الذى يبعث على الرعب لأن فوقه كان يعلق سبعة من زعماء السوريين الذين ثاروا ضد مولاهم ورءوسهم إلى أسفل فوق الماء وهم يقاسون أروع الآلام ولم يكن لديهم أمل .. وهم يؤدون دورهم التعس فى موكب النصر ويقتربون من نهايتهم المحتومة التى لم تبرح مخيلتهم.

www.ibtesama.com/vb

ثم بدأ التهليل والترحيب يتدفق من الجماهير المتجمعة على طول ضفتى النهر حين شهدوا الإله الطيب رع المجسد الذى يجلس على عرش حوريس الحى وحين أخذ قاربه يتقدم فى بطء نحو رصيف الكرنك . ومن هذا الرصيف كان طريق المواكب يؤدى إلى معبد آمون رع المسمى « المختار بين الأماكن » وعلى كل جانب من جانبيه صف من وحدات أبى الهول الحجرى برءوس الكباش وكل منها يمسك بتمثال لفرعون بين مخلبيه . ومن ورائها كان يمكن مشاهدة بروج الصروح الضخمة القائمة أمام ساحة المعبد الأمامية وفى واجهاتها المائلة ثبتت ساريات الأعلام تتطاير عن أعلاها الشرائط ذات الألوان الزاهية . . كان هذا بيت آمون رع (لوحة١شكل٢) ملك الآلهة معبود الدولة فى مصر الذى تقدم له الامبراطورية جميعاً ولاءها . أنه لم يكن فى أول الأمر سوى معبود محلى ضئيل القيمة ولكن قيام البيت الطيبى على العرش جعله يرتفع ويتقدم إلى المكان الأول الذى كان يشارك فيه الآن رع إله الشمس . . . لقد كان رع أتوم إله الشمس فى العصور الخوالى سيد الآلهة المصرية ولكن آمون اغتصب مكانه الآن . . آمون إله الخصب والإنتاج الذى اضطر إلى أن يرتبط بالمعبود القديم حتى يستطيع أن يحتفظ بمركزه ومن هنا أصبح يسمى آمون رع والد فرعون وهو نفسه إله الشمس وله أكبر معبد وأضخم كهانة فى البلاد . . . إنها هذه

www.ibtesama.com/vb

الكهانة التى تجمعت الآن على الرصيف لترحب بفرعون عند عودته إلى عاصمته . وكان فى المقدمة الكاهن الأكبر باكن خونسو فى ثيابه الكتانية الناصعة ورأسه الحليق الذى يلتمع فى ضوء الشمس وحوله الخدم يذودون عنه بمراوحهم ضربة الشمس . وخلف الكاهن الأكبر كان يقف الكاهن الثانى والكاهن الثالث وخلف أولئك جميعاً على مبعدة منهم الطبقات الدنيا من الكهنة مع جماعة الكاهنات وهن يحملن الصلاصل فى أيديهن (لوحة ٥ شكل ٢) . وحين رسا القارب الملكى على الرصيف انحنوا إلى الأمام ورفعوا أيديهم عبادة لجلالة الملك وهم يغنون مرتلين له فيقول باكن خونسو « يا أروع من يعود منتصراً » ويرد عليه الكهنة قائلين : « ذلك لأن آمون جعله يضرب أمراء فلسطين » « كل الناس . . . كل أهل بيت آمون فى عيد » « لأن آمون رع يحب الحاكم » ثم تمد العوارض الخشبية عبر الماء إلى السفين ويخطو المحبوب من الآلهة تلتف حوله حاشيته إلى الشاطىء . وعندئذ يخر الجميع على وجوههم « يشمون الأرض » ما عدا الكاهن الأكبر وزملائه الذين يظلون يحنون رءوسهم احتراما . وينظر فرعون إلى الأمام ويتجه نحو عرش على هودج يرفع فوق الأكتاف وحين يعتليه يحمله إثنا عشر نبيلا يعدون عملهم هذا من أسمى الأعمال واشرفها فى الأرض . ويتناول الملك غذاءه فى بيت كبير الكهنة الملحق

www.ibtesama.com/vb

بالمعبد ثم يعبر النهر بعد ذلك إلى قصره على الضفة الغربية ليستريح قبل أن يأتى اليوم الملىء بالعمل الشاق والذى يقام فيه الاحتفال المهيب الذى يلى ذلك .

* * *

أشرق الصباح التالى وكانت الألوان اللامعة التى ترافق ظهور رع فوق الجبال الشرقية تعكس الانتصار المرموق لابنه الذى لا يزال نائما فى القصر والقصر لا نراه مبنيا بالكتل الحجرية التى كانت تستعمل فى هياكل الآلهة لأن الحجر كان أغلى من أن يستعمل فى المبانى الدنيوية كما أنه لم يكن مرضيا من وجهة النظر المصرية مثل اللبن الذى كان يستعمل فى كافة المبانى ما عدا الدينية منها . ذلك لأن المصريين فضلوا سكنى المبانى الخفيفة التى يستطاع اجراء تعديل فيها أو تجديد . وهكذا كان قصر فرعون القائم أمامنا يمثل صورة كوخ ضخم أكثر منه قصراً والمبنى محاط بأسوار ضخمة بأحدها بوابة ذات برجين يحرسها الجند . وبالقصر ابهاء ذات عمد وأفخرها قاعة الاجتماعات (لوحة ٢) حيث أقيم عرش الملك تحت مقصورة على منصة يؤدى إليها درج . وفوق بوابة القصر بين الصرحين شرفة أو « نافذة الظهور » حيث يظهر فرعون أمام الجماهير فى المناسبات الكبرى ويلقى منها بهداياه ومكافآته

www.ibtesama.com/vb

من حلى ذهبية لخدمه الأمناء الواقفين اسفلها . وحوائط القصر من الداخل المبنية من اللبن تغطيها طبقة من الجص المنقوش برسوم لامعة وبأزهار وفاكهة وبط رؤوسه إلى أسفل وتمثل الوحدة الزخرفية الرئيسية على حين نجد الأرضية ملونة تلوينا جميلا لتمثل البحيرات التي ينمو بها السوسن الرقيق والأسماك اللامعة تملؤها.

لقد استيقظ الملك لتوه وسرعان ما سرى نداء أخذ ينتقل من فم إلى فم «لقد استيقظ الإله الطيب. لقد استيقظ الإله الطيب» ويسرع عشرات الموظفين والخدم للقيام بأعمالهم ، أما فرعون فيساعده على تزيين نفسه أحد أمناء القصر الوقورين ويحمل عصا من الأبنوس ورأسها من القاشاني الأزرق ثم يرتدي الملك زياً من الكتان الأبيض ويضع على رأسه شعراً مستعاراً أسود قصيراً وصلا ذهبياً ثم يتقدم نحو المعبد الخاص لأداء واجباته الصباحية الدينية . وهذا المبنى الجميل يقوم في وسط فناء القصر على هيئة كشك مستطيل تؤدي إليه مجموعة من الدرج . وهناك يركع فرعون ليعبد رع حوراختي عند شروقه ويتلو كذلك أدعية لآمون وموت إلهى الطيبة . ثم لابنهما الطفل خونسو الأمير الإلهى توأم الملك . وحين تنتهى الصلاة يتجه الملك نحو غرفة الإفطار حيث يتناول وجبة خفيفة وقبيل انتهائه منها يعلن الخادم أن الوزير الأكبر وناظر الخزانة في انتظار المثول بين يديه ذلك

www.ibtesama.com/vb

لأنهما جاءا فى الصباح الباكر ليشهدا الملك قبل بدء الاحتفالات وذلك لالتماس الرأى الملكى فى الأمور العاجلة التى تهم فرعون عقب عودته من الخارج . ويترك الملك وجبته التى لم يتمها وينتقل إلى بهو الاجتماعات حيث يأخذ مكانه على العرش فيستقبل أولا الوزير الذى يقدم تقريراً عن تقدم البلاد ويوضح له مختلف الوسائل التى اتبعت لتحسين الرى أخيرا ثم يقدم له قائمة بأسماء المسجونين الذين تحق عليهم عقوبة الإعدام التى لا يمكن توقيعها دون موافقة فرعون على الحكم . وبعـــد أن ينتهى الوزير من عمله وينصرف يتقدم ناظر الخزانة ليشغل نصف ساعة من وقت الملك فيناقش حالة الحكومة المالية والنظم الضريبية التى يمكن اتباعها فى العام المقبل . ثم يخلص الملك لنفسه بعد انصراف الرجلين فيتقدم نحوه رجلان مهمتهما الباسه ويقودانه إلى غرفة الملابس حيث يجهزانه ليوم النصر . ويبدآن بوضع نقبة حول وسطه من القماش المزين بالذهب وهو زى الملوك والآلهة منذ العصور الأولى . ثم يضعون فوق النقبة دثاراً شفافاً من الكتان المنشى ذى الثنيات . وتتدلى من حزامه من الأمام فوق الدثار حلية رائعة من الخرز الملون بأسفلها صل ذهبي على رأسه قرص الشمس ينثنى من الناحيتين . وإلى الخلف ثبتت قطعة طويلة من قماش على صورة تحاكى ذيل حيوان برى . وحول عنقه يضع الخادمان عقدا من حبات الذهب

www.ibtesama.com/vb

والعقيق الأحمر . وعلى ذراعه سوار من الذهب المرصع بالأحجار شبه الكريمة المتعددة الألوان تمثل صورة الإله الوليد حربوقراط جالساً فوق زهرة اللوتس (لوحة ٣) أما الأقدام الملكية فتنزلق فى نعل من الجلد المذهب كما يوضع التاج الأزرق فوق رأس الملك . ثم يمسك الملك بعصا مغطاة بالذهب ويصولج الاحتفالات ويتقدم إلى عربته محوطاً بحرسه وإلى الخلف منه مباشرة ناظر القصر ذو الجثة الضخمة . وحين يمر الملك فى أحد الأبهاء ذات العمد يتوقف ليحيي الملكة وحاشيتها اللواتى يبرزن من تلك الناحية من القصر حيث يقمن فى عزلة شأنهن فى ذلك شأن نساء الشرق جميعاً . والملكة فى زيها للاحتفالات ولكنها لا تصحب فرعون بل تتقدم مع حاشيتها مباشرة إلى معبد الكرنك حيث تشغل منصب كبيرة الكاهنات خلال الاحتفالات . وحين يقترب فرعون تركع فى احترام أمامه وسرعان ما يأمرها بالوقوف وعيناه المتألقتان بابتسامة مرحة تنمان عن حبه لها . ولكن جبينه يتعقد فى اللحظة التالية حين يلاحظ قلة عدد الزوجات والمحظيات اللواتى قدمن لتحيته فيسأل الملكة «وأين الباقيات» فيحمر وجهها وتهمس له حتى لا يسمع الآخرون حديثها «إنها نبت تاوى .. إنها تثيرهن لقد طلبت إليهن أن يبقين بالداخل» فيستدير فرعون دون أن ينطق بحرف وإن كست وجهه سحابة ضيق ثم يتقدم نحو

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣

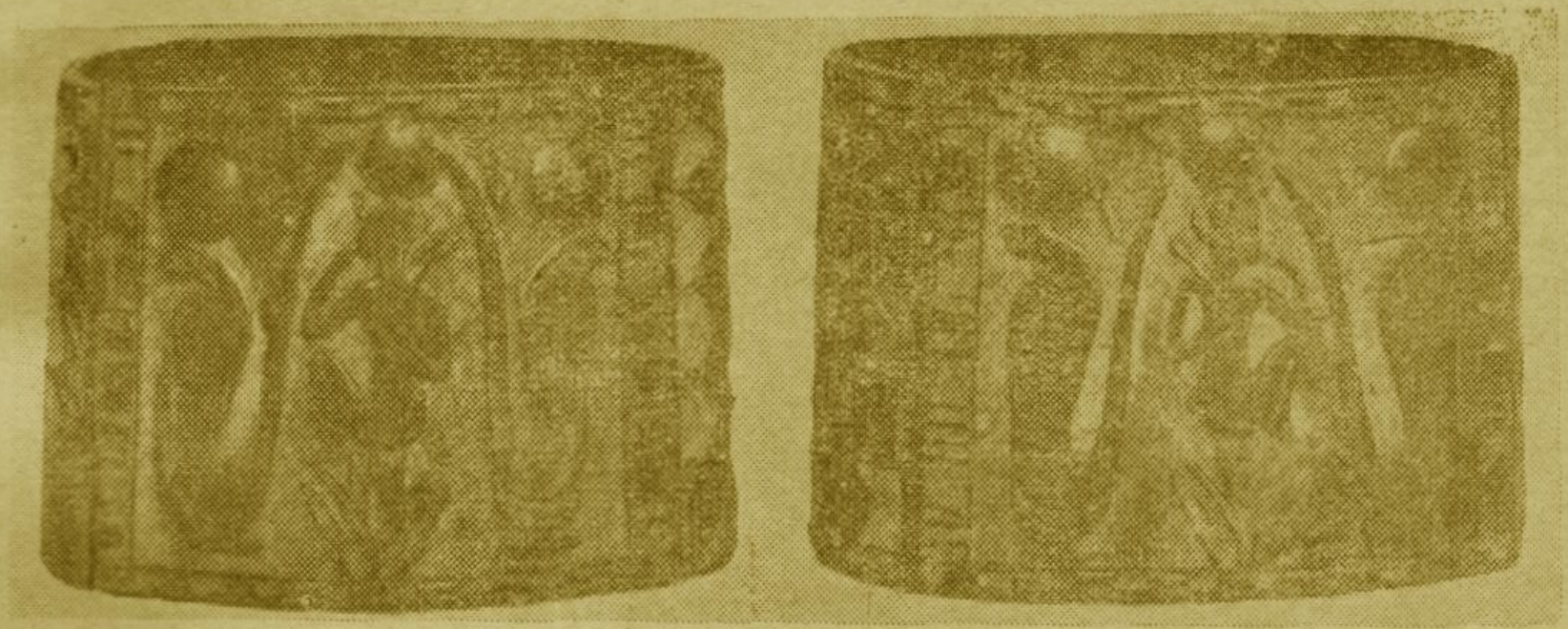

زوج من الأساور الذهبية المرصعة باللازورد والعجينة الزرقاء من الأسرة (٢٢)
والزخارف تمثل الإله « حربوقراط » جالساً على زهرة اللوتس بين صاين
على رأسيهما قرصا الشمس

www.ibtesama.com/vb

لوحـة ٤

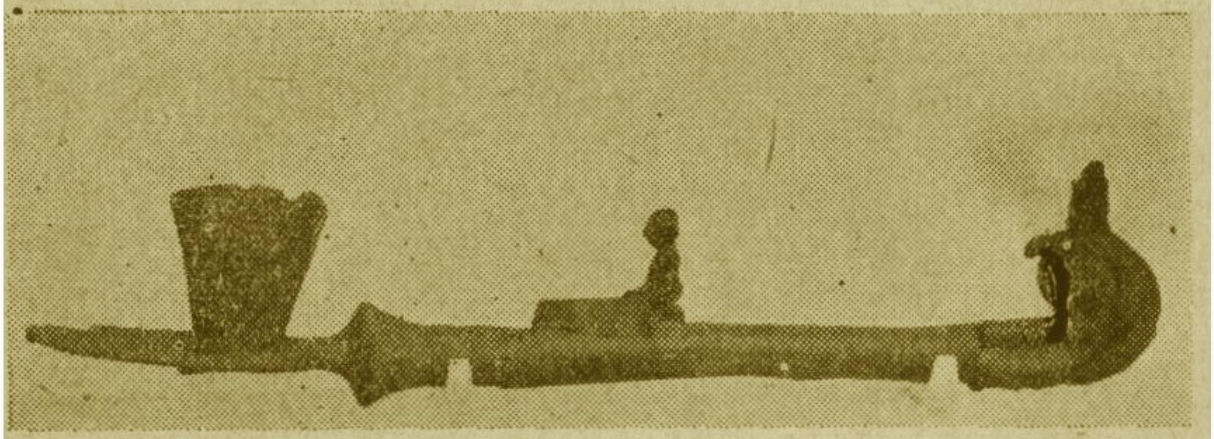

(شكل ١) مبخرة من البرونز
كان يحرق البخور فى القدح الكبير ، على حين تحفظ
كمية إضافية فى الصندوق الصغير الذى فى الوسط .

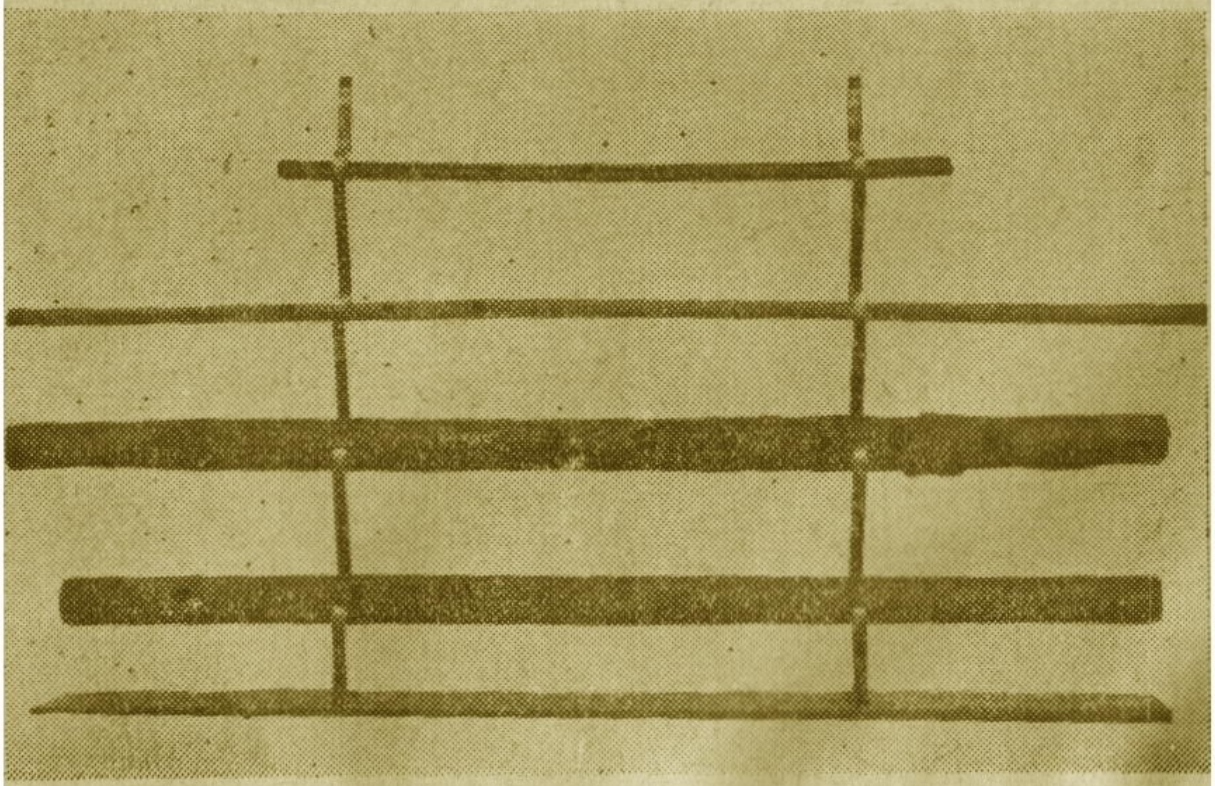

(شكل ٢)
عدد من المزامير (الزمارات) المصرية فى المتحف البريطانى

www.ibtesama.com/vb

البوابة وهو لا يكاد يكترث بتهليل الجماهير المتجمعين عند بوابات القصر منذ الفجر ليشهدوا طلعة الملك ثم يمتطى عربته ويبدأ موكبه متجها نحو النهر .

وبعد فترة قصيرة يصل الموكب إلى الرصيف المقابل لمعبد الأقصر حيث يكون القارب الملكى فى الانتظار فينزل إليه فرعون ويقوم بالتجديف المجدفون المهرة ويتقدم مبحراً إلى الكرنك مصحوبا بأسطول يحمل موظفى البلاط وشرطة النهر والحاشية الحربية. أما ضفتا النهر فزاخرتان بجموع الرجال والنساء والأطفال من سكان طيبة ومن فرق الجند المصطفين على جانبي النهر ومن المجموعة الأخيرة المحاربون من الامبراطورية المصرية فى الخارج ومن مصر نفسها ففيهم الليبيون الملتحون وفيهم الزنوج بلون الفحم الأسود وفيهم كذلك مرتزقة من شعوب البحر الأبيض المتوسط من الشردانا بلباس الرأس ذى القرون وسيوفهم المثلثة الثقيلة .وتحمل الفرق المصرية شارات مميزة عجيبة تميز مختلف الفيالق بعضها فى صورة مراوح ضخمة للاحتفالات مزينة باسم الملك وبعضها على شكل مذبة مدلاة من عصا طويلة . وحين تبدأ الرحلة مارة بطيبة متجهة نحو الكرنك نشهد الجند يجرون على طول الضفتين وهم يحيون مولاهم فى حماس شديد فتختلط صيحات المحاربين من الفرق المصرية بالزمجرة الوحشية للسود والليبيين .

www.ibtesama.com/vb

وعند ما يصل الموكب أخيراً إلى معبد أمون رع فى الكرنك وينزل الملك إلى البر يحمل على عرش يمر به فى بوابات الصرح والجزء الأمامى من المعبد إلى غرفة معينة بالقرب من قدس الأقداس تسمى «بيت الصباح» حيث يتركه اتباعه لدى كاهنين يتعهدانه. وهذه الغرفة هى المكان الذى يقوم فيه الملك بأداء الاحتفالات الهامة التمهيدية لأنه سيكون اليوم الكاهن الأكبر. وهو حين يقف هناك وسط سكون المعبد الكبير يلاحظ دخول شخصين أخرين إلى القاعة وهما شخصان يفرق المرء من مرآهما أحدهما له رأس أبى منجل بمنقاره الطويل المعقوف والآخر له رأس صقر. وهما من الكهنة الذين يلبسون اقنعة تنكرية ويجسدون إله الصقر حوريس والإله برأس أبى منجل تحوت إله الحكمة. وهما يأخذان مكانيهما فى سكون إلى جانبي فرعون على حين يسلمهما أحد الكهنة الأتباع أوانى من الماء ملئت من البحيرة المقدسة فى حرم المعبد ثم يباشران طقسا سحريا على الملك تبلغ من قوته أنه يجعله يولد من جديد كما يولد أبوه رع إله الشمس كل صباح عند الفجر بعد أن يستحم بواسطة حوريس وتحوت.

وينثر الإثنان فى وقار الماء فوق الملك وهما يرتلان الطقوس ثم توضع الآنية جانبا وتسلم المباخر (لوحة ٤ شكل ١) إلى حوريس وتحوت اللذين يتابعان تبخير الملك بدخان البخور ثم

www.ibtesama.com/vb

يهديانه أخيراً حبات النطرون (الصودا) ليمضغها حتى تتطهر كلمات الطقوس التى يعتزم النطق بها من الدنس الأرضى كله .

ثم تترك المعبودات عندئذ بيت الصباح ويحل محلها ، باكن خونسو ، كاهن آمون الأكبر الذى يتقدم نحو فرعون فى اجلال عميق ويقوده نحو أقدس مكان فى البناء وهو الهيكل الداخلى أو قدس الأقداس حيث يحفظ تمثال الاله . وهناك خلف الأبواب المغلقة يشهد فرعون وجه ابيه آمون رع ويباشر أمام تمثاله تلك الطقوس السرية التى سنقرأ عنها فى الفصل الثالث .

ثم يعود فرعون والكاهن الأكبر إلى بيت الصباح ليتجهزا للحادث الأعظم لعيد النصر وهو العمل الذى يرعب قلوب البلاد التى تحكمها مصر فيخلع موظفون من الأتباع الدثار الكتانى الخارجى للملك حتى لا يبقى عليه سوى النقبة البسيطة لباس الآلهة ثم يأخذون بعد ذلك من فوق رأسه التاج الأزرق الذى لا يزال يرتديه ويضعون مكانه التاج المزدوج الأحمر والأبيض وفى العصور السحيقة الغامضة حين كانت مصر مقسمة إلى دولتين : الشمال والجنوب ، كان ملك مصر العليا يلبس التاج الأبيض وهو قمعى الشكل ذو قمة كروية على حين يلبس ملك الوجه البحرى التاج الأحمر ذا الشكل العجيب . ومنذ اتحد القطران تحت حكم ملك واحد أصبح الملك يضع التاجين معا الأبيض داخل الأحمر .

www.ibtesama.com/vb

وهكذا يضع الملك التاج المزدوج على رأسه وهو تاج أسلافه ويمسك فى يده صولجاً برأس من المرمر ثم يغادر القاعة مصحوباً بالكاهن الأكبر والكاهن الثانى وطبقات أخرى من طبقات الكهنة أدنى مرتبة ويشق طريقه نحو بهو الأعمدة . وفى هذه القاعة الكبرى ذات الأعمدة الضخمة المنقوش عليها مناظر الآلهة والملوك والتى تصل إلى سقف المعبد من كل الجوانب والتى تضيئها فتحات صغيرة يتسرب منها الضوء خلال نوافذ طولية ... فى هذا البهو تتجمع أفواج كبيرة من الناس وفى المقدمة الملكة مصحوبة بالكاهنات المحظيات يمسكن فى أيديهن الصلاصل التى تصدر عنها أصوات كلما تحركن وفى مجموعة أخرى يقف كبار موظفى الدولة : الوزير وناظر الخزانة ورؤساء المصالح الحكومية وكبار قواد الجيش . وفى مجموعة ثالثة نرى كبار رجال الدين الذين قدموا من مدنهم ليشهدوا الاحتفال وعلى رأسهم كبير كهنة رع أتوم فى هليوبوليس المعروف بلقب « الرائى (الناظر) العظيم » وكبير كهنة بتاح فى منف صاحب لقب « سيد الفنانين » .. وخلف هذه الشخصيات النبيلة نرى القاعة مليئة بأشراف من طبقة أدنى أما الفناء المفتوح ففيه عامة الشعب الذين يسمح لهم بالدخول بهذه المناسبة السعيدة .

ثم يأخذ فرعون وياكن خونسو مكانيهما إلى يمين الباب

www.ibtesama.com/vb

المؤدى إلى الهيكل وبعد دقائق قليلة يظهر الكهنة فى هذه البوابة حاملين القارب المقدس للإله على أكتافهم وهو قطعة من الفن الدقيق مقدمه منحوت على شكل رءوس كباش والجوسق (المقصورة) فى وسطه حيث يقف التمثال المقدس محلى بصفوف منقوشة من المعبودات ومحجوب بخمار .. أما القارب جميعه فمغطى بأوراق الذهب وتلتمع فيه فى ذلك الضوء الخافت عين حوريس المرصعة من كلا الجانبين بأحجار ملونة وزجاج .

ويقف الكهنة دون حراك والقارب على أكتافهم . . إن الإله قد خرج من هيكله ليشهد حادثاً معيناً وهو يتوقع حدوثه . وكأنما حل السكون على الجماهير كذلك فانتظروا وفجأة تسمع قرقعة الحراب وترى مجموعة من الجند تتقدم نحو القاعة تجر معها سبعة الأسرى الرؤساء من سوريا الذين كانوا مربوطين إلى مقدم مركب فرعون فى اليوم السابق . . هاهم أولاء يقفون وأيديهم مقيدة فى وضع مؤلم وأثوابهم المصبوغة صبغة تدل على الثراء قذرة ومزقة وشعرهم ولحاهم شعثاء ورغم ذلك فإنه لا يظهر على وجوههم ما ينم على الخوف لأنهم يعرفون تماماً كيف سيموتون .

ولا يستمر المنظر المرعب طويلا . . . إذ يضطر الرؤساء الواحد بعد الآخر أن يخروا راكعين على ركبهم أمام الملك

www.ibtesama.com/vb

وهو من ناحيته يمسك بهم من شعورهم ويسحق رءوسهم بصولجه حتى يترك الأجساد السبعة على الأرض الحجرية جثثاً أقفرت من الحياة وهى تسبح فى دمائها . وأخيراً تهز الملكة وكاهناتها صلاصلهن فى وحشية وينكسر ذلك السكون بهمهمة الموافقة من الجماهير التى يتردد صداها فى القاعة الكبرى ثم تتناقلها الجماهير فى الخارج وهو على أية حال صوت لا يسر سماعه وسرعان ما يعود الكهنة حاملين القارب المقـــدس إلى الهيكل . . إن آمون رع راض بالضحايا التى قدمها له ابنه . . إن الاحتفال قد انتهى .

فى غرفة من مبنى تابع للقصر كان يجلس رجلان فى الليل المتأخر يتسامران أحدهما بنامون كبير أمناء القصر وحورى السّاقى الملكى وكانا يتحدثان بصوت خفيض وكانا يعاودان النظر إلى الباب من وقت لآخر كأنما كانا يتوقعان قدوم أحد . وكان كبير الأمناء رجلا مسناً ضخم الجثة بعيون غائرة وبوجه كثير التجاعيد الشبكية الشكل وكانت عصاه التى تشير إلى مركزه مستندة إلى الحائط بالقرب من الباب . أما الرجل الآخر حورى فكان فى سنى شبابه بوجه صبيح وعينين لهما لمعة ونظرة نافذة ولم يكن الاطمئنان

www.ibtesama.com/vb

يظهر على أحد الرجلين وقد شبا واقفين حين سمعا طرقة خفيفة على الباب كأنما أعصابهما قد أصابها الإرهاق ورغم أن الباب كان محكم الإغلاق فإنهما لم يحاولا فتحه بل ظلا بغير حراك وهما يصغيان فى انتباه ووصل إلى سمعهما همس من الخارج يقول : «الليلة صافية ونوت تكشف عن نجومها» وسرعان ما فتح بنآمون وحورى الباب وسمحا بالدخول للغريب الذى كان يلف رأسه وكتفيه فى عباءة وحين انزلقت وبانت شخصيته انحنى له الموظفان فى احترام وتقدما له برجاء الجلوس .

كان الغريب شاباً فى الثانية والعشرين من عمره يلبس كتاناً رقيق النسيج وفى حزامه خنجر ذهبي . وكان وجهه يسر الرائى أما عيناه فكانتا جميلتان وملامحه متناسقة وأما فمه فيوحى بالضعف أكثر مما يوحى بالقوة ولعل أهم ما يلفت النظر فى هيئته هو غطاء رأسه المصنوع من قماش مطرز يتدلى منه هدب على أحد الجوانب وكان الهدب فى هذه الفترة يحل محل الخصلة الجانبية من الشعر المضفور التى تنم عن صفة الأمير الملكى والواقع أن ذلك الزائر لم يكن سوى «آمون أم وا» الإبن الثانى لفرعون وأقرب الناس إلى العرش باستثناء الإبن الأكبر ولى العهد مرى آمون .

www.ibtesama.com/vb

وسأل بنامون فى لهفة « ما الأخبار يامولاى ؟أكل شىء يسير على مايرام ؟» فأجاب أمون أم وا وعيناه تلتمعان فى ثورة : « لقد حدث تقدم رائع سوف يحكم أبى لبضعة أيام أخرى ويرهق مصر بأثقال لاتستطيع احتمالها لقد كان خيراً لو أن الآلهة آباءه ضموه إليهم منذ عشرين عاما حين دوت البلاد بمجد حملاته قبل أن تزيد كآبتها بكراهية حكم رجل مسن لقد جعلت أمى نبت تاوى الرسالة تنتقل فى الحريم حتى أن كل امرأة تعرف أنه بعد أسبوع من اليوم ستتوقف حياة فرعون حين يغيب رع وراء التلال القريبة ويلف الليل الأرض بين طياته ». فأجاب بنامون « حسناً صنعت يامولاى ويخيل إلى أنها ليست ببعيدة تلك الساعة التى سنضع فيها التاج المزدوج فوق رأسك ولكن ماذا تم بشأن الخطاب الذى كان على المحظية أست أن تحمله لأخيها قائد فيلق الرماة المرابط على الضفة الغربية ؟ » فأجاب الأمير « لقد تسلمه ولكن حتى ولو كانت الجيوش على هذه الضفة من النهر فاترة من ناحيتنا فإنه ليس من المحتمل أن يستطيع أخى مرى آمون المقاومة . . إن فرعون سيكون قد مات وسيفقد أخى قبل الفجر وسوف لايكون من الصعب أن نتغلب على البقية الباقية من الجيش مع العلم بأنه إذا أحسنت رشوته فليس يهمه من يحكم وخاصة وقد قدم الجند الكثير من المظلمات ضد أبى .. والآن فلنفكر فى أمر أشد حيوية بالنسبة

www.ibtesama.com/vb

لخططنا ، هل استطعت الحصول على أدوات السحر ياحورى ؟ »

وقد أبرز حورى من ثنايا ثوبه رداً على ذلك حزمة ملفوفة فى الكتان بدأ يحلها فى عناية كبيرة وتناول أولا لفة من البردى مربوطة بخيط ومختومة بخاتم من الطين ووضعها أمام أمون أم وا وقال « هذه الربطة الثمينة يامولاى أحضرت من مكتبة معبد بتاح فى منف وقد بذل فى الحصول عليها أحد زملائى فى الكلية الكثير من الجهد والمغامرة . وهى تحوى رقية يبلغ من قوتها أن من يتلوها تسحر له السماء والأرض وتجعل الآلهة ينحنون أمام إرادته إنها رقية كتبها تحوت بيده .. وإن نحن تلوناها فى ليلة مغامرتنا فسوف ننتصر » ثم تناول حورى من الحزمة عدداً من تماثيل الشمع الصغيرة فى هيئة الرجال ووضعها أمام الأمير قائلا « سنبدأ الليلة فى ممارسة السحر مع هؤلاء .. ألا لانضيع الوقت » وحين قال ذلك سلم إبراً من البرونز الحاد إلى الأمير وإلى بنامون كما سلم دمية شمعية إلى كل منهما وبدأ يتلو :

« لهب عين حوريس يفنى أعداء رع
حربة حوريس تقضى على أعداء رع
ياحراس غرفة نوم فرعون أنتم منهزمون
أهلكوا وأسقطوا إلى الأرض .. ألا لتقتلوا وتصبحوا ضعفاء .

www.ibtesama.com/vb

لقد حطمتكم حربة حوريس »

وعند ترداد الكلمات الأخيرة غرس أمون أم وا وبنامون وحورى إبرهم فى الدمى الشمعية اللينة وهم يعتقدون أن حرس فرعون التعساء سيحسون فى نفس اللحظة آلام مرض عميت وسيهلكون فى وقت قريب . وقال الأمير حين انتهى ذلك الأمر « حسناً يجب أن أتركك الآن وأعود إلى القصر قبل أن يصبح غيابى موضع شكوك وسأزوركما مرة أخرى فى الغد فى نفس الساعة » ثم قام لينصرف ولكن حورى استوقفه بأن وضع يده على ذراعه قائلا « إن مولاى لم ير بعد كل الدمى التى حصلت عليها . . لايزال هذا هنا » وسحب من حزمته دمية أكبر من الدمى الأخرى ووضعها فى كف آمون أم وا ونظر إليه فى الوقت نفسه نظرة متفحصة بعينيه . وكاد الأمير يفقد صوابه بعض الوقت وأمسك بمسند مقعده ليستند إليه وابيضت مفاصله تحت جلده المشدود حين نظر مبهوراً إلى الدمية التى كانت تمثالا صغيراً هو صورة دقيقة لفرعون نفسه وكادت تتوقف أنفاس الموظفين وهما يراقبان الأمير وهو يتأمل الأداة التى ستفصل فى مصير أبيه المقدس وقد لاحظا التماعا يدب فى عينيه ثم التقط فجأة إبرة برونزية وضربها فى صدر الدمية وهو يردد « إهلك واسقط إلى الأرض . . لتتلف وتضعف ولتقض عليك حربة حوريس » وأمسك بالدمية المشوهة بعض

www.ibtesama.com/vb

الوقت فى يده ثم تركها تسقط إلى الأرض وهو يتنهد وفتح الباب واختفى فى الظلام .

* * *

وبعد أربعة أيام وشى خادم بالمؤامرة لأنه لم يتسلم كل أجره الذى كان قد طلبه ليقوم بنصيبه فيها وقبض على المتآمرين للتو وحاكمهم فرعون بنفسه.. ولنصف المنظر الذى حدث بعد أسبوع من تلك الليلة المشؤومة حين زار « آمون أم وا » كبير الأمناء بنامون والساقى الملكى حورى .

لما كانت المؤامرة موجهة ضد شخص الملك المقدس نفسه فإن الدور الإفتتاحى من المحاكمة حدث فى قاعة الاحتفالات فى القصر الملكى واجتمع القضاة ليتلقوا توجيهاتهم من يدى فرعون وحين جاء موعد الجلسة امتلأت القاعة بكبار أعضاء الحكومة والبلاط واقفين فى جماعات يناقشون الموقف فى أصوات خفيضة أما مقعد القضاة الذى نصب خصيصاً لنظر القضية فكان يضم رئيسين للبيت الأبيض أى موظفين من الخزانة وكاتبين وخمسة سقاة ومناديا يمثل البلاط وحاملى لواءين يمثلان الجيش .

ولم ينتظروا طويلا لأنه سرعان ماظهر مناديان على جانبى البوابة يعلنان اقتراب الاله الطيب فانحنى القضاة المجتمعون فى ولاء ودخل فرعون إلى القاعة .

www.ibtesama.com/vb

ولكم تغير شخص الاله الطيب منذ ذلك اليوم منذ عشرين عاما حين شهدنا احتفاله بالنصر فى معبد آمون رع فلقد كان إذ ذاك فى ريعان فتوته يفيض صحة وقوة أما الآن فهو رجل مسن ترهل من جراء سنى البطالة كما أن عينيه يشيع فيهما الغباء والإجهاد . . وأما صحته فليست طيبة لأنه يتنفس فى صعوبة ويتكىء على عصاه المذهبة وهو يسير فى بطء نحو المنصة (لوحة ٢) ويجلس على العرش حيث يستريح بضع دقائق فى صمت متأملا الموظفين الواقفين منحنين بغير حراك أمامه والتاج المزدوج فوق رأسه يشير إلى أن المناسبة خطيرة (أنظر لوحة المقدمة)

ثم يقوم فرعون أخيراً ليتكلم فيلخص الأحداث التى دعته لاستدعاء كبار الموظفين لحضرته . ويرتجف صوته من وقت لآخر حين يذكر إسم ابنه آمون أم وا الذى سعى إلى قتل أبيه أو إسم نبت تاوى الملكة التى تآمرت على حياة فرعون وإبنه البكر حتى تؤمن العرش لإبنها . وحين كان الملك يتكلم كان الحاضرون يدركون مدى الألم الذى يحتوى فرعون بسبب هذه المؤامرة لقد جرح فى بيت أصدقائه وقد كانت ضربة مميتة وهو فى صحته المتداعية . وكانت كلماته الأخيرة للمحكمة التى ترك لها السير فى الدعوى أنه لايكترث حتى بما تسفر عنه المحاكمة فقال « أما بالنسبة لما فعله المتآمرون فأنا أجهله . ابحثوا الأمر وحين تنتهون من

www.ibtesama.com/vb

تحقيقه دعوا المجرمين يموتون بأيديهم دون أن تخبرونى . سوف تنفذون العقوبة فى الآخرين كذلك دون أن تخبرونى ولكن إياكم وتوقيع العقوبة ظلماً على برىء . والحق أقول لكم أنه بالنسبة لما حدث وما فعلوا ليقع مافعلوه فوق رءوسهم وأنا محمى ومصون إلى الأبد . وأنا بين الملوك العدول الذين أمام آمون رع ملك الآلهة وأمام أوزير حاكم الأبدية [1] » .

وحين غادر فرعون قاعة الجلسة سرت همهمة بين القضاة : لِمَ هذه الإشارة العجيبة إلى أوزيريس إله للموتى فى نهاية حديث الملك ولكنهم عرفوا الجواب بعد عشرة أيام لأنه فى نفس الصباح الذى شنق الأمير آمون أم وا نفسه طبقاً لحكم المحكمة وتجرعت الملكة نبت تاوى السم سرت صرخة من غرفة نوم الملك :

« لقد مات الاله الطيب ، طار فرعون إلى السماء واتحد مع الشمس .

إنه يحكم فى مملكة أوزوريس »

---

(١) منقولة عن ترجمة للاستاذ برستد Ancient Records

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثانى

الرياضة والمرح

حصل الشاب نخت المعروف فى حياته الرسمية «كقائد جيش سيد الأرضين» على أجازة ثلاثة أيام وكانت فرقته قد عادت مع فرعون من موسم الحملة فى سوريا منذ وقت قصير وهكذا اتيح له بعض الفراغ . ولم يكن نخت ممن يضيعون الفرص فكان يشغل كل يوم خال فى الصيدأو فى صحبة الفتاة «نزمت» ابنة «چد خنسو» التى استولت على قلبه .

وهكذا نراه فى هذا الصباح يخرج لرياضة اليوم فى صحبة عدد معين من الرجال النبلاء بمجرد شروق الشمس . وقـــد نصبوا خيامهم فى الصحراء العالية الممتده من التلال الواقعة خلف طيبة إلى ناحية البحر الأحمر لمسيرة بضعة أيام وكان الصيدالطيب ميسورا هناك فى العصور القديمة ولو أن الحيوانات اختفت الآن منتقلة إلى أقاليم جنوبية ــ كان بها اذ ذاك الغزلان والوعول . وكانت تؤمها السباع والفهود ولـكن أصحابنا لم يكن خروجهم اليوم لمثل ذلك الأمر .

www.ibtesama.com/vb

وصلت الجماعة فى اليوم السابق للصيد وقضى الضاربون الوقت فى إقامة شبكة خفيفة لتضم رقعة من الأرض ترك أحد جوانبها مفتوحا معتزمين أن يسوقوا الحيوانات البرية إلى هذه الحظيرة .

ولما أصبح كل شىء معداً أخذ نخت وأصدقاؤه مكانهم قرب مدخل الحظيرة وانتشر الضاربون فوق الصحراء المحيطة فى انحاء متفرقة ليخيفوا أكبر عدد ممكن من الصيد ويوجهوه نحو الجماعة وشد نخت ورفاقه من الرياضيين أقواسهم القوية على حين كان خدمهم يحملون الجعاب مليئة بالسهام وسرعان ماسمع نباح كلاب الصيد مشيرة إلى أزعاجها بعض مخلوقات الصحراء وظهر وعل وغزال يتسابقان فى جنون فوق الحصى والرمال فى اتجاه الحظيرة وخلفهما كلاب الصيد والرجال يصرخون بصوت عال وكان رئيس الصيادين قد نظم رجاله تنظيما طيبا كان من جرائه أنهم استطاعوا بفضل صراخهم وبفضل ما أتته كلاب الصيد من مهارة فى التضييق على الحيوانين التعيسين أن سيقا إلى الحظيرة . وهنا جاء دور نخت وأصحابه الذين انهالوا على الفريستين بسهام فسقط الغزال لتوه بعد أن أصيب فى قلبه أما الوعل فجرح فقط واندفع يدور فى المكان وهو يجأر بالألم — أما كلاب الصيد التى كانت قريبة من أعقابه فسرعان ما طرحته أرضا وانشبت فى رقبة الحيوان التعس أنيابها لتكمل عمل الرماة .

www.ibtesama.com/vb

وتتابع ذلك الأمر فى رياضة الصباح وكان محصول الصيد غزالا آخر واثنين من الوعول وثلاث عنزات برية وزوجا من الأرانب وهكذا حصلت الجماعة على غذائها واتخذت طريق العودة نحو المعسكر حيث الراحة والظل استعداداً لوجبة الظهيرة .

والوصف الذى قدمناه كاف ليبين نوع الصيد الذى كان يستطيع الرجل المتوسط الثراء أن يمارسه ولكن بعض الصيادين الأكثر جشعا كانوا يسعون إلى صيد أكبر . وكان رئيس الرياضيين جميعاً هو فرعون الذى كان يسعده أن يستغل حملاته الأجنبية لتسلية نفسه بالصيد حين لا يكون للحرب مكان فى عمل اليوم — ولما كان الفاتح العظيم تحتمس الثالث فى مشارف «نى» فى شمال سوريا شغل بصيد الفيلة على نطاق واسع فصاد منها مائة وعشرين وتعرضت حياة الملك نفسه للخطر عند إندفاعه ضد فيل غضوب لولا أن انقذه أحد قواده المدعو «آمون أم حب» الذى اندفع إلى الأمام وقطع خرطومه فكافأه تحتمس من أجل ذلك مكافأه سخية

وكان امنحتب الثالث كذلك صياداً عظيما وهو الذى أطلق عليه المؤرخون اليوم لقب «الرائع» والذى ربما كان والدا لتوت عنخ آمون وقد كان يفخر بصيد الاسود حتى أنه كرس مجموعة

www.ibtesama.com/vb

خاصة من جعـــلان الحجر اللامع نقشت على قاعدتها الصيغة التالية :

« حوريس الثور القوى : المتجلى فى الحق .

السيدتان : واضع القوانين ناشر السلام فى الأرضين

حورس الذهبي : العظيم فى قوته ضارب الاسيويين .

ملك مصر العليا والسفلى : نب ماعت رع .

ابن رع : « امنحتب حقا واست » المعطى الحياة .

وكذا الزوجة الملكية العظمى تى (لتعش) .

بيان الأسود التى رجع جلالته وقد صادها بنفسه من السنة الأولى إلى العاشرة ١٠٢ أسداً » .

وقد قاد نفس الملك المتحمس حملة صيد كبيرة على الماشية البرية فى الدلتا خلال السنة الثانية من حكمه ، وقد سجل هذا الحادث كذلك على قاعدة جعل محفوظ فى المتحف البريطانى :

« فى السنة الثانية تحت حكم جلالة حوريس الحى .. الخ[1] حدث شيء عظيم لجلالته : أتى رجل ليعلن جلالته (قائلا) هنالك ماشية برية فى الصحراء فى ناحية شتب » .

---

(١) ألقاب امنحتب الثالث والملكة تي السابقة .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٥

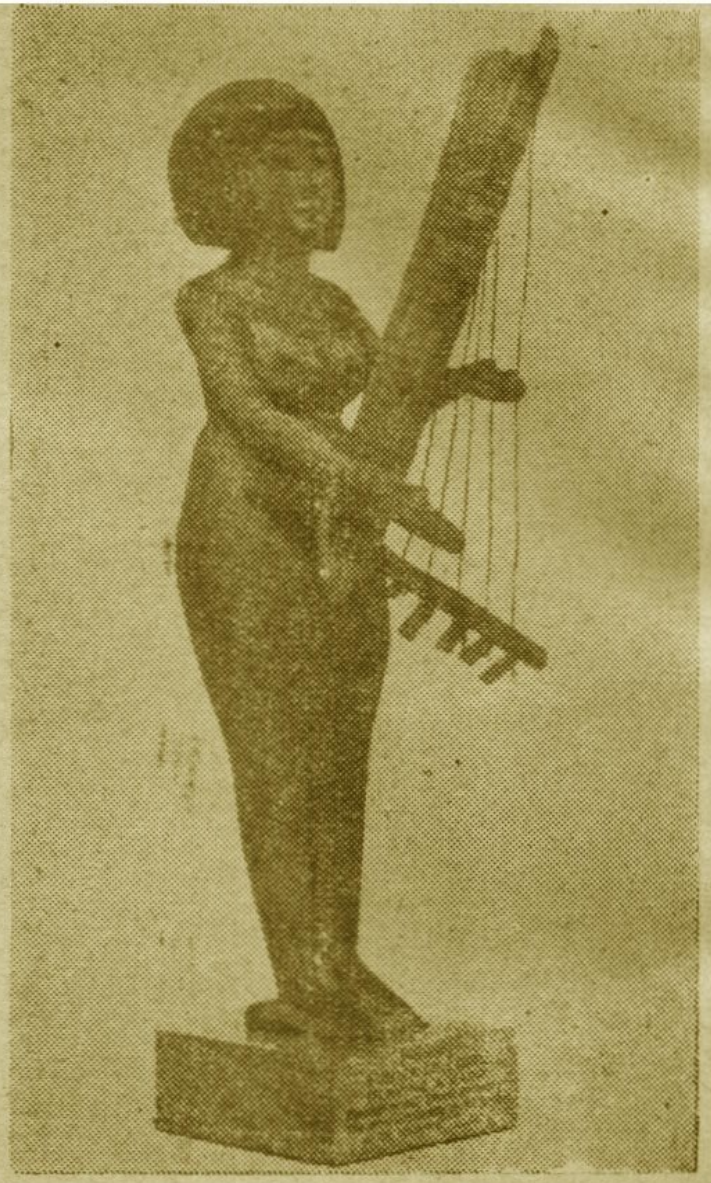

(شكل ١) تمثال من الخشب الملون يمثل فتاة
تعزف على الجنك ، الأسرة (١٩)

(شكل ٢)
صلاصل من البرونز

www.ibtesama.com/vb

لوحـة ٦

رسم من جدار مقبرة ، يمثل نبيلا مصريا يصيد الطيور ، ترافقه زوجته وإبنته

www.ibtesama.com/vb

فأبحر جلالته فى اقارب الملكى خع أم ماعت فى المساء وبعد رحلة موفقة وصل فى سلام إلى ناحية شتب عند الفجر واستقل جلالته مركبة وجيوشه تتبعه وقواد الجيش كله وجنده وأطفال الناحية أمروا أن يراقبوا الماشية البرية .

وأمر جلالته أن تحاط هذه الماشية بسور وحفرة وأمر جلالته أن تحصى كل هذه الماشية البرية وبيانها = ١٧٠ [١] من الماشية البرية .

بيان ما صاده جلالته فى ذلك اليوم ٥٦ من الماشية البرية » .

وبعد أن استراح الملك أربعة أيام ذهب مرة أخرى وصاد واستولى على عدد أكبر .

* * *

عمل نخت وأصحابه الترتيبات اللازمة لرحلة صيد فرس البحر فى اليوم التالى لرياضة الصحراء وهى عملية مثيرة فيها بعض الخطورة. وكان كل فرد من أفراد الجماعة مسلحاً بحربة خاصة بأفراس البحر وهى عصا خشبية طويلة بأحد أطرافها نصل معدنى مربوط إلى نهايتها ويمكن فصله منها وقد ربط إليه حبل طويل يجرى على طول العصا وفوق خطاف عند قاعدتها (طرفها الآخر) وحين كان يظهر أحد أفراس البحر فوق سطح الماء ليلتقط أنفاسه كان

---

(١) أى بحو وصر فى الحظيرة لرياضة الملك .

www.ibtesama.com/vb

يسرع كل واحد إلى رمحه يسدده إلى أى جزء ظاهر من جسد الفريسة .وكان السلاح المعدنى يغور فى الجلد واللحم وتكفى هزة خفيفة لتفصله عن العصا فلا يبقى فى يد الصياد بعد ذلك سوى الحبل الذى يربط النصل . أما فرس البحر المذعور من الألم فيغوص تحت الماء وتسحب الحبال حتى يرتفع مرة أخرى ليتنفس حيث تسدد إليه ضربات أخر وبهذه الصورة نراه بعد فترة من الزمن قد أرهق بسبب نزف الدماء حتى ليستطيع الصائدون سحبه إلى البر وقتله . وكانت الفريسة تحاول أحياناً الثأر بأن تهاجم صائديها الذين كان عليهم أن يحذروا دائماً هذه المفاجأة .

ورغم أن المصريين بلغ حبهم للصيد بأنواعه حداً كبيراً إلا أن ذلك لم يستتبع أن يكونوا أحراراً دائماً فى الانغماس فى ذلك المرح . فقد كان لكل مقاطعة حيوانها المقدس وكان البلاء ينزل بالصائد المهمل الذى يحاول صيد واحد من هذا النوع فى الناحية الخاصة به فى مصر ، ذلك لأنه يصبح دنساً مثلا كل من يصيد تمساحاً فى منطقة يكون فيها الإله التمساح « سبك » معبوداً كإله محلى رئيسى وربما كان عقاب مثل هذه الجريمة هو الموت . ومن هنا كان من الضرورى مراعاة الحذر حتى لا تعصى أوامر الدين فيما يتصل بالمحرمات المقدسة .

www.ibtesama.com/vb

أما اليوم الثالث والأخير من الأجازة القصيرة للشاب نخت فقد خصصها لصيد الطيور (لوحة ٦) وهى رياضة مسلية يمكن ممارستها على شواطئ مستنقعات النيل . وقد أخذ قارباً صغيراً خفيف الوزن من سيقان البردي المربوط بعضه إلى بعض وخرج بمفرده يحمل معه طعامه القليل وأدوات صيده وقطة كبيرة . وبعد تجديف استمر ساعة وصل إلى ناحية من المستنقعات تتكاثف فيها سيقان البردى وتعلو وبهذا تصبح مخبأ كافياً ثم شق مقدم زورقه خلالها حتى استطاع أن يتوسطها ووقف فى زورقه واختار عدداً من العصى الخشبية التى تنحنى بطريقة خاصة وبعضها ينتهى برأس ثعبان وأمسك بثلاثة أو أربعة منها فى يسراه ثم نقل واحدة إلى يمناه وصرخ صرخة عالية وسرعان ما ردد الهواء رفيف أجنحة طيور من مختلف الأنواع من بط وبلشون وحمام وغيرها من الطيور التى أزعجها الصوت المفاجئ وفى نفس اللحظة أسرع نخت بمجرد رؤياها وألقى عصا الرماية بينها ثم أردفها بغيرها مما كان يحتفظ به قبل أن تختفى الطيور . وطارت العصى من يده بحركة دائرية عجيبة فأصابت عدداً من الطيور سقطت فاقدة الحس أو مهيضة الجناح بين أدغال البردى وهنا جاءت فرصة القطة التى قفزت من الزورق إلى الأدغال وأحضرت الصيد لصاحبها دون أن يبتل من غير شك (لوحة ٦) .

www.ibtesama.com/vb

على هذه الصورة استمرت الرياضة حتى نبه الصياد اقتراب رع من قمة التلال الغربية إلى أنه من الخير له أن يعود قبل أن تلحقه رعشة المساء المفاجئة . . فربط نخت جعبته فى عناية وعاود التجديف نحو مدينته حيث خلف القارب إلى الرجل الذى كان قد استأجره منه ثم شق طريقه إلى حى الضباط حتى يستعد لوجبة العشاء التى كان قد دعاه إليها نس آمون وكانت نزمت قد جاءت لتعيش مع خالها نس آمون فى بيته منذ وفاة أمها وأبيها . ولقد كان نس آمون كبيراً لمهندسى فرعون المعماريين وهو بهذه الصفة من أهم الشخصيات فى طيبة . وقد كان فى هذه الفترة مشغولا فى ملاحظة إقامة مبنى جديد فى حرم معبد آمون بالكرنك وكان من بين المدعوين لتناول العشاء فى ذلك المساء كبير كهنة آمون والكاهن الثانى مع عدد من الموظفين الكبار المتصلين بالمعبد .

وكان بيت نس آمون فى الطرف الشمالى من طيبة ولما كانت الأرض فسيحة أمامه عند بنائه استطاع أن يقيم بيتاً فسيحاً متسع الأرجاء من الطراز الفاخر . . . لنتمشى فيه وندرسه بالتفصيل (أنظر لوحات ٧ — ١٠) .

إن المنظر العام للبيت هو منظر كوخ بالغ الضخامة بنى باللبن المجفف فى الشمس ويحيط به سور له بوابة بصرح صغير وقد طلى بالملاط

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٧

(شكل ١) رسم مجدد للغرفة الرئيسية فى منزل الوزير نخت بالعمارنة

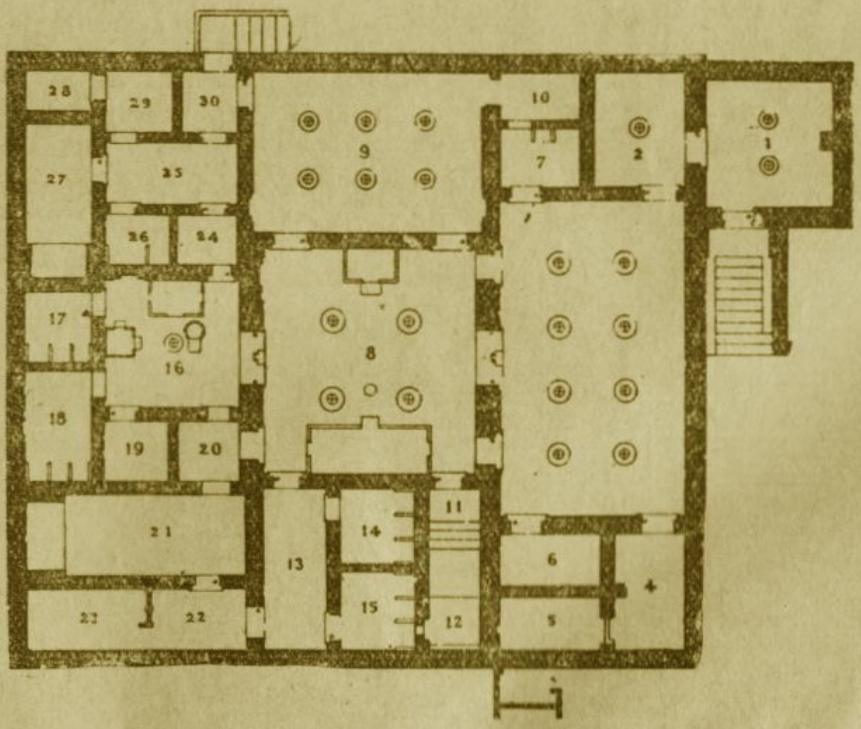

(شكل ٢)

رسم تخطيطى لمنزل الوزير نخت بالعمارنة

www.ibtesama.com/vb

لوحـة ٨

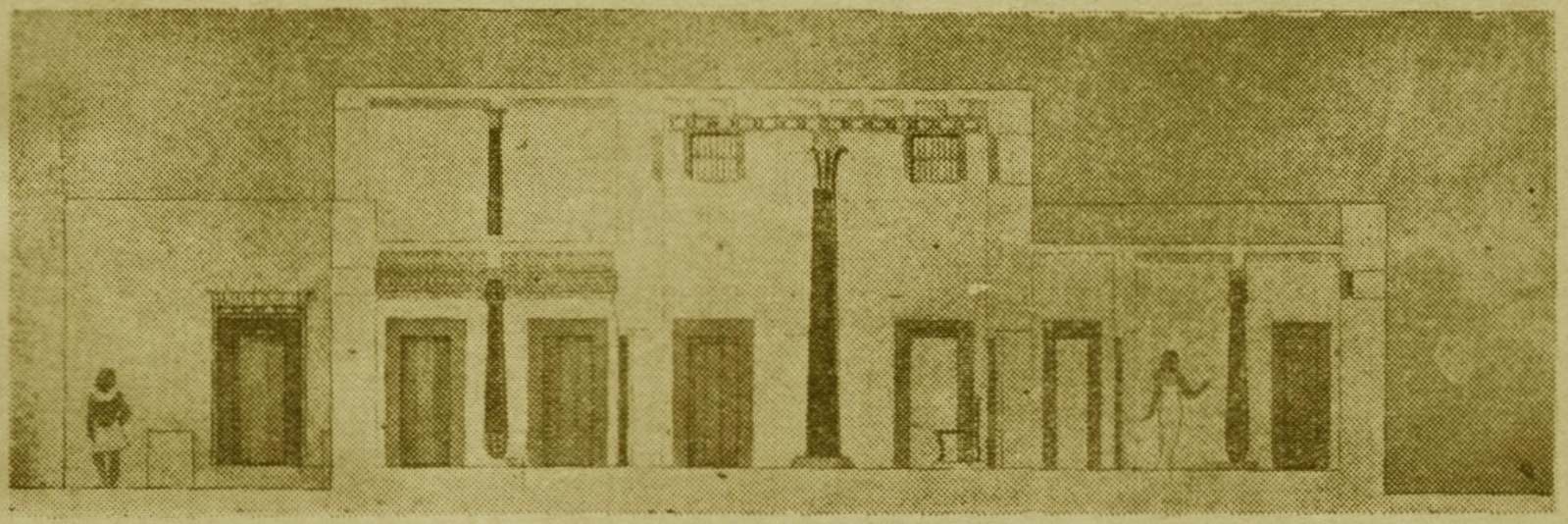

مقطع لأحد المنازل الخاصة بالعمارنة (رسم مجدد)

www.ibtesama.com/vb

الأبيض ولون بألوان زاهية وهو يؤدى إلى الحديقة وإلى ملحقات البيت الرئيسى .

أما مدخل البيت (لوحة ٩ شكل ٢) فإلى الشمال وتؤدى إليه مجموعة من الدرج ذى الارتفاع القصير . وبعد الدخول يجد الزائر نفسه[1] فى مسكن البواب(١) الذى يؤدى إلى دهليز(٢) ومنه إلى غرفة طويلة(٣) يستند سقفها على أعمدة خشبية تعتمد على قواعد من الحجر الجيرى وأما الضوء فيتسرب خلال نوافذ شبكية الطراز (لوحة ٩ شكل ١) فى أعلى الحائط من الخارج أما الحوائط من الداخل فمكسوة بطبقة من الطين رسمت عليها صور ذات ألوان وضاءة زاهية . وهذه الغرفة الشمالية مزينة بإفريز يحاكى النوافذ الشبكية الشكل وذلك بواسطة عمل ما يشبه القضبان من الطين تثبت فى الحائط وتلون . أما الرسوم فوق الباب المؤدى إلى داخل المنزل فتمثل رسم أكليل زهر سنتناول وصفه فيما بعد . ومن خلال هذا الباب ننتقل إلى الغرفة الوسطى (٨) (لوحات ٧ شكل ١ و ٨ و ١٠) وهى الغرفة الرئيسية للمنزل ويرتكز سقفها على أربعة أعمدة رفيعة تتوجها زهور اللوتس المنقوشة عليها . والغرفة أعلى من غرف البيت حتى يصل إليها الضوء عن طريق فتحات منقورة فى الحائط عند أعلى جزء فيها . وفى أحد جوانب الغرفة منصة قليلة الارتفاع من اللبن وملتصقة بالحائط ويوضع عليها مقعد

(١) هذه الأرقام وما يليها تشير إلى غرف فى الرسم شكل ٢ لوحة ٧

www.ibtesama.com/vb

صاحب البيت وهى أن غطيت بسجادة أو وسائد تتحول إلى ما يشبه الأريكة (الديوان) . وفى الجانب الآخر من الغرفة منصة أخرى أرضيتها من الحجر وسور صغير يحيط به وستار خلفى من نفس المادة (لوحة ١٠) وهذا هو المعروف بحوض الغسيل حيث يغتسل الناس قبل تناول طعامهم إذ يصب الماء على أيديهم من إناء كبير معد لذلك . وفى أرض الغرفة صحن قليل الغور من الفخار موضوع فى مبنى بحجمه من الطوب يستعمل كمدفأة لتدفئة الغرفة فى الأمسيات الباردة .

وقد رسمت حول الغرفة فى الأجزاء العليا من الجدران المغطاة بالطمى رسوم بألوان وضاءة تمثل أكاليل الزهور والفاكهة ويحوى كل اكليل صفوفاً من أوراق اللوتس البيضاء تتحول إلى زرقاء عند الأطراف وكذا أوراق الخشخاش الحمراء والعنبر الأزرق وثمار تفاح الجن الصفراء ويختلط بزهور الخشخاش بط مذبوح برؤوس خضراء وحمراء يتدلى إلى أسفل أكاليل زهر الخشخاش من خارج حافتها . أما سقوف غرف البيت فمن سعف النخل المغطى بالطمى والموضوع فوق ألواح خشبية مغطاة بملاط من الطمى الملون والعارضة الخشبية الكبرى فى الغرفة الرئيسية مزخرفة بزخارف حمراء وزرقاء وخضراء وصفراء أما الألواح الأخرى فلونها برتقالى وأما السقف فمدهون باللون الأبيض وللغرفة الرئيسية

www.ibtesama.com/vb

بابان يؤديان إلى قاعة (٩) تقع فى الناحية الغربيـة من المنزل مخصصة لجلوس الأسرة فى أيام الشتاء ويدخل إليها الهواء دون أن يحس الجالس فيها بقر الرياح التى تهب فى ذلك الوقت من السنة. وهناك باب آخر يؤدى إلى غرفة تشبه الغرفة الرئيسية وإن كانت أصغر حجماً (١٦) وهى الغرفة المخصصة للنساء حيث يقمن فى هذه الناحية من المنزل .

أما غرفة نوم (٢١) صاحب البيت نفسه فقد اعتنى بتصميمها فالحوائط أكثر سمكاً حول المنصة المرتفعة التى يوضع السرير فوقها حتى لا يحس ببرد الشتاء أو بحرارة الصيف الشديدة وأما السرير نفسه فمصنوع من شبكة من الخيوط الكتانية المثبتة فى إطار من الخشب وقوائم السرير منحوتة على شكل قوائم الأسد أما اللوح الخلفى فتزينه صور الإله بس والإلهة تاورت والسرير لا تستند قوائمه على الأرض بل على دعائم صغيرة من الحجر الجيرى . أما الوسادة المستعملة على السرير فهى مصنوعة من الخشب أو العاج (لوحـــة ١٣ شكل ١) وهى أداة لا تتمشى مع فكرتنا عن الراحة المنشودة .

ويقع الحمام إلى جانب غرفة نوم صاحب البيت . وليس فيه مايشبه حوض الاستحمام بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة ذلك لأن من يريد الاغتسال كان يقف على منصة حجرية ذات حافة

www.ibtesama.com/vb

مرتفعة ويصب الخادم الماء الدافىء فوقه وينصرف الماء بواسطة ثقب إلى أناء كبير مدفون فى الأرض . وعلينا أن نذكر أن الشرقيين يكرهون فكرة النزول إلى الماء الذى يغتسلون فيه وهم يفضلون أن يصب الماء فوقهم حتى ينزل بالأقذار عن أجسامهم . وأرض الحمام وحوائطه مغطاة بملاط من الأسمنت حتى تقاوم مايتناثر من ماء عليها . . . ويلى الحمام مرحاض أرضى له مقعد من الحجر الجيرى المحفور .

وهناك باب من الناحية الشرقية للغرفة الرئيسية يؤدى إلى سلم (١١) يصل إلى الطابق الأول حيث توجد قاعة بطول واجهة البيت وهى مكان تفضل النساء قضاء يومهن فيه ويحيط بالمنزل حائط يضم المبانى الملحقة بالمنزل وهى المطابخ والمخازن والشون وغرف الخدم وحظائر الحيوان وكذا الحديقة ... والحديقة معنى بتصميمها وتزويقها ففيها أحواض مستطيلة منظمة وفيها بركة تحوى الاسماك وتنمو بها زهور اللوتس .

والآن وقد حان وقت مجىء المدعوين للعشاء نرى نسامون فى ملابسه الكتانية النظيفة ينتظر وصول ضيوفه فى الغرفة الرئيسية وسرعان ماتلحق به زوجه التى تساعده فى الإشراف على وليمة المساء وكانت نظرة المصريين إلى المرأة نظرة تقدمية فى حين

www.ibtesama.com/vb

المعقول . . فكان للرجل أن يتخذ أكثر من زوجة شرعية[١] وكان يستطيع أن يقتنى محظيات عديدات فى نفس الوقت ولكن زوجه الشرعية كانت تلعب دوراً له قيمته فى حياة الأسرة . وفى صور المقابر تمثل الزوجة دائماً وهى تصحب زوجها سواء أكان يلهو أم يصيد وكان اسمها يقرن بنعوت مثل « زوجته المحبوبة . . الأثيرة لديه » تكتب على كل الحوائط . . وكانت فى الحياة رفيقه المبجل ومنذ أقدم العصور كان الأمر كذلك ودليلنا على هذا أن الحكيم بتاح حتب فى كتاب وصاياه يقدم النصائح التالية :

« إذا كنت رجلا معروفاً فكون لنفسك أسرة وأحبب زوجك فى البيت كما يليق بها . املأ بطنها واكس ظهرها واعلم أن الضموخ علاج لأعضائها . . أسعد قلبها ما دامت حية لأنها حقل طيب لمولاها[٢] » .

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك أمراً أشد أهمية ذلك أن النسب إلى الأم كان أمراً يبرز بوضوح وكان يبين فى صورة أوضح فى حالة الأسرة المالكة لأن فرعون لم يكن يستطيع الوصول إلى العرش أو يكتسب شرعية كاملة له ما لم يتزوج من

---

(١) لم يكن هذا أمراً شائعاً على أية حال فمعظم المصريين اكتفوا بزوجة واحدة وإن كنا أحياناً نجد زوجتين فى وقت واحد .

(٢) الترجمة مأخوذة من أرمان وبلاكمان فى كتاب « آداب قدماء المصريين » .

www.ibtesama.com/vb

وريثة ملكية لأن ذلك كان يؤكد أن دم إله الشمس يجرى فى عروق وريثه وأن الخط الشمسى النقى يظل مستمراً على هذه الصورة . وقد شجع هذا المعتقد الدينى الملوك على الزواج من أخواتهم وهو أمر لم يكن مستغرباً لدى المصريين بل وكان شائعاً فى كل طبقات المجتمع .

أما المحظية فكانت شيئاً آخر غير الزوجة الشرعية ولم يكن لها وضع قانونى من أى نوع وكان من الممكن طردها طبقاً لإرادة مولاها والأغلب أن المحظيات كن من طبقة الخادمات اللواتى يستخدمن فى البيوت .

إن الضيوف يصلون تباعاً بعضهم فى عربات وبعضهم سيراً على الأقدام ويرحب بهم المضيف والمضيفة فى القاعة الرئيسية . وللتو تبدأ الوجبة ولكن على كل ضيف أن يغتسل فيصب الماء على يديه فى حوض الاغتسال قبل أن يأخذ مكانه المعين له ولما كان الكاهن الأكبر لآمون وكاهنه الثانى أكبر الضيوف مقاماً فإنهما يجلسان على مقاعد إلى جانبي نسامون وزوجته فوق منصة الطوب المرتفعة أما باقى الضيوف من ذوى المراتب الرفيعة كذلك فلهم كراسيهم فى أنحاء الغرفة وأما الباقون فيجلسون على الحصائر فوق الأرض .

www.ibtesama.com/vb

وحين يجلس الضيوف جميعاً يقدم خادم لكل مدعو من المدعوين زهرة لوتس وكان من المعتاد أن يلهو الإنسان بالزهرة فيشمها أو يقربها من أنف جاره أو جارته .

وتمثل المجموعة من المدعوين منظراً يبعث السرور فى النفس (لوحة ١١) فالرجال والنساء يرتدون الكتان الأبيض المقوى (لوحة ١٢) ويلبسون شعوراً مستعارة مجعدة (لوحة ١٣ شكل٢) سوداء اللون فوق شعورهم الأصلية[1] . وحول رقابهم قلائد لامعة من الخرز المزجج من مختلف الألوان (لوحة ١٤ شكل ٢) كما أن هناك معاضد وخلاخيل حول الأذرع والسيقان وكان بعضهم مثقوب الأذن حيث يضع حلقاناً دائرية ضخمة من القاشانى الملون . أما الحواجب عند الرجال والنساء فكانت تطلى بطلاء أسود . وأما أظافر اليدين والقدمين فكانت تصبغ بالحنة . وكان خضاب العين الذى يماثل الكحل اليوم فى مصر من نوعين الأسود والأخضر وكان يوضع فى أوانى صغيرة من المرمر أو القاشانى أو أية مادة أخرى وهناك نماذج لهذه الأوانى فى المتحف البريطانى (تمثلها لوحة ١٥) ومعها مراودها الصغيرة التى

---

(١) كان المصريون يقصون شعرهم عادة قصاً قصيراً تحت الشعر المستعار أما شعر النساء فلم يكن من الضرورى أن يكون كذلك وكان الشعر المستعار يصنع عادة من الشعر البشرى .

www.ibtesama.com/vb

تستخدم فى التكحل ولعل أجدرها بالعناية هما رقما ٢٧٣٧٦ و٢٥٧٣
أما الأول فمن القاشانى الأزرق وعليه اسم توت عنخ آمون باللون الأسود . وأما الآخر فمن القاشانى الأبيض وعليه اسم توت عنخ آمون وزوجه الملكة عنخ إس إن آمون . وكان الجفنان والحاجبان تدهن بالكحل جميعها بنفس الخضاب وكان يضاف خط سميك تحت العينين لتظهرا متسعتين ويمكن مشاهدة صندوق خشبي للزينة لسيدة مصرية فى لوحة ١٦ التى يظهر بها إناءان من المرمر للدهون وإناء لكحل مزدوج ومشط وزوج من النعال وأشياء أخرى .

ها هو ذا الطعام يوضع بالقرب من الضيوف على موائد منخفضة وفى كل جوانب القاعة جرار النبيذ مثبتة فى قواعد ومزينة بالزهور . أما العشاء فوافر الكمية يحوى شـــواء اللحم البقرى والدجاج والبط والحمام والخضروات والفاكهة وكمية ضخمة من مختلف أنواع الخبز المصنوع فى مختلف الأشكال . أما الشراب فجعة الشعير والنبيذ الذى يوضع فى جرار النبيذ التى تحمل اسم الكرم والعام الذى تم فيه تعبئته (لوحة ١٧ شكل ١) إن الضيوف يشربون فى هذه الوليمة من أكواب يعنى الخدم بأن تظل دائماً مليئة وهناك طريقة تختلف عن ذلك تماماً فيما يتصل بامتصاص النبيذ كان يستخدمها المصريون وهى أسلوب ربما نقل عن آسيا

www.ibtesama.com/vb

مؤداه استعمال مصاصة تظهر أهم أجزائها فى لوحة ١٧ شكل ٢ وهى عبارة عن أنبوبة على شكل الزاوية من المعدن وهو هنا الرصاص تثبت فى كل من فرعيها قصبة جوفاء إحداهما أفقية إلى فم الشارب والأخرى تنغمس فى جرة النبيذ حيث تنتهى بصفاة من الرصاص . وهكذا كان الشخص الذى يشرب على هذه الصورة قادراً على الجلوس على كرسى مريح وهو احتياط نراه بالغ الضرورة حين نتخيل النتائج التى قد تنجم عن مزاح يشك فى آثاره وهو ما نفعله اليوم حين نغرى شخصاً بأن يشرب كوباً من الـ « بورت » عن طريق المصاصة .

وفى نفس الوقت تلعب إحدى الفرق الموسيقية المكونة من فتاة ومعها جنك خفيف (لوحة ٥ شكل ١) ورجل يلعب على العود وآخر يداعب أوتار جنك ضخم ينهض على الأرض . وتضم هذه المجموعة امرأتين إحداهما تضرب على دف مستطيل والأخرى تعزف على المزمار (لوحة ٤ شكل ٢) ثم ثلاث نساء أخريات يجلسن على الأرض ويصفقن بأيديهن فى ايقاع منتظم مع الموسيقى . ومن وقت لآخر ينشد الموسيقيون أغنية يمجدون فيها روعة طيبه وإلهها آمون رع ، مثل :

« ما أقوى آمون رع المحب الإلهى حين يشرق فى الكرنك مدينته سيدة الحياة » أو « ما أسعد معبد آمون . . حتى تلك التى

www.ibtesama.com/vb

تقضى أيامها فى أعياد مع ملاك الآلهة فيها ..إنها مثل امرأة مخمورة تجلس خارج غرفتها بشعرها غير المربوط » [١] .

وحين يتناول الضيوف طعامهم يتقدم خادم يدور بإناء من المرمر ملىء بالدهون ذات الرائحة ويأخذ منه جانبا يضعه فوق رأس كل ضيف . وحين تمتد الحرارة إلى الدهن يذوب ويسيل على رأس الشخص ووجهه فيدخل إلى نفسه سروراً وسعادة كبيرين. أما ما يحدث للشعر المستعار بعد ذلك فأمر نتركه للخيال [٢] .

وخلال ذلك كله كان الشراب يدور فى حرية والنساء يقرعن اكوابهن مع الرجال وتقول واحدة « ناولنى ثمانية عشر قدحا من النبيذ إننى أريد أن أشرب حتى انتشى .. أن داخلى مثل القش » وسرعان ما يحل السكر بنصف الجماعة وتبدأ الاحداث التى تدعو إلى الأسى تحل بها فواحدة من الجالسات على الحصير نرى شعرها المستعار على جانب من رأسها وثوبها ينزلق عن إحدى كتفيها ومن الواضح أنها تحس بأنها ليست على ما يرام فيندفع نحوها خادم بإناء . . ولكن الوقت يكون قد فات للاسف .

---

(١) ترجمة الدكتور جاردنر The Tomb of Amenemhet P. 63

(٢) فى الصور الملونة نرى زى المصرى يظهر دائماً مغطى ببقع مائلة إلى السمرة نتيجة سقوط الدهون عليها (مثل لوحة ١١) .

www.ibtesama.com/vb

أما كاهن آمون الأكبر الذى تناول وجبة عشائه فى زهد واضح فقد بدأ يلقى نظرة على المنظر الصاخب بعينين نفاذتين . . وأما نسامون فيدرك أن الوليمة يجب أن تنتهى عند هذا الحد . . . فينادى أحد خدمه وينبه عليه بأن يخبر أتباع هؤلاء الضيوف الذين أمسوا غير قادرين أن يأتوا لأخذ سادتهم وسيداتهم . وحين تتم معاونة أولئك على الوصول إلى الباب يحس بقية الزوار أنه من الواجب عليهم كذلك أن ينصرفوا ولذا فانهم يستأذنون فى أن يغادروا الدار . . . وأخيراً يذهبون جميعاً ولا يبقى سوى صوت عازف الجنك يغنى أغنية تسمع عادة فى ولائم الجنائز ، ولكنها تمثل وجهة نظر المصريين فى الحياة .

« تذهب الأجساد وتبقى أخرى منذ زمن أولئك الذين مضوا من قبل : أن الآلهة الذين كانوا فيما مضى يستقرون فى أهرامهم وكذلك النبلاء والممجدون المدفونون فى أهرامهم .

وأولئك الذين شادوا المنازل . . . أين سكانها .

وما ذا جرى لهم .

لقد استمعت إلى أحاديث أمحتب وحرددف [1] التى يرددها

---

(١) حكيمان قديمان مشهوران .

www.ibtesama.com/vb

الناس فى كل مكان . . أين مسكناهما الآن ؟ لقد سقطت جدرانها ولم يبق لها أثر كأن لم تكن موجودة من قبل .

لا أحد يعود من هناك حتى يقص علينا ما جرى لهم . أو ما يحتاجون إليه . حتى تستريح نفوسنا إلى أن نذهب نحن كذلك إلى حيث ذهبوا .

أمرح حتى ينسى قلبك أن الرجال سيطوبونك يوما[1] .

اتبع رغبتك طالما أنت حى . . ضع المر على رأسك وارتد الكتان الرقيق .

وضمخ نفسك بما وهب الله من الروائع الحقيقية .

ضاعف أفراحك ولا تدع قلبك يذوى . . أتبع رغبات قلبك واصنع الطيبات لنفسك ، إفعل ما تريد على الأرض ولا تجعل قلبك يضيق ذرعاً بك حتى يأتى يوم العويل . . ومع ذلك فان ذا القلب الساكن[2] لا يسمع عويلهم . . . والصراخ لا ينجى الإنسان من العالم السفلى[3] » . .

---

(١) احتفال فى الجنازة (٢) أوزريس إله الموتى

(٣) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثالث

الآلهة وعبادتها

لقد سمعنا حتى الآن بعض الشيء عن آلهة المصريين وعن أمون بصفة خاصة فلنتعرف إليهم فى هذا الفصل أكثر من ذى قبل لندرك أية صورة اتخذتها عبادتهم .

أنه لم يكن هناك شيء يعرف باسم « دين مصرى » ذلك لأن كل مقاطعة كان لها إلهها الخاص وقصة الدين فى مصر القديمة هى القصة التى تحكى كيف أن هذا الإله أوذاك نجح كنتيجة لأحداث سياسية فى أن يستحوز على الزعامة فترة من الزمان . ومع ذلك فقد كان هناك إلهان ظلا أهم الآلهة طوال التاريخ هما إله الشمس وأوزيريس (لوحة ١٨ شكل ١) الذى كان هو النيل والتربة والزراعة فى وقت من الأوقات . ولقد كانت الشمس والنيل بالنسبة للمصريين أقوى مظاهر الطبيعة التى تتحكم فى حياتهم ولذا اتجهت العبادة الأساسية إليهما . ولقد كانت المعتقدات المتصلة بإله الشمس وباوزريس متباينة أصلا فالأول كان فى نظرهم ملكا يحكم فى السماء على حين كان الآخر يحكم المملكة الموحشة تحت الأرض .

www.ibtesama.com/vb

وكان إله الشمس يستقبل رعاياه حين يموتون فى مملكته السماوية أما أولئك الذين يعبدون أوزيريس فينزلون إلى العالم السفلى. وبمرور الأيام اختلط الدينان ببعضهما حتى لنرى فى الدولة الحديثة أنهم كانوا يعتقدون أن إله الشمس كان يزور دولة أوزيريس فى الليل وينيرها بضوئه.

وكان مقر إله الشمس مدينة هليو بوليس وهى تقع فى شمال شرق القاهرة الحالية وكان يعبد هناك كرع وأتوم وهو كرع يمثل على شكل رجل برأس الصقر يضع فوق رأسه قرص الشمس المحوط بصل وهو كأتوم يظهر فى الصورة الإنسانية لابساً التاج المزدوج لمصر. وكان رع أتوم طبقاً للأساطير خالق نفسه بنفسه وهو الذى خلق أولا الآلهة بأن بصق من فمه الإله شو والإلهة تفنوت وهما تجسيدان للهواء والرطوبة على التوالى ثم رزق هذا الزوج بطفلين هما جب إله الأرض ونوت إلهة السماء وحين تعانق الإثنان فصلهما شو ورفع نوت عالياً تاركا جب مستلقيا إلى أسفل. وهكذا استقرت السماء والأرض كل فى مكانها ثم رزقت نوت من جب بأطفال أربعة هم أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس. ويكون هؤلاء الآلهة التسعة التاسوع الأكبر لمدينة هليو بوليس.

وفى العصور العتيقة البهمة قبل أن يلى الرجال العرش كانت

www.ibtesama.com/vb

الآلهة تحكم مصر وكان رع إله الشمس أول ملك إلهى . وكان حكمه مجيداً ولكن حين تقدمت به السن وأصبحت « عظامه فضة وجسده ذهباً وشعره لازوردا حقيقياً » بدأ البشر يأتمرون به وسمعهم رع واستشاط غضباً فدعا مجمع الآلهة ليروا رأيهم فيما يصنع بالبشر الذين خلقهم وجاء القرار بأن تخرج عين رع فى أشد صورها رعبا وهى صورة حاتحور وتذبح الجنس البشرى ونفذ القرار وبعد أن أفنت الإلهة عدداً ضخما من البشر هدأت نفس إله الشمس . ورأى أن حاتحور تستمتع بذلك الأمر وإنها لا تطيق أن تكف عنه فاتبعت الحيلة للإبقاء على البشر وذلك بأن عصرت وجهزت سبعة آلاف جرة من الجعة القوية ولونت باللون الأحمر حتى تحاكى دم البشر وأريقت على الأرض حتى غمرت الحقول فلما جاءت حاتحور فى اليوم التالى لتستأنف مهمة الذبح وجدت صورة وجهها منعكسة على صفحة الجعة فتوقفت لتشربها «وشربت واستمتعت بالشراب حتى انتشت فلم تعد تعرف البشر » .

وكان إله الشمس يبحر كل اليوم فى قاربه عبر السماء من الشرق إلى الغرب وكان الآلهة هم بحارته الذين يقومون على خدمته . وكان هو طفلا صغيراً حديث الولادة عند الفجر ولكنه كان يسارع فى النمو كلما تقدمت الساعات حتى لنراه فى وسط النهار رجلا مكتمل القوة ثم يبدأ يتقدم فى السن بعد الظهر حتى تأتى

www.ibtesama.com/vb

ساعة الغروب فيتحول إلى شيخ أحنى الضعف ظهره .

وكان يسعد المصرى أن يشهد الشمس ساعة شروقها وكانت قصارى آماله أن يحيا بعد الموت وقد جاء فى الفصل الخامس عشر من كتاب الموتى « تحية لك أيها القرص ياسيد الأشعة الذى يضئ فى الأفق كل يوم . أشرق فى وجه الأوزيريس (س)[1] إلا ليتقدم نحوك بالعبادة فى الصباح الباكر إلا ليهدئك فى المساء دع روح الأوزيريس (س) تصعد معك إلى السماء . دعه يرتحل فى قارب المعنجت[2] ، دعه يدخل إلى المرفأ فى قارب المسكتت . دعه يمتزج بنجوم السماء التى لاتفنى . . الولاء لك أى حورختى الذى هو خبرى خالق نفسه . ما أجمل إشراقك فى الأفق حين تضىء الأرضين بأشعتك . إن الآلهة جميعاً يسعدون حين يشهدونك كملك فى السماء » .

وعلى ذلك فإن الشخص كان يأمل سواء أكان رجلا أم امرأة أن يحمل فى قارب الشمس وأن يبحر عبر السماء فى حضرة رع ذى البهاء .

---

(١) يوضع هنا اسم الميت .

(٢) إسمان لقاربي رع اللذين يستعملهما الأول قارب الصباح والثاني قارب المساء والليل .

www.ibtesama.com/vb

ولم يكن إله الشمس يرتحل عبر السموات فى هيئة رجل برأس صقر فحسب بل فى صورة جعل هو الجعل المقدس . وكان من عادة هذه الحشرة أن تضع بيضها فى كتلة من الروث كمثرية الشكل تدفنها بعد ذلك وحين تفقس اليرقات تغتذى الصغار على الروث . ذلك إلى أن الجعل يصنع كرة من الروث لطعامه يدحرجها على الأرض بين ساقيه . . ولما كان المصريون يجهلون كتلة الروث الكمثرية الشكل ويظنون أن كرة الطعام هى التى تفقس منها اليرقات فقد رأوا فى الجعل رمزاً لإله الشمس يدحرج أمامه قرص الشمس عبر السماء . ولما كانت الشمس مصدر الحياة وهى فى الوقت نفسه خالقة نفسها فانه كان يظن كذلك أن صغار الجعلان كانت تأتى من لاشىء .. وكانت المقارنة صارخة ولذا فأنت تجد إله الشمس يصور غالباً فى صورة الجعل كأنما هو خبرى . وقد استعملت آلاف النماذج من الجعل المقدس من الأحجار المزججة أو القاشانى برسوم ونقوش محفورة على قاعدتها واستخدمت كأختام وتمائم وتزخر بها اليوم المتاحف والمجموعات الخاصة .

وحين يحل المساء وينزل إله الشمس خلف التلال الغربية كان يدخل إلى بوابة العالم السفلى . ولقد أبحر قاربه حتى الآن عبر النيل السماوى أما الآن فالنهر يجرى فى جوف الأرض خلال اثنى عشر كهفاً مظلما تقابل ساعات الليل الاثنتى عشرة . ولاوزيريس السيادة فى هذا الإقليم فهو يحكم الموتى . بل أن إله

www.ibtesama.com/vb

الشمس نفسه يعتبر من بين الأموات ذلك لأنه فى هذا الجانب من رحلته لا يدعى « رع » بعد بل يدعى « إيوف رع » التى تعنى « جثة رع » . وكل قسم من الدوات أو « العالم السفلى » تحميه بوابة تحرسها أفاعى مفترسة تنفث النار وتعتمد أرواح المرتحلين المبحرين مع إله الشمس على قوته فى حمايتهم وفى اختراقهم إياها سالمين . وبين القسمين الخامس والسادس من الدوات تقع قاعة المحاكمة لأوزيريس وهنا يقرر مصير الأرواح . وحين يشق قارب « إيوف رع » طريقه يجره شياطين العالم السفلى يُشاهد الموتى المباركون والأشرار المعذبون فيفرح الأخيار لفترة قصيرة بالضوء الذى أتى به إله الشمس إلى عالمهم المظلم . . أما أقسى محنة يمر بها قارب الشمس فهى مقابلة الثعبان المسمى عابب الذى يحاول ابتلاع الاله وحاشيته ولكن سحر أيوف رع بالغ حد القوة بما يرد الوحش مهزوما على الدوام . وعلى ذلك فإن إله الشمس يندفع فى كل بهائه فوق الجبال الشرقية حيث يبدأ يوم جديد . وطالما تتردد قصة هذه المرحلة بالكلمات والصور فوق حوائط المقابر الملكية الكبرى « فى وادى مقابر الملوك » بطيبة وهى ما يعرف بـ « كتاب الـ « ايمى دوات » وهناك قصص مشابهة للرحلة كقصه « كتاب البوابات » ويستطيع القارىء أن يجد مثلا طيباً له منقوشا على تابوت من المرمر الجميل صنع للملك سيتى الأول ثانى فراعنة الأسرة

www.ibtesama.com/vb

التاسعة عشرة (حكم بين ١٣٢٠ — ١٣٠١ ق . م) محفوظ فى متحف سون فى لنكولنز إن فيلدز .

وكان ملك مصر الممثل الأرضى لإله الشمس فهو إبنه وتجسده الفعلى . وكان الإله الصقر القديم حوريس وهو صورة من إله الشمس هو المعبود الراعى للخط الملكى وطالما كان يشار إلى الملك كأنما هو « الحوريس » . وكان الملك نفسه فعلا واحداً من الآلهة ولكنه كان يسمى فقط « بالاله الطيب » خلال حياته وهو « يصبح » الإله « العظيم » بعد موته . وحين يولد الملك كان يظن أن إله الشمس يظهر لأمه فى صورة زوج لها وعلى ذلك فإن الطفل الذى يحمل به كان كله إلهيا .

ولما استولى أمراء المدينة الجنوبية طيبة على عرش مصر وأسسوا الأسرة الحادية عشرة ارتفع إله هذا الاقليم إلى مركز السيادة حتى تساوى مع إله الشمس . وكان هذا الاله يسمى آمون وكان أصلا معبود الريح ثم عبد فيما بعد كتجسيد لقوة الطبيعة المنتجة وكمعبود للتناسل الجنسى . ويمثل عادة (لوحة ١ شكل ٢) على هيئة رجل ملتح يضع فوق رأسه ريشتين ويمسك فى يده بصولج أو فى صورة إله المنطقة المجاورة وهو الإله « من » يضع نفس الريشتين ولكن ذراعه اليمنى مرفوعة تمسك بسوط وعصو تناسله منتصب .

ولكى يؤمن كهنة طيبة مركز الصدارة لإلههم قرنوه بإله

www.ibtesama.com/vb

الشمس القديم ومن هنا عرف تحت اسم آمون رع إله الدولة فى مصر خلال الدولة الحديثة ابتداء من ١٥٨٠ ق . م وهو الأب الإلهى لملوك الأسرة الثامنة عشرة والأسرات التالية . وآمون رع « ملك الآلهة » هو الذى ساعد أمراء طيبة على طرد الهكسوس المكروهين ملوك الرعاة من مصر وعلى تأسيس الأسرة الثامنة عشرة . وآمون رع هو الذى ساعد فرعون ابنه على الانتصار فى حملاته الخارجية وعلى إخضاع سوريا وفلسطين والنوبة لجيوشه الفاتحة. وإننا لنرى الفرعون تحوتمس الثالث الذى كسب لمصر امبراطوريتها الآسيوية يقف أمام آمون رع فيخاطبه الإله قائلا :

« أنت تأتى إلى وتسعد حين تشهد مفاتنى أى بنى وحارسى » من خبر رع » الذى يعيش إلى الأبد ... أنا اضىء حبا لك . قلبى يسعد بقدومك الجميل إلى معبدى ويداى تفيضان الحماية والحياة على أعضائك.

لقد جئت لأجعلك تطأ امراء فلسطين . . .
إننى أنثرهم تحت قدميك فى انحاء بلادهم
إننى أدعهم يشهدون جلالتك كسيد للإشعاع
أنت تضىء فى وجوههم مشابهة لى .
لقد أتيت حتى أدعك تطأ أولئك الذين فى اسيا
أنت تضرب رءوس أسيوى رتنو

www.ibtesama.com/vb

أنا أجعلهم يشهدون جلالتك مزوداً بكامل عدتك الحربية
حين تمسك بأسلحة الحرب فى العربة .

* * *

لقد أتيت لأجعلك تطأ أولئك الذين فى . . .
أراضى متن ترتعد خوفا منك
أنا أجعلهم يشهدون جلالتك كتمساح
سيد الرعب فى الماء الذى لا يستطيع أحد أن يقترب منه .
لقد أتيت لأجعلك تطأ أولئك الذين فى الجزر
أولئك الذين فى وسط البحر الأخضر الكبير يخشون صرختك للحرب
أنا أجعلهم يشهدون جلالتك كبطل
ظهر فى بهائه على ظهر فريسته [1] » .

وحين كان يعود كل فرعون بالغنائم والجزى ليملأ خزائنه كان يضيف مبنى وراء مبنى لبيت آمون فى طيبة حتى أصبح أكبر هيكل فى العالم القديم . ولم يلق آمون تقديره فى مصر وحدها بل أن هناك معابد بنيت تكريما له فى فلسطين وسوريا وفى النوبة فى الجنوب . وأما فى مصر فإن كهانته سرعان ما أصبحت أقوى العوامل السياسية .

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

أما مجال نفوذ أوزيريس فى أبيدوس مركز عبادة الإله إذ ذاك فكانت جد مختلفة عن دائرة أمون رع . وكان الاعتقاد يسود بأن أوزيريس نفسه (لوحة ١٨ شكل ١) كان مدفوناً فى هذه الناحية وكان كل مصرى يأمل أن يدفن هناك كذلك فى كنف « سيد الأبدية » ولما لم يكن هذا مستطاعاً دائماً لجأوا إلى وضع بديل فأصبحت العادة السائدة أن يقام أثر من نوع ما فى النواحى المجاورة . وكانت تمثل كل عام مأساة دينية فى أبيدوس تصور آلام الإله وموته وأنه لمن حسن الحظ أن حفظ لنا ملخص لها قصه أحد الموظفين الذين كان لهم دور فيها .

ومنذ بدء الأسرة التاسعة عشرة كانت قبور قدماء ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس قد أعيد الكشف عنها . وكنتيجة لخطأ فى نطق إسم واحد من هؤلاء الملوك ظُن خطأ أنه قد عثر على قبر أوزيريس الحقيق ولذا فإن مكان القبر غطى فى السنوات التالية بعدد لايحصى من الأوانى التى تحوى التقدمات النذرية التى يقدمها الحجاج .

وكانت أبيدوس على ذلك مرتبطة فى الفكر المصرى بالموت . وكان كل مصرى ومصرية يرى من واجبه أن يحج إلى هذه الناحية ليتعبد لأوزيريس وليلتمس منه نصيباً من مملكته فى العالم الآخر . ومن بين المناظر الملونة التى تزين حوائط المقابر المصريه نستطيع أن نميز صور الحج وكان من الواضح أنهم اعتقدوا أن هذه

www.ibtesama.com/vb

الصور كان من الممكن أن تحل محل عملية الحج إذا لم يكن الميت قد استطاع أداءها خلال حياته .

وكان هناك إله آخر بالغ الأهمية هو « بتاح » الذى كان يعبد فى منف وكانت هذه المدينة تعرف فى الأزمان القديمة تحت اسم « الحائط الأبيض » وتقع على الضفة الغربية للنيل مقابل المكان الذى تشغله مدينة القاهرة الحالية . وفى بدء العصر التاريخى كان لها المكان الأول فى مصر . وتحدثنا الأساطير أن مينا مؤسس الأسرة الملكية الأولى إختار هذا المكان ليجعل منه عاصمة له . ويمثل الإله بتاح دائماً على صورة رجل ملتح يرتدى ثياباً محبوكة تبرز منها يداه حاملة الصولج وكان يعتبر الإله الفنان ولذا قرنه اليونان فى العصور المتأخرة بـ « هيفاستوس » وكان الكاهن الأكبر لبتاح يحمل لقب « رئيس الصناع » وكان له مركزه البالغ الخطورة بين مختلف كهانات البلاد . وكان أشهر من شغلوا هذا المنصب على مجرى التاريخ المصرى « خع أم واس » الإبن المقرب لرعمسس الثانى ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة وأشهر فراعينها والذى لم يعش ليخلف أباه ولم يكن « خع أم واس » كاهناً فحسب بل كان كذلك ساحراً عظيما وظلت قصص سحره وما أتاه من أعمال عجيبة تروى حتى العصر الرومانى وهناك تمثال جميل له كان قد نصب أصلا فى أبيدوس يوجد الآن فى المتحف البريطانى وعليه نقوش ذات صبغة سحرية .

www.ibtesama.com/vb

وكان كهنة بتاح يعارضون التعاليم اللاهوتية لهليوبوليس معارضة مباشرة إذ كانوا يعتقدون أن بتاح كان خالق العالم وأنه تبعاً لذلك لم يلعب أتوم إله الشمس سوى دور ثانوى . ولدينا بالمتحف البريطانى نص دينى يتحدث عن كيفية ظهور أتوم فى أول الأمر كفكرة فى قلب بتاح وككلمة استطاعت أن تتردد على لسانه . ولعل هذا يذكرنا للتو بمذهب الـ «كلمة الأبدية» الـ «لوجوس» .

وهناك إله آخر هام جداً التقينا به من قبل هو الإله تحوت الذى كان يعبد فى هرموبوليس فى مصر الوسطى . ولا يمثل تحوت بتاتاً فى صورة بشرية كاملة ولكن على شكل رجل برأس أبى منجل وكان تحوت كاتب الآلهة ومخترع الكتابة وحامى العلم والمتعلمين عامة . وكان رئيس كهنته يحمل لقب «كبير الخمسة»

أما خنوم الإله برأس الكبش فقد شكل أجساد الرجال والنساء على عجلة الفخار وكان يعبد فى أماكن عدة فى مصر . وهو يعرف أكثر ما يعرف لدينا كمعبود للأقليم الواقع حول الجندل الأول ، الحد الجنوبى لمصر ، حيث كانت تقوم عبادته مع إلهتين هما : ساتت وعنقت .

وكان الناس يعبدون فى مدينة سايس فى الدلتا إلهة تسمى نيت وهى تمثل عادة تلبس التاج الأحمر للدلتا وتمسك بقوس وسهام فى يدها . وهناك إلهتان أخريان هامتان هما نخبت العقاب

www.ibtesama.com/vb

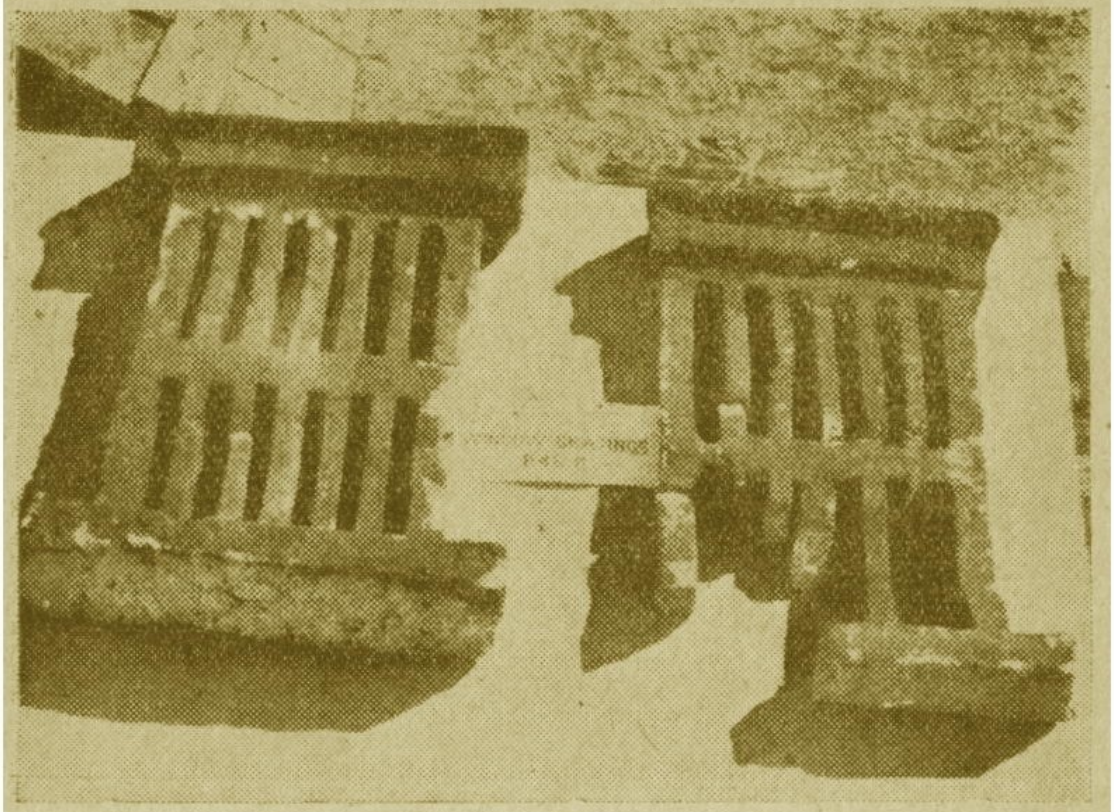

(شكل ١) نافذة حجرية ذات فتحات طولية ، من أحد المنازل الخاصة بالعمارنة

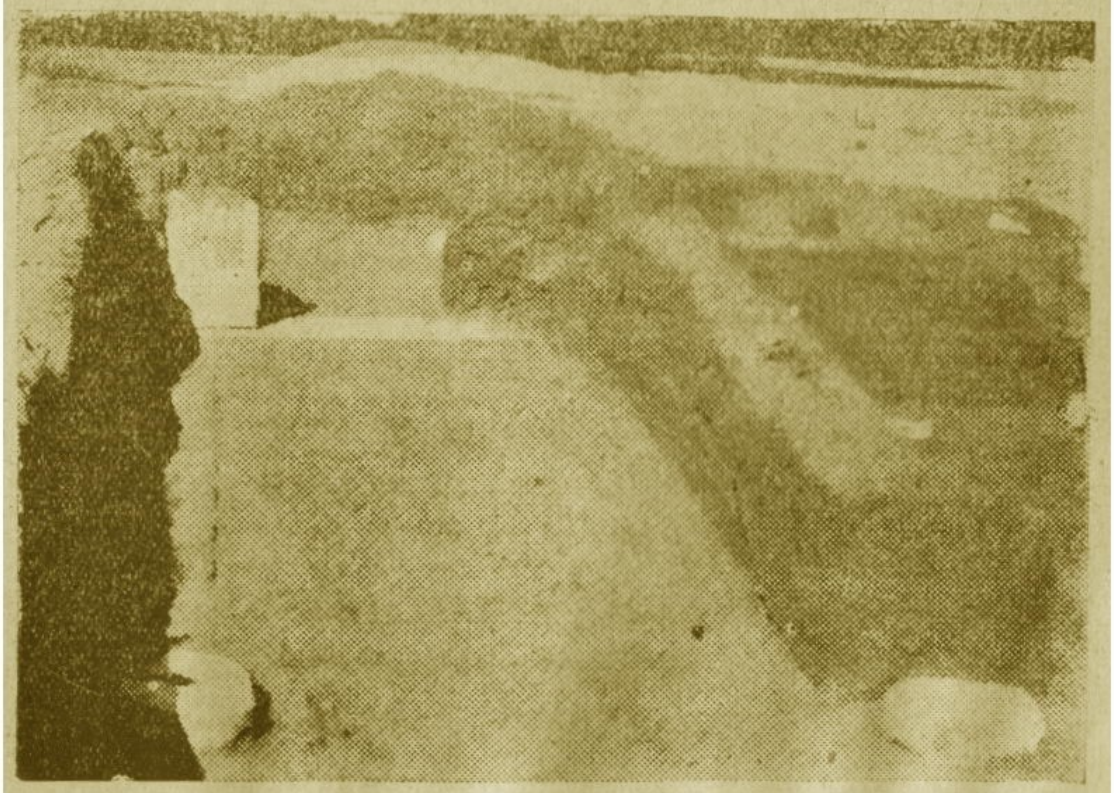

(شكل ٢) منزل الوزير «نخت» بالعمارنة ، والدرج يؤدى إلى الباب الأمامى

www.ibtesama.com/vb

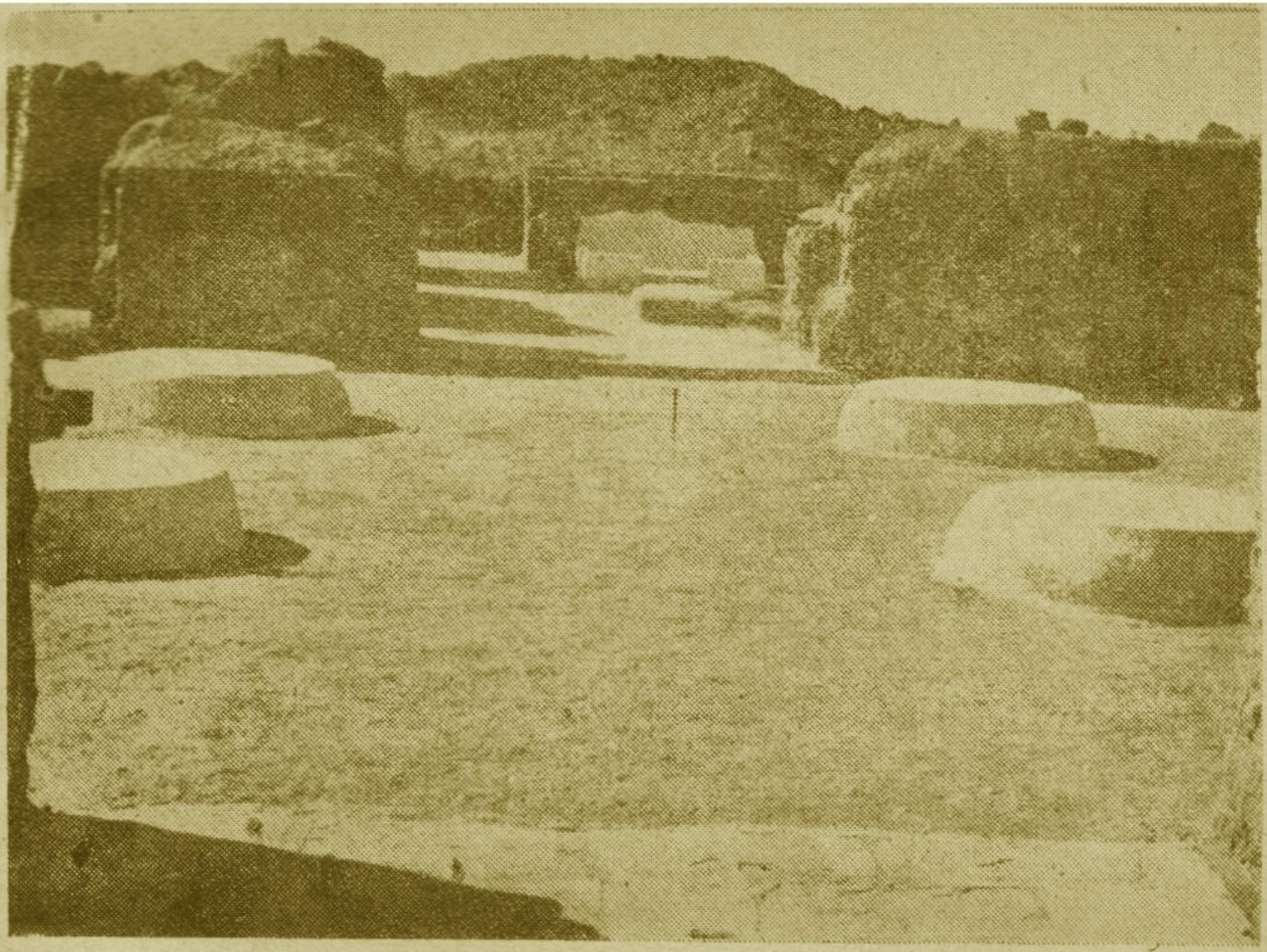

(لوحة ١٠) منظر فى بيت الوزير نحت بالعمارنة ، يطل من الغرفة الوسطى الرئيسية على غرفة جلوس السيدات ويمكن رؤية منصة الاغتسال فى الغرفة الأخيرة من خلال الباب

www.ibtesama.com/vb

وأوتو صل الكوبرا وهما المعبودتان الحاميتان لمصر العليا والسفلى على التوالى فى عصور ماقبل التاريخ وقد ظلتا كذلك حتى نهاية التاريخ المصرى . وكان فرعون يلبس على جبهته العقاب والصل. كرمزين لسلطانه على مصر كلها . وكان الصل بصفة خاصة هاماً وهو أولا وقبل كل شيء رمز الملكية وحين كان فرعون يذهب إلى ساحة الحرب كان يقال أن الصل على تاجه ينفث النار على أعدائه .

أما الإلهة التى لعبت الدور الأكبر بعد إيزيس وكانت تقترن بها غالباً فهى حاتحور التى كان هيكلها الرئيسى فى دندرة . وكانت حاتحور أصلا إلهة على شكل البقرة وإنها لتشاهد بهذه الصورة وهى ترضع الملوك الصغار . ولكن أهم أدوارها فى هذه الصورة هو دورها كإلهة للسماء . بيد أن السماء كانت تمثل فى الصور المصرية عادة كأنما هى الإلهة نوت وهى امرأة تنحنى فوق الأرض ورأسها إلى الغرب وجسدها مغطى بالنجوم وهكذا تلد إله الشمس كل صباح ويرتحل فوق جسدها فى قاربه حتى يدخل إلى فمها فى المساء ثم تبدأ العملية ثانية وهكذا دواليك . ولكن كان يحدث غالباً أن تمثل السماء فى هيئة بقرة كبيرة هى الإلهة « محت ورت » أو الإلهة حاتحور . ويرتحـــل إله الشمس عبر جسدها بنفس الطريقة . وكانت حاتحور تعبد كذلك كإلهة للحب والمتع الجسدية كما تعبد كذلك كحامية لجبانة طيبة وهو أمر على نقيض ما عهدناه .

www.ibtesama.com/vb

وكانت آلة موسيقية تعرف باسم الصلاصل (لوحة ٥ شكل ٢) تعتبر مقدسة لحتحور وهى التى كانت تستعملها الكاهنات فى خدمة المعابد فى مصر كلها . وتمثل حاتحور فى صورتها البشرية كامرأة تضع فوق رأسها قرنى بقرة يتوسطهما قرص الشمس (لوحة ١٨ شكل ٢) .

ولنعد أخيراً إلى طيبة حيث يرتبط الإله آمون رع بمعبودين آخرين هما زوجه موت وهى فى الأصل إلهة العقاب ولكنها تصور الآن عادة فى صورة بشرية ثم ابنه خونسو ويرى دائماً فى زى أمير صغير يضع خصلة الشعر الجانبية الخاصة بالشبان على رأسه . ويكون آمون رع وموت وخونسو معاً ثالوثا . ولقد كان الأمر كذلك فى كثير من المدن المصرية . وقد دعت الأحداث السياسية إلى إدخال عدد من الآلهة فى مجموعات مترابطة وهكذا تكون « ثالوث » من أب وأم وابن . وكان الأب هو الإله الأصلى للمدينة . وقد ارتبط بتاح منف بهذه الصورة بالإلهة برأس اللبؤة سخمت كزوجة له ونفرتم الإله الذى يحمل اللوتس فوق رأسه كابن له . كما أن حوريس إله أدفو تزوج من حاتحور إلهة دندرة . . الخ .

أما مظهر الدين المصرى الذى ربما يصدم الدارسين المحدثين أكثر من غيره فقد كان عبادة عدد من الحيوانات والآلهة أشباه

www.ibtesama.com/vb

الحيوانات التى كانت تعبد . ولنردد كلمات ملتون فى فردوسه المفقود :

« وبعد ذلك ظهرت جماعة وراء أسماء ذات شهرة قديمة مثل أوزيريس وأيزيس وحوريس وأتباعهم ولكنهم فى صورة كريهة أساءوا استعمال السحر . . . لقد سعت مصر المتعصبة وكهنتها وراء آلهة فى صور حيوانية بدلا من الصور الإنسانية » .

وقد ربطت غالبية آلهة مصر وإلهاتها بعبادتها مخلوقا كانت تظهر فيه أمام البشر وكانت غالباً ماتمثل فى الصورة الإنسانية برأس المخلوق المذكور . وقد تبع ذلك أنه فى الناحية التى كان فيها حيوان ما يعتبر مقدساً للإله المحلى فان النوع كله كانت تمتد الحماية إليه وكانت توقع عقوبة قاسية على من يقتله أو يصيبه بأذى . وقد رأينا عدداً من الآلهة الحيوانات وسنتناول بالوصف بعضها . فنى الاقليم الخصب المعروف اليوم باسم الفيوم كان الإله سوبك يعبد فى صورة تمساح وفى أقليم أسيوط كان الإله الذئب يسمى وب واوت « فاتح الطرق » وفى طيبة كان الكبش مقدساً لآمون وفى تل بسطة (بوباسطة) كانت الإلهة القطة أوباستت تقدس (لوحة ١٩ شكل ٢) وفى كل مكان تقريباً كان الصقر مقدساً لحوريس إله الشمس . وحين كانت تموت هذه المخلوقات سواء أكانت خاصة بمعبد أم يحتفظ بها كحيوانات مدللة فانها كانت تحنط بعناية وتدفن فى

www.ibtesama.com/vb

مدافن خاصة تكرس لها . وتحوى خزانات المتاحف اليوم عدداً من المومياات الحيوانية من كل نوع من قطط وصقور وثعابين وأبى منجل وسمك الخ . (لوحة ١٩ شكل ١) ومعظمها يرجع إلى العصر المتأخر من التاريخ المصرى ذلك لأن عبادة الحيوانات المقدسة لم تتخذ صورتها المتعصبة سوى فى فترة انحلال الحضارة المصرية رغم أن العبادة ترجع إلى أقدم العصور .

وأشهر الحيوانات المقدسة كانت ثلاثة ثيران : الواحد منها فى هليوبوليس هو ثور منيفس والثانى فى منف وهو الثور أبيس والثالث فى أرمنت قرب طيبة وهو الثور المسمى باخيس وأشهر هذه جميعاً هو أبيس الذى قدس لبتاح إله منف وكان يعتبر تجسيداً لأوزيريس . وحين كان يختار أبيس كانت تميزه علامة مثلث أبيض على جبهته وعلامات أخرى وكان يحمل فى مركب إلى منف وسط أفراح كبيرة وهناك كان يحتفظ به فى محراب خاص ويستشار فى العرافات . وفى أيام الأعياد كان يقاد فى موكب خلال المدينة وحين يموت كان يحنط تحنيطاً فخماً ويدفن فى قبر العجول المقدسة ويختار أبيس آخر بدلا منه .

ويستطيع من يزور مصر اليوم أن يسير خلال الأقبية المعتمة للسرابيوم فى سقارة ويرى التوابيت الضخمة المصنوعة من كتلة

www.ibtesama.com/vb

واحدة من الحجر التى كانت توضع فيهـــا لتستريح « أرواح أوزيريس الحية » .

وكان ثورمنيفس فى هليوبوليس يعتبر تجسيداً لرع إله الشمس وكذلك كان ثور باخيس فى ارمنت وخلال السنوات الأربع الأخيرة كشف رجال The Egypt Exploration Society عن أقبية دفن باخيس وهكذا أمكن معرفة الكثير عن طريقة عبادته . ولعل أكثر مايثير الاهتمام فيما كشف عنه هو مجموعة من اللوحات الحجرية تحمل كتابة هيروغليفية تذكر كل منها أن « الروح الحية لرع » توجت ثم تذكر عمره عند موته وتفصيلات أخرى .

• • •

ولنعد الآن إلى تلك الليلة حين أقام نسامون وليمة عشاء لصحبه ولنصحب باكن خونسو كبير كهنة آمون عند عودته إلى معبد الكرنك . لقد لف نفسه فى معطف وصحبه الكاهن الثانى وسار معه فى هواء الليل البارد ثم صعد إلى عربة كانت فى انتظاره . وكانت رحلة العودة إلى المنزل تمر بطريق المواكب الذى يصل مابين معبدى الأقصر والكرنك ويحف به من كلا الجانبين صفان من أبى الهول برءوس كباش . وبعد أن تجاوزا معبد خونسو نراهما يقتربان من أبراج الصرح للمعبد الكبير لآمون رع . ولكنهما لا يدخلانه من الباب الرئيسى بل من أحد الأبواب الصغيرة الجانبية المخصص استعمالها للكهنة .

www.ibtesama.com/vb

وأهم خصائص المعبد المصرى [١] منذ الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها يمكن وصفها على الوجه التالى : كان يوصل إلى المدخل الرئيسى (لوحة ٢٠) طريق من أبى الهول — وفى حالة الكرنك كان هذا الطريق يؤدى مباشرة إلى رصيف الميناء حيث تخرج المواكب الدينية إلى النهر — وتتكون واجهة المعبد من برجين ضخمين نسميهما الآن الصرح وهو مبنى بتصميم مائل ومزين بأربع ساريات أعلام مثبتة فى فرجات داخلة فى سطحها الخارجى . وفى أعلى الساريات ترفرف أعلام وضيئة الألوان . والأبواب نفسها من خشب ثقيل وكانت تقوم بين الصرحين وتؤدى إلى فناء واسع محوط ببوائك ومن هذا الفناء يستطيع الزائر أن يمر إلى قاعة الأعمدة التى يعرفها الكتاب المحدثون تحت اسم «القاعة ذات السقف المرتكز على أعمدة» أو «بهو الأعمدة» Hypostyle Hall ومنها إلى الهيكل الحقيقى للاله وهو غرفة مستطيلة وكان يوجد حول الهيكل عدد من الغرف بعضها مصليات مكرسة للآلهة والالهات المرتبطة بالمعبود الرئيسى للمعبد والأخرى تستعمل كمكان للملابس أو كمخازن . وكانت تنقش واجهة الصروح بصور

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب Egyptian Temples by Margaret A. Murray للوصول إلى معلومات مفصلة عن معابد مصر والسودان .

www.ibtesama.com/vb

ضخمة تمثل الملك وهو يقضى على أعدائه بصولجه أو يفوق نحوهم سهامه من عربته . أما الحوائط الداخلية للفناء والقاعات فكانت مغطاة بنقوش تمثل المواكب الدينية كما يظهر فيها الملك وهو يتلقى العطايا من الآلهة أو وهو يضع أمامهم الأسرى والغنائم . وكانت تيجان الأعمدة تمثل ربطات من براعم اللوتس وبعضها الآخر يمثل زهرة البردى المتفتحة . وكانت تنقش فوق الأعمدة صور الآلهة والملوك وكانت لكل المناظر كتابة هيروغليفية توضحها وكانت الألوان الزاهية تستعمل ولعل ما دعا إلى ذلك أنه باستثناء الفناء المفتوح كان داخل المعبد يكاد يكون معتماً إلا من بصيص ضوء يتسرب إليه من خلال النوافذ البعيدة الارتفاع .

هذه صورة مختصرة لمعبد مصرى فى أبسط أشكاله ولكن بعض الإضافات كانت تدخل فى هذا التصميم فمعبد آمون فى الكرنك وهو أكبر المعابد المصرية كان به معبدان صغيران لآمون وموت وخونسو فى الفناء الخارجى . وإلى جانب بهو الأعمدة الضخم الذى شاده سيتى الأول نرى خمسة صروح وعدداً من الأبنية الأخرى تقع ما بين الفناء والهيكل أضافها فرعون بعد الآخر .

وحين دخل باكن خونسو إلى المعبد دعا صاحبه إلى الانصراف وشق هو طريقه بعد أن صعد الدرج إلى السقف

www.ibtesama.com/vb

المستوى لأنه أراد أن يقوم بجولة تفتيشية على الكهنة الذين يرصدون النجوم وليتأكد من أنهم قائمون فى أماكنهم لأن ذلك كان من أهم أعمال الكهنة ما دام الأمر كان يتطلب دراسة النجوم لتنظيم التقويم المصرى وخاصة بقصد أحياء الأعياد السنوية فى مواعيدها الحقيقية وكان الرجل المنوط به هذا العمل يجلس على سقف المعبد يمسك أمام عينيه باداة خشبية طويلة بها حز عند طرفها ويلاحظ الأوقات التى تعبر فيهـــا نجوم معينة (يرصدها خلال الفتحة) الخيط العمودى لخيط المطمار الذى يمسك به كاهن مساعد يجلس على مسافة منه وبهذه الصورة كانت تحدد الساعات وترسم الخرائط وبعد سؤال الكهنة عن نتائج عملهم وإعطائهم بعض النصائح ينزل باكن خونسو وينصرف إلى مخدعه .

وفى الصباح الباكر لليوم التالى حين يظهر أول أضواء الفجر على الجبال الشرقية يستيقظ الكاهن الأكبر ليؤدى الطقوس اليومية . وكانت الخدمة فى معظم معابد مصر فى هذه الفترة تجرى على نسق واحد أساسه الخدمة اليومية فى معبد رع فى هليو بوليس . وكان الهدف الرئيسى من هذه الخدمة القيام بتزيين الإله وتقديم وجبة الطعام له .

www.ibtesama.com/vb

رسم من إحدى المقابر المصرية ، يمثل مأدبة . لاحظ الشكل المخروطي المضمخ بالدهون العطرية الموضوع على رءوس الضيوف

www.ibtesama.com/vb

لوحـة ١٢

تمثالان جالسان لأحد النبلاء ، أو كبار الموظفين ، ومعه زوجته ، الأسرة (١٨)

www.ibtesama.com/vb

ويضم هيكل المعبد الذى تقدم وصفه غرفة مستطيلة تقوم فيها مقصورة الإله . وفى المقصورة كان يوضع تمثال العبادة الخاص بالإله المصنوع من الخشب المغطى بالذهب وبأحجار شبه كريمة وهو قطعة من الفن الرائع . وكانت أبواب المقصورة تغلق بالمزاليج ويوضع عليها خاتم من الطين يكسر فى كل مرة تؤدى فيها الخدمة الدينية . وهكذا يدخل باكن خونسو إلى الهيكل وبعد أن يقوم بحرق البخور يكسر الختم ويفتح الأبواب ويشهد الإله . وفى كل طقس يقوم به الكاهن الأكبر يتلو الصلوات المناسبة ويقوم بنفح التمثال بالبخور وبرشه بالماء وبالباسه الملابس الملونة وبتقديم تاجه وأوسمته له ثم أخيراً بدهان عينيه بالدهون وحين يتم ذلك كله يوضع الطعام والشراب أمام المقصورة ويبدأ الإله وجبته . ولكن الإله لا يستهلك الطعام المادى لأن طعامه روحى طبيعته غير أرضية . ونفس الأمر ينطبق على تقدمات الموتى الذين يتناولون الأطعمة ذات الطبيعة الروحية . وفى الحالين نرى الطعام لا يمسه الإله أو الميت وإنما يعتبر منحة للكهنة .

وفى مناسبات الأعياد الكبرى حين يترك الإله المعبد ويحمل فى الموكب (لوحة ٢٠) يرتحل فى قارب نموذجى مصنوع من الخشب المغطى بالذهب . وكان التمثال يوضع فى قمرة وسط

www.ibtesama.com/vb

القارب ويُحمل قارب المقصورة بأكمله على أكتاف الكهنة . وكان عيد أوبت السنوى أهم الأعياد ذلك لأن الإله كان يقوم بزيارة خاصة لمعبد الأقصر حيث يفترض أن تقيم حريمه (كان معبد الأقصر يسمى « بيت أمون فى الحريم الجنوبى ») وكان فرعون[1] نفسه يقوم فى هذا المعبد بوظيفة الكاهن الأكبر وكانت تحمل قوارب المقاصير لآمون وموت وخونسو فى النهر إلى الأقصر على مراكب فاخرة تصحبها الجماهير المتحمسة على ضفتى النهر .

وكانت كهانة المعبد تنقسم إلى أربعة أقسام كل منها يخدم شهراً على التوالى وكان من واجبهم أن يؤدوا الخدمة الدينية ويعنوا بالمعبد . وكانت هناك طبقتان رئيسيتان من الكهنة : الـ « وعب » التى تعنى « الطاهر » والـ « حم نتر » التى تعنى « خادم الإله » . والوعب هى الطبقة الأدنى . وإلى جانب الكهنة كان هناك عدد من الكاهنات ملتحقات ببعض المعابد المصرية . وبالنسبة لآمون كانت الملكة نفسها تعتبر كبيرة الكاهنات وتحمل لقب « زوجة الإله » أما بقية الكاهنات فكن محظيات الإله وكانت ترعاهن زوجة الكاهن

---

(١) يجب ألا يغيب عن البال أن فرعون كان من الناحية النظرية الكاهن الأول لكل معبد فى البلاد كلها . وفى الواقع كان يحل محله كبير الكهنة إلا فى المناسبات الخاصة .

www.ibtesama.com/vb

الأكبر . أما عمل الكاهنات المصريات فكان عزف الموسيقى أثناء الخدمة الدينية وخاصة بالصلاصل المذكورة من قبل (صفحة ٩١)

لقد تحدثنا حتى الآن عن دين فرعون أى دين الدولة والعبادة الدينية فى المعابد ولكن قد يتساءل القارىء عن مدى دراية الشعب الدينية ... ذلك الشعب الذى لم يكن يسمح له بدخول المعابد إلا فى بعض أيام الأعياد الهامة حين يكون له حق دخول الفناء المفتوح فقط . أن أقصى ماكانوا يستطيعون مشاهدته هو القارب المقدس للإله حين يحمل فى الخارج أو يستمعون إلى تراتيل الكهنة يتردد صداها فى آذانهم من داخل المبنى المعتم . ولقد كان من الطبيعى للرجل العادى أن يعبد معبوداً أكثر شعبية مثل الإله المحبب القزم بس أو الإلهة الطيبة المحببة الخلقة تاورت . وفى أماكن كثيرة نرى أن الآلهة التى لعبت أكبر دور فى دين الرجل العادى كانت من غير شك الأرواح التى تسكن الأشجار والصخور ولعل « قنة الغرب » مثل طيب لذلك . فان هذه القمة ترتفع فى الناحية المقابلة للأقصر فى تل الشيخ عبد القرنة وكان الأهلون فى طيبة القديمة يربطون ما بينها وبين مرت سجرت إلهة الثعبان فى الجبانة وأحياناً يصلون ما بينها وبين إيزيس . ولقد ترك لنا بعض عمال الجبانة الذين لم يترضوا «قنة الغرب» فعجلت عليهم بالعقاب ... تركوا لنا لوحات منقوشة ببعض الأدعية لهذه الإلهة فتقول إحداها ..

www.ibtesama.com/vb

« سأقول للكبير والصغير من العمال . — احترسوا من القنة لأن بها أسدا . إنها تصرع كما يصرع الأسد المتوحش وهى تطارد من يعتدى عليها [١] » .

وكانت آلهة الشعب أحياناً هى الحيوانات المقدسة من نوع ما مثل «الحمامة الجميلة التى تبقى . . تبقى على الدوام» أو « القطة الجميلة التى تبقى . . تبقى » .

ولم تذهب الآلهة الكبيرة عن بال الدين الشعبى رغم أن طرائق عبادتها فى المعابد لم تعن الكثير بالنسبة للجماهير ذلك لأن الآلهة بالنسبة لهم كانت كائنة فى نطاق شخصى أضيق . فأمون رع بالنسبة لهم كان « وزير الفقراء وهو لا يأخذ مكافأة لا يستحقها وهو لا يتحدث لمن يدلى بالشهادة ولا يتطلع إلى من يقدمون الوعود» [٢] أى أنه فوق فساد المحاكم المصرية وأنه عادل بالنسبة للمتضرعين إليه . وهناك لوحة أقامها نقاش كان يعمل فى جبانة طيبة عرفانا بجميل آمون لشفاء ابنه جاء فيها :

«تنبه له . واذكر ذلك لولدك ولابنتك، للكبير والصغير. واعلنه

---

(١) — ترجمة Battiscombe Gunn in J. E. A. vol. III p. 86

(٢) ترجمة أرمان وبلاكمان .

www.ibtesama.com/vb

للأجيال الحاضرة والمستقبلة . أعلنه للأسماك فى الماء وللطيور فى السماء واذكره لمن يعرفه ولمن لا يعرفه . . . وانتبه له .

أنت آمون سيد من لاذ بالصمت . أنت ذلك الذى تأتى لدعاء الفقير . أنت ترد الرمق للبائس وتخلصنى أنا الذى فى العبودية .

رغم أن الخادم عرضة لإرتكاب الإثم إلا أن السيد يميل إلى الرحمة أن إله طيبه لا يمر عليه يوم غضب . غضبه ينتهى فى لحظة ولا يبقى شىء »[1] .

وكم يختلف ذلك عن النصوص التقليدية التى تكون مصدر معظم معلوماتنا عن الدين المصرى ففيها يستطاع الوصول إلى الآلهة بغير معنى الاتضاع الذى ينم على الإحساس بالضعف أمام قوتهم ومن غيرشك بغير إدراك للإثم . كان الآلهة يعتبرون مخلوقات متنوعة ينتظر منها الكثير من النفوذ إن أنت عرفت كيف تدبر الأمر . فإذا أقيمت بعض الطقوس وتليت بعض الرقى فإنهم لايستطيعون أن يقاوموا الضغط وسرعان ما يمكن الوصول إلى النتيجة المطلوبة . . . وكان المتضرع يتخذ مظهر المبرأ من اللوم دائماً الراضى عن نفسه تمام الرضى الذى لا يطلب إلا ما يستحقه ويظهر هذا جلياً فى المتون الجنزية حيث يبذل أقصى

---

(١) ترجمة أرمان وبلا كمان .

www.ibtesama.com/vb

الجهد لاقناع الآلهة أن حياة المتوفى على الأرض كانت كلها فضيلة لا تضارع . أما فى هذه الوثائق القليلة التى خلفها لنا دين الطبقة الدنيا فإننا نستطيع أن نلمح قبساً يدل على إيمان أكثر نقاء هو إبراز للخطيئة البشرية والضعف مع الايمان المطلق بالرحمة الإلهية وعرفان للعلاقة الشخصية بالآلهة أقرب مما يظهر فى الدين الرسمى للمعابد .

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل الرابع

الكتاب الممتازون

كان «آنى» وهو طفل فى العاشرة يشق طريقه فى الصباح الباكر إلى المدرسة على مضض فى الطريق الملئ بالتراب . وقد ظل طوال عدة سنوات يتلقى التعليم فى المدرسة الملحقة بالمعبد الجنزى لرعمسيس الثانى (المسمى الآن بالرمسيوم) على الضفة الغربية للنيل فى طيبة ، وكانت لا تزال أمامه خمس سنوات أو ست قبل أن يغدو قادراً على الحصول على وظيفة فى الدولة وهو الأمر الذى كان أبواه يتمنيانه له . وحين كان يتأمل المستقبل كان الملل يحتوى قلبه ممزوجاً بانعكاسات سيئة عن سلوك أبويه ومعلميه عامة .

وإن أباه ليألم إن هو عرف وجهة نظر ابنه ، ذلك لأن سبك حتب الكاتب الأول لأحد مخازن غلال طيبة كانت له أفكار محددة عن تعليم الصغار ، وقد أخذ آنى جانباً فى اليوم السابق وأعطاه قدراً من النصح كان يأمل أن يتذكره الصبى خلال فترة الدراسة الجديدة التى كان على وشك البدء فيها . وذكر له أن

www.ibtesama.com/vb

لا شيء يعدل معرفة القراءة والكتابة ، وأن أية حرفة لا تتطلب هذه المعرفة تكون منحطة غير مرضية . . وتحدث سبك حتب فى الموضوع حديثاً يتقنه الرجل المسن ، فقال فى فصاحته المعهودة :

« لقد رأيت الحداد يعمل عند فوهة الفرن وأصابعه متيبسة ومتجعدة مثل جلد التمساح ورائحته أنتن من رائحة فضلات السمك . والرجل الذى يحسن استعمال الأزميل يشقى أكثر من ذلك الذى يحفر لأن حقله الخشب وفأسه المعدن . وحين يحل الليل ويطلق سراحه يعمل على ضوء السراج أكثر مما تطيق ذراعاه » .

وهكذا ظل يتناول مختلف الحرف التى طرأت على ذهنه . . . قائلا لا . . . أن المرء يجب أن يتعلم ليصبح كاتباً ويفرغ جهده للوصول إلى ذلك الأمر . . وقال سبك حتب فى ختام حديثه :

« ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، ليتنى أستطيع أن أريك جمالها »[1] وقد أحس الصبي بالسأم من هذه النصيحة الطويلة ، والحق يقال أن سبك حتب كان مصيباً من غير شك فى قوله أن حرفة الكتابة كانت أمتع الحرف ، ذلك لأن وظائف الإدارة الحكومية فى كل مصالحها كانت مفتوحة

(١) ترجمة ارمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

أمام الشباب المتوقد الذهن الذى له دراية بالحسابات أو الأعمال الكتابية ، وكان لكل إدارة نوع من المدارس ملحق بها حيث يعلم كبار الموظفين الشبان بقصد تمهيد السبيل أمامهم للحصول على هذه الوظائف فيما بعد .

وكانت الكهانة من غير شك أرفع هذه الحرف علماً ، وكان أعضاؤها فى الطبقة العليا مختصين فى دراسة المتون الدينية القديمة وإنشاء نصوص أخرى ، وكذا فى إحياء الخدمة الدينية . وكانت هناك مدارس ملحقة بكل الكليات الدينية الكبرى ، وكان يتخرج فيها صبيان يصلحون للوظائف الإدارية العلمانية أو هم يتجهون إلى الكهانة إن هم اختاروها . وكانت معرفة القراءة والكتابة ترفع الشخص فوق مستوى زملائه وتعطيه إحساساً قوياً بالتفوق ، وهو أمر كان يسعى المصرى لتحقيقه دائماً ولإظهاره كلما استطاع إلى ذلك سبيلا . ومع ذلك فقد كان على حق حين قال أن الكاتب شخص ممتاز لأنه لا يؤدى عملا إجبارياً مرهقاً (سخرة) مثل الفلاح ، كما أنه يقضى عمره يوجه الآخرين بدلا من أن يستعبده رئيس صارم .

وحين كنا نناقش أقوال سبك حتب كان ابنه آنى يقترب من الجهة التى يقصدها ، وقد رآه عدد من زملائه الآخرين فجروا نحوه ليضحبوه . ويقع معبد الملك رعمسيس المحبوب من آمون

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢١ شكل ١) بين الحقول الواسعة الخضراء عند سفح الجبال الممتدة خلفه فى وادى مقابر الملوك حيث يستقر فرعون العظيم فى « بيت الأبدية » ، وقد بنى الرمسيوم للخدمة الأبدية لروحه ، وهو اليوم واحد من أروع المبانى فى مصر بأعمدته الضخمة التى نحتت لتمثل رعمسس فى صورة أوزيريس ، والتمثال الضخم للملك الذى انهار وتهشم إلى عشرات الأجزاء . ويحيط بالمعبد من جهات ثلاث مبانى من اللبن كانت تستخدم فى العصور القديمة كساكن للكهنة ومكتبة ملكية هامة ومخازن ومدرسة . ولم يكد آنى يصل حتى كان وقت الدراسة قد حان . وكانت المدرسة عبارة عن غرفة عارية من الأثاث سوى مقعد المدرس ، أما الأولاد فقد تزاحموا ليجلسوا القرفصاء على أرضها وأخذ آنى مكانه وبدأ يعد أدوات الكتابة . ولنتركه قليلا يفعل ذلك لنستطلع طبيعة الكتابه وطرقها عند المصريين عامة .

أتبع المصرى منذ بدء الأسرة الأولى حوالى ٣٣٠٠ ق . م طريقة منتظمة للكتابة ظلت تستعمل مدى ٣٥٠٠ سنة وهى الكتابة الهيروغليفية التى تغطى جدران المعابد والمقابر فى مصر وآلاف القطع المحفوظة اليوم فى المتاحف . وهذه الكتابة هى المعروفة « بكتابة الصور » والواقع أن كل علامة استخدمت كانت صورة لمخلوق ما أو شىء ما ... ولكن مثل هذا الاصطلاح

www.ibtesama.com/vb

قد يؤدى إلى التضليل لأنه يفهم منه أن المصريين لم يكتبوا كلمات بل عبروا عن أفكارهم بالرسم كما كان يفعل هنود أمريكا الشماليون فى كتاباتهم على لحاء شجر البتولا على حين لم يكن الأمر كذلك على أية حال لأن النقوش المصرية تسجل لغة مكتوبة ويستطيع الدارسون المحدثون اليوم هجاء الكلمات كما أن قواعد اللغة درست تفصيلا كما تدرس اللاتينية أو اليونانية . . وأنه لمن المستحيل هنا أن نقدم تقريراً مفصلا عن طريقة الهيروغليفية المعقدة فالقارىء يستطيع أن يجده فى مراجعه الأصلية [1] . عن اللغة المصرية ولكنى سأتناول فى ايجاز وصف الأسس التى قامت عليها :

يمكن تقسيم الهروغليف المصرى الذى كان يستعمل منه المئات بمجموعتين : بمجموعة تنطق أى تمثل الأصوات وبمجموعة أديوجرافية تمثل الأفكار. والمجموعة الأولى أكبر ومن بينها عدد قليل يشمل حروف الهجاء ولها قيمة الحرف الواحد على حين أن البقية الباقية من هذه المجموعة عبارة عن مقاطع . وترتبط بمجموعة علامات الأصوات مجموعة أخرى هى علامات الأفكار لتجعل معانى الكلمات واضحة . وسيجد القارىء ذلك أمراً يسير الفهم

---

(١) للوصول إلى فكرة مفصلة عن اللغة المصرية وعن الهيروغليفية أرجع إلى كتاب : Alan. H. Gardiner, Egyptian Grammar .

www.ibtesama.com/vb

أن هو درس الفقرة الموجودة على لوحة ٢٢ المنقولة عن بردية وستكار فقد جزئ النص المصرى حتى فصلت الكلمات (فى الكتابة الأصلية لا تترك مسافة بين الكلمة والأخرى) وكتبت تحتها معادلتها النطقية بالحروف العربية ثم الترجمة الحرفية. وعلينا أن ندرك أن المصريين حين كانوا يكتبون كانوا يثبتون السواكن ويحذفون الحروف المتحركة وكان من الممكن أن نجهل نطق الكلمات فى اللغة المصرية القديمة لعدم إلمامنا بالمتحركات لولا أننا نستطيع الوصول إلى ذلك أحيانا عن طريق المقارنة بالقبطية.[1] والقيم الصوتية للكلمات على لوحة ٢٢ هى التى تعارف عليها الدارسون المحدثون فالكلمة الأولى (ايو) iw جزء من فعل الكينونة. القصبة المزهرة — i (إ) والكتكوت — (و) w والثعبان ذوالقرنين — (ف) f بمعنى هو والكلمة تعنى «هو يكون».

ويلى ذلك البومة وتنطق (م) m ومعناها هنا «مثل» أو «ك» وهى لاتترجم فى الانجليزية والكلمة الثانية تنطق (نچس) ومعناها الحرفى صغير وإن كانت تعنى «الرجل من عامة الشعب» «مدنى» والعلامة الأولى صورة موجه من الماء - (ن) n والثعبان - (چ)

---

(١) كتبت اللغة المصرية بالخط القبطى منذ القرن الثالث الميلادى حين تخلى المصريون عن الهيروغليفية واستخدموا الحروف اليونانية بما فيها الحروف المتحركة كما اضافوا إلى حروف الهجاء اليونانية بضع علامات نقلوها عن الهيروغليفية القديمة

www.ibtesama.com/vb

(أى dj) وقطعة القماش الملفوف - (س) s ويلى هذا قنبره ذات عرف ورجل جالس على الأرض. أما الطائر فهو مانسميه «مخصصا» ويكتب فى نهاية الكلمات ليعنى الشيء الصغير أو الشرير أى أنه «يخصص» الدلالة العامة للكلمة التى تسبقه والرجل كذلك مخصص آخر وهو يفسر فى بساطة أن الكلمة السابقة تعنى رجلا. وهناك مثل آخر لمخصص هو الرجل الجالس ويده فى فمه الذى يظهر فى نهاية فعل (أونم) wnm بمعنى يأكل و (سورى) بمعنى يشرب فى سطرى ٣ و ٤ على التوالى وهو يريد بذلك أن يذكر لنا أن الكلمات السابقة تدل على أفعال ترتبط بالفم وهكذا وترجمة القطعة تكون على هذا الوجه:

«هو مدنى (حضرى) يبلغ المائة وعشرة عاما ويأكل ٥٠٠ رغيف ونخذ ثور كلحم ويشرب مائة قدر من الجعة حتى اليوم»

وكان الخط الهيروغليفى يستخدم فى كافة المستندات الدينية كنسخ كتاب الموتى وغيره من الكتب المقدسة. وكذا فى نقوش حوائط المعابد والمقابر وللكتابات على التماثيل والآثار من كل نوع. أما فى أغراض الحياة اليومية فإن هذا اللون من الكتابة كان يتطلب وقتا وعناء كبيرين ولذا فإن الكتابة تطورت فى صورة أخرى هى التى نعرفها بالهيراطيقية التى تحوى كل العلامات الهيروغلفية المستخدمة ولكنها أكثر اختصاراً. وموصولة إلى بعضها فى كثير من الأحيان (لوحة ٢٣). وهى مرحلة تقرب

www.ibtesama.com/vb

من كتابتنا المعتاده وكانت الهيراطيقية تكتب دائماً من اليمين إلى اليسار على حين تكتب الهيروغليفية من أى الاتجاهين بل ومن أعلى إلى أسفل أحيانا . ولعل هذا هو ما جعل الهيروغليفية أكثر صلاحية كوسيلة للزخرفة . ذلك لأن النقوش كان يمكن ترتيبها وجعلها مناسبة للفراغ المطلوب . وكانت الهيراطيقية تستخدم فى المستندات ذات الصبغة الدنيويه مثل الحسابات وأعمال الادارة ونصوص الأدب الخ وقد استخدمت خلال الأسرة الحادية والعشرين فى الأدب الدينى للمرة الأولى حتى أصبحت شائعة على هذه الصورة منذ ذلك الوقت . ولدراسة نص هيراطيقى اليوم فى يسر يجب أعادة كتابته بالهيروغليفية ولدينا مثل نقدمه لذلك هو السطر الأول من بردية دوربنى فى لوحة ٢٣ وقد كتب بالهيروغليفية تحت الهيراطيقية ويستطيع القارىء أن يلحظ الطريقة التى اختصر بها الحرف الهيروغليفى إلى نظيره الهيراطيقى .

وكان قدماء المصريين يستخدمون البردى كمادة أساسية للكتابة . والبردى نبات كان ينمو بكثرة فى تلك الأيام فى مستنقعات الدلتا ولكنه لا يوجد اليوم فى مصر بل فى السودان . وكانت مادة الكتابة هذه تجهز على الصورة التالية : كانت تنزع عن ساق النبات قشرته الخارجية ثم يقطع إلى شرائح طويلة توضع بعد ذلك الواحدة إلى جانب الأخرى على سطح مستو ثم توضع

www.ibtesama.com/vb

شرائح أخرى فوق هذه فى شكل صليبى ثم تلصق الطبقتان معاً وتضغطان حتى تجفا . ويمكن لصق القطعة المصنوعة بهذا الشكل بقطعة أخرى بواسطة الصمغ وهكذا حتى يمكن الحصول على ملف بالطول المطلوب . وعلى ذلك فإنه يمكن نسخ كتاب بأكمله على مثل هذا الملف وعند القراءة يفتح القارئ جانباً منه ثم يطويه ويفتح الذى يليه بعد الانتهاء منه وهكذا . وكان البردى مرتفع الثمن نسبياً ولذا كان يحتفظ به للأغراض الهامة . أما فى الأعمال اليومية فكانت تستخدم شظايا الحجر الجيرى وهى التى كان يتمرن عليها التلاميذ فى المدارس حيث كان لا يسمح باستعمال البردى سوى للمتقدمين من الطلاب . أما ألواح الكتابة الخشبية فكان يستعملها التلاميذ وغيرهم (لوحة ٢٥) وكانت تغطى بطبقة رقيقة من الجص مصقولة حتى يستطاع إزالة الكتابة بعد الانتهاء من أمرها واستعمال اللوح مرة أخرى .

أما القلم الذى كان يستعمله المصريون (لوحة ٢٤) فلم يكن قلماً بالمعنى المفهوم بل كان قصبة رفيعة يتحول طرفها إلى ما يشبه الفرشاة عن طريق الضغط (التنسيل) ونحن نعجب كثيراً مما استطاعت هذه الفرشاة الدقيقة أن تقدمه لنا . . . فهم لم يكتبوا بها فوق البردى — وهو أمر يستدعى الإعجاب — النقوش الهيروغليفية المتقنة والكتابة الهيراطيقية الفياضة فحسب بل أن

www.ibtesama.com/vb

المناظر الجميلة التى تغطى جدران المقابر كانت ترسم خطوطها الخارجية بهذا القلم . وكان الحبر الذى يستعمله الكتاب من لونين الأسود والأحمر . وكان الأسود يصنع من السناج وهو الحبر الذى يستعمل فى الكتابة عادة أما الأحمر فلكتابة فقرات خاصة مثل العناوين أو الكلمات الأولى فى الفصول أو أسماء الآلهة أو الكلمات الأخرى الهامة ..

وكانت عدة الكاتب لوحته وأقلامه ومحبرة صغيرة من الماء يخلط فيها الحبر . وكانت اللوحة (لوحة ٢٤) تصنع عادة من الخشب أو العاج وتحوى لوحاً مستطيلا فى أحد طرفيه ثقبان لحفظ الحبر وكان الثقبان يعملان غالباً على شكل الخرطوش (الخانة الملكية) الذى كان فى الأصل دائرياً (رقم ٥٥١٢ و ٥٥١٤) وأسفل اللوح تجويف طويل توضع فيه الأقلام وأما بقية اللوح فمزين باسم صاحبه محفور بالهيروغليفية وربما أضيف إلى ذلك اسم الملك وبعض النصوص المناسبة مثل دعاء إلى تحوت مخترع الكتابة وحاميها .

وقد استعار صاحبنا الصغير آنى اللوحة الجميلة التى كانت لجده « مرى رع » لأن أباه ظن أن ذلك يشجعه على التقدم فى دراساته وكانت الأدعية التالية منقوشة على اللوحة :

www.ibtesama.com/vb

١ ـــ « تقدمة يرفعها الملك إلى تحوت سيد الكلم المقدس[١] حتى يمنح معرفة الكتابة التى تصدر عنه[٢] وفهم الكلم المقدس إلى كا الأمير بالوراثة والحاكم والموظف على رأس نبلاء الملك رئيس خازنى الملك مرى رع » .

٢ ـــ « تقدمة يرفعها الملك إلى آمون رع سيد الكرنك الإله الوحيد الذى يعيش على الحق حتى يمنح النسيم العليل الذى يخرج منه والرضى الشامل فى القصر إلى كا كبير خازنى الملك مرى رع » .

وكان التعليم الذى يعطى فى المدرسة يحتوى غالباً القراءة والكتابة وليس من عجب أن نعلم أن طريقة الكتابة الهيروغليفية لم يكن من المستطاع التمكن منها إلا بعد مران شاق لبضع سنوات وبعد أن يتعلمها التلميذ ينتقل إلى الهيراطيقية كما ينتقل طفل اليوم من القراءة والكتابة للكلمات المطبوعة فى الكتب إلى معرفة الخط العادى . وكان هدف الكاتب الشاب أن تكون له يد هيراطيقية متقنة ولكى يصل إلى هذه المرحلة كان عليه أن يقوم بنسخ عدة صفحات من نص ما . والواقع أن جانباً كبيراً من التمرين

---

(١) اصطلاح « الكلم المقدس » يعنى « الكتابة الهيروغليفية »

(٢) أى اخترع الكتابة .

www.ibtesama.com/vb

المدرسى كان يتضمن نسخ عدد من الكتب المناسبة ثم يصحح المعلم الأخطاء فى أعلى الصفحة . ولدينا من إحدى هذه النسخ البردية التى وصلت إلينا ما يشير إلى أن كاتبها كان ينسخ ثلاث صفحات يومياً[١] ذلك لأنه كان يؤرخ صفحاته على التوالى .

وكانت تدرس الرياضة كذلك إلى حد ما وكانت تحوى مجموعة من الأعداد ذات الصبغة العملية . وفى بلاد مثل مصر يطغى الفيضان فى كل عام على حدود أرضها الزراعية كانت معرفة مقاييس الأرض أمراً بالغ الضرورة . وإلى جانب ذلك نرى أن الموظفين الذين يعملون فى بيت المال والكتاب الذين يعملون فى الإدارات المتصلة بالضرائب أو خزن الحبوب يحتاجون إلى تمرين كامل فى الحساب وقد بقيت لنا بضع مسائل حسابية ورياضية من ذلك العهد وأشهرها بردية « رند » الرياضية المحفوظة فى المتحف البريطانى .

ولا بد أن النظام فى المدرسة المصرية القديمة كان صارماً ودليلنا على ذلك الكلمات التى تشير إليه فيما يتصل بتصحيح الإنشاء الذى ينسخه التلاميذ فيقول المدرس لتلاميذه « أكتب بيدك

---

(١) « صفحة » هنا تعنى كمية من الكتابة تتضمن مجموعة سطور أفقية وحين يصل الكاتب إلى آخر الصفحة يبدأ السطر الأول من مجموعة أخرى أو صفحة أخرى إلى يسار السالفة .

www.ibtesama.com/vb

واقرأ بفمك لا تتراخ ولا تضع يومك فى تكاسل وإلا فالويل لأعضاء جسمك . اتبع طرائق معلمك واستمع إلى تعاليمه لا تقض اليوم متكاسلا وإلا ضربت . إذن الصبي على ظهره وهو يسمع أن ضرب »[١]

ورغم العنف الذى كان يتسم به استخدام العقوبات البدنية إلا أنه يظهر أن السلطات المدرسية كانت تذهب إلى أبعد من ذلك فى حماسها لتصحيح أخطاء الصغار ففى فقرة أخرى من إحدى كراسات النسخ نرى المدرس يصف للتلميذ ما أصابه هو حين كان صغيراً لا يحمل أى مسئولية فيقول له « إن نظرت إلىّ حين كنت صغيراً مثلك لكنت ترانى أقضى يومى بالقيود فى يدى وهذا هو ما كان يقيد أطرافى حين يظل لا يبرحها مدى ثلاثة شهور . كنت أسجن فى المعبد على حين يكون أبى وأمى وإخوتى فى الحقل » ومن الواضح أن أثر هذه المعاملة السيئة كان أمراً يبعث على الأمل فيقول المدرس « حين رفعت عنى القيـــود وأصبحت يداى حرة أصبحت مميزاً عن الأيام الخوالى وصرت أول أقرانى بل وتفوقت عليهم فى الكتب »[٢]

والفقرات السابقة نموذج للحث على عمل التلاميذ لنسخ

---

(١) و (٢) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

(شكل ١) مسند رأس من العاج ، من الدولة الوسطى
(المتحف البريطاني)

(شكل ٢) شعر مستعار لاحدى السيدات المصريات، من شعر حقيقي مضاف إليه صوف الأغنام
(المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

(شكل ١) إناء من زجاج متعدد الألوان ، من العمارنة
(متحف بروكسل)

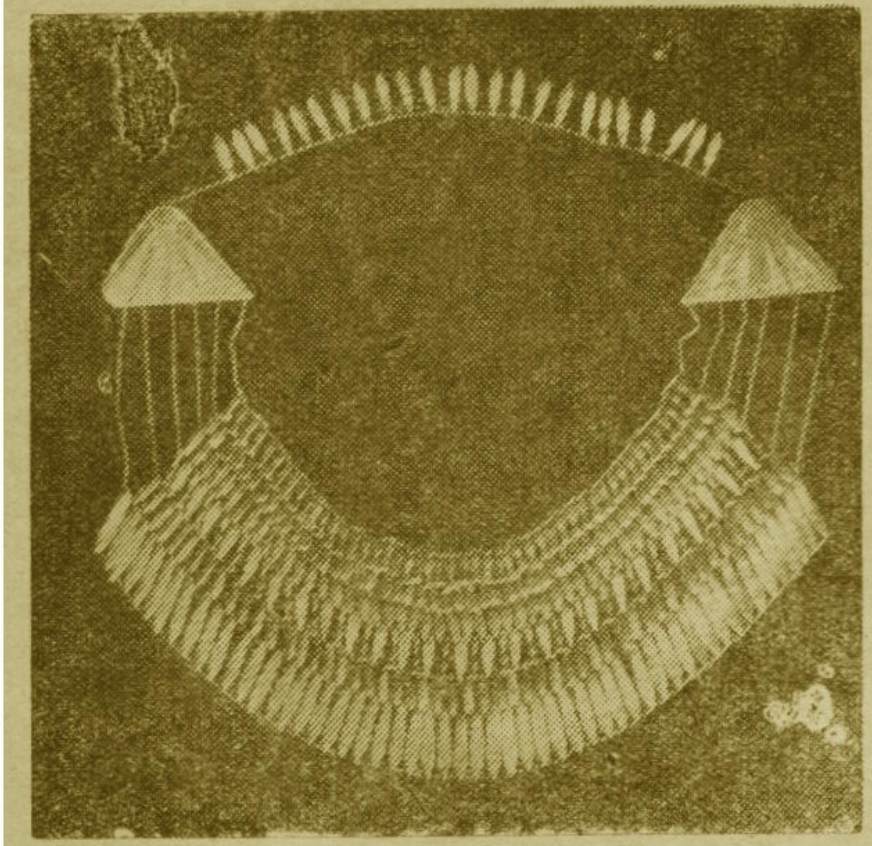

(شكل ٢) قلادة من حبات (خرز) الفاشاني المزجج على شكل إكليل من الفاكهة والأزهار ، من العمارنة
(المتحف المصرى)

www.ibtesama.com/vb

« محسنة » وهى تكثر فى النصائح الخاصة بالصناعة وفى تقريظ مهنة الكتابة مع عقد مقارنة للحط من شأن الحرف الأخرى وتحذيرات مشددة ضد الاستهتار فيقول المعلم «لقد بلغنى أنك تهجر الكتابة وتنغمس فى اللهو وتنتقل من شارع إلى شارع تفوح منه روائح الجعة لتقودك إلى الهلاك »[1] . وبالإضافة إلى هذا النوع من المادة كان الأولاد ينسخون كذلك نماذج خطابات تتصل بالأعمال من كل نوع . وبعض هذه الخطابات كان يقدمها المدرس من أمثلة أصلية على حين كان بعضها الآخر وهمياً . وكان هدفها تعليم التلاميذ إنشاء الخطابات من كل نوع وليعتاد صور التعبير الفياض . وكانت توضع أمام التلاميذ كذلك قوائم طويلة من الكلمات تحوى أسماء الأجرام السماوية ومختلف رتب الناس والأسماء الجغرافية وأسماء المبانى وأجزاءها وعدد عديد من أنواع الطعام والشراب . وهناك مثل طريف لذلك فى لوحة الكتابة التى نقدمها فى لوحة ٢٥ وبها قائمة من أسماء الكفتيين (سكان كريت) والتى ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة ونستطيع أن نستخلص أن الأولاد كان عليهم أن يكتبوها صحيحة ثم يحفظونها . وقد أمضى الصغير « آنى » صباحه فى هذا العمل حتى توسطت الشمس كبد السماء . ولم تكن فصول الدراسة تعقد بعد الظهر

---

(١) ترجمة إرمان وبلاكمان السابقة

www.ibtesama.com/vb

فلما صرف المدرس تلاميذه اندفع مع زملائه فى صيحات الفرح خارجين من المبنى كما يفعل أطفال اليوم . وقد كان للجهد الذى بذله أثره فى تجويعه وكم سره أن يلتقى أمه وهى تنتظره فى الخارج تحمل له طعامه من خبز وجعة . وبعد أن تناول وجبته أصبحت لديه الحرية ليلعب كما يريد .

ويؤدى بنا وصف كتب المدرسة إلى التدبر فى موضوع الأدب المصرى عامة . . . أى نوع من الكتب كان الرجل المثقف يهتم به ؟ يمكن تقسيم هذه الكتب إلى مرتبتين الأولى مجموعات من الوصايا النافعـــة والأخرى قصص . ولنبدأ بالمجموعة الأولى .

كان المصريون يغرمون دائماً بالتعبير عن أفكارهم عن السلوك الشخصى فى صورة نصائح (مثل كتاب الأمثال فى التوراة) وكان من عادة الكاتب أن يضعها على لسان رجل عظيم من عصر قديم يكون قد اشتهر بالحكمة . ومن أشهر كتب الحكمة هذه « تعاليم بتاح حتب » التى يظن أن كاتبها وزير يحمل هذا الاسم عاش فى عهد الملك « أسسى » من ملوك الأسرة الخامسة (حوالى ٢٦٥٠ ق. م) وتمثل مقدمة هذه المجموعة بتاح حتب فى سنه المتقدمة وهو يأمل أن يتلقى إبنه خلاصة حكمة سنيه الكثيرة . ثم نراه بعد ذلك يقدم له مجموعة من النصائح التى تتصل بالسلوك

www.ibtesama.com/vb

الصحيح فى مختلف المناسبات فهو يحذر ابنه من الغرور بسبب علمه ويحرضه على قول الصدق دائماً ثم يتناول الحديث عن مزايا الزواج ويصف كيف يجب على الضيف أن يتصرف حين يدعى إلى مأدبة وهكذا . وهناك كتاب آخر يشبه هذا الكتاب ينسب إلى وزير من أقدم العصور يدعى « كاجمنى » ويحوى هذه النصيحة التى تتصل بآداب المائدة :

« إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام حتى ولو كنت شديد الرغبة فيه . ان الأمر لا يستلزم وقتاً طويلا لضبط النفس وأنه لمن المشين أن تكون نهما . تعس هو الرجل الشره من أجل جسده »[1] .

وقد أدت جهود المصريين كقصاصين إلى نتائج أطيب مما أدت إليه المجموعة السابقة . وقد حفظ لنا عدد من القصص على البردى وعلى شظايا الحجر الجيرى وغيرها من كل ناحية هو قصة سنوهى الشهيرة . وتقع أحداثها الزمنية فى الجزء الأول من الأسرة الثانية عشرة . وتبدأ القصة بملخص مؤثر عن موت امنمحات الأول مؤسس البيت المالك . وعند موت الملك المسن كان ابنه سنوسرت فى طريق العودة من حملة ضد الليبيين ووصلته أنباء موت أبيه وهو

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

فى الطريق فأسرع ليصل قبل أن تتم مؤامرة بُدأ فى نسج خيوطها بقصد وضع ملك ينافسه ووصلت أنباء تلك المؤامرة إلى نبيل ذى رتبة ممتازة يدعى سنوهى كان فى حاشية سنوسرت . . واحتوى الفزع سنوهى وخشى مغبة الزج به فى الصراع الوشيك فعول على الهرب السريع . وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان حتى شق طريقه إلى الشمال إلى فلسطين حيث لقى « ننشى » أحد أمراء هذه النواحى وصادقه ثم بدأ الحظ يحالفه ومرت سنون وازداد غنى وقوة لحاكم إقليمى ورغم ذلك كانت أفكاره تتجه نحو مصر ويحن للعودة إليها . . ولحسن حظه استجاب القدر لسؤله فصدر مرسوم يستدعيه إلى بلاط فرعون وامتلأت نفسه فرحاً وعاد بأسرع ما استطاع حيث لقيه سنوسرت الأول وبلاطه لقاء حاراً .

هذه هى الفكرة البسيطة لهذه القصة القديمة ويستطيع القارئ أن يدرسها بنفسه[1] إن أراد أن يستمتع بحبكتها الرائعة . هذا إلى أن أسلوبها المليء بالصناعة الأدبية أسلوب قوى أخاذ يستطيع أن يترك أثره فينا على مر القرون . وهناك فى القصة فقرات عاطفية مثل تلك الفقرة التى يردد فيها النبيل المنفى حنينه إلى مصر :

« أى ربى كيفما تكون أنت يامن رسمت لى طريق الهرب . .

---

(١) مثلا فى ترجمة أرمان وبلاكمان فى كتاب The Literature of The Ancient Egyptians

www.ibtesama.com/vb

كن رحيما بى وأرجعنى إلى العاصمة . إلا لتسمح لى أن أرى المكان الذى يعيش فيه قلبي . أى أمر أعظم من أن يدفن جسدى فى الأرض التى ولدت فيها ؟ »[1] .

أو حين يصدر المرسوم الملكى باستدعاء سنوهى فى لغة عالية يحرضه على التفكير فى يوم موته والعودة إلى مصر حيث تقام له طقوس دفن جليلة . والقصة مليئة بلمسات واقعية منها الترحيب الصاخب به من الملكة وأطفال البيت المالك حين شاهدوه وهم لا يكادون يصدقون أن ذلك البدوى الأشعث هو رجل البلاط فى العهد الغابر .

ومن الواضح لأول وهلة أن القصة التى تناولناها بالوصف قصة ذات صبغة شبه تاريخية تستهدف قص أحداث حدثت فعلاً خلال حكم سنوسرت الأول وسواء أكان لها أساس تاريخى أم لا فإنه يكاد يكون من المؤكد أن معظم « القصص » التى شاعت فى مصر القديمة كان يعتبرها المصريون روايات تاريخية . وباستبعاد الحوليات الملكية كانت هذه القصص لديهم أقرب مورد للتاريخ المكتوب ولذا فاننا لا نعجب حين نجد أن الممثلين الأول فى هذه القصص هم غالباً ملوك العصور الغابرة أو الآلهة . وهكذا نرى مثلا أن قصة الملك خوفو والسحرة تتحدث عن

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان . سابقة .

www.ibtesama.com/vb

نشأة الأسرة الخامسة . ذلك أن خوفو أول ملوك الأسرة الرابعة وبانى الهرم الأكبر يصور كأنما هو جالس فى قصره يصغى إلى مجموعة من الأقاصيص التى لايقبلها العقل يحكيها له أطفاله . وأخيراً يقف الأمير حورددف ويعرض تقديم ساحر يستطيع القيام ببعض المعجزات . وحين يؤتى بهذا الرجل إلى البلاط ويظهر قواه الخارقة يسأله فرعون سراً عن بعض الأمور فيجيبه بأن بيته سوف لا تطول مدة حكمه على عرش مصر وأن الحكم سينتقل إلى ثلاثة أطفال يولدون من سيدة تدعى رددت هى زوجة لأحد كهنة رع . ثم يتناول الوصف بعد ذلك مولد هؤلاء الثلاثة وكيف شاركت الإلهات إيزيس ونفتيس ومسخنت وحقت فى عملية التوليد والتنبؤ بالمستقبل العظيم للمواليد . ويمكن ربط علاقة هذه الأقصوصة بالتاريخ أن نحن تذكرنا أن قيام الأسرة الخامسة يرجع إلى نفوذ كهنة رع فى هليوبوليس وأن عبادة الشمس خلال حكم هذه الأسرة كانت أوضح معالمها .

وهناك قصة أخرى مشهورة ترجع إلى عصر قديم هى قصة « البحار الغريق » وقد كتبت فى الدولة الوسطى وهى تحدثنا عن بحار غرق فى البحر الأبيض المتوسط وقد ذهبت السفينة بدداً ولم ينج منها سواه فتقاذفته الأمواج إلى جزيرة سحرية حيث التقى بثعبان ضخم « طوله ثلاثون ذراعاً وطول لحيته أكثر من

www.ibtesama.com/vb

ذراعين وجسمه مغطى بالذهب وحاجباه من اللازورد الحقيق[1]»
وقد أثبت هذا المخلوق العجيب طيبة من طرازفائق فبعد أن أصغى
إلى مغامرات البحار قص عليه قصته العجيبة . وجاءت سفينة إلى
الجزيرة انقذت البحار الذى ارتحل إلى مصر محملا بهدايا الثعبان .
ونستطيع أن نتبين وجه الشبه بين هذه القصة وبين القصة المشهورة
المعروفة بقصة السندباد البحرى فى ألف ليلة وليلة كما نستطيع
أن نقول أن القصص المصرية تظهر كأنما هى نموذج أصلى لكل
نظائرها من قصص المغامرات فى بلاد الجان .

واستمر تأليف القصص فى الدولة الحديثة كما كان الأمر فى
العصور السابقة وإن طرأت على اللغة المصرية تغييرات كبيرة .
ذلك لأن اللغة المصرية الحديثة — كما يسميها علماء الآثار —
لاتعدل فى جلالها اللغة المصرية الوسطى الكلاسيكية ولكن هناك
عدداً من الروايات المسلية التى حفظت لنا عن هذا الطريق ولعل
أشهرها هى قصة الأخوين (لوحة ٢٣) .

وتحدثنا القصة كيف أن أخوين هما أنبو وباتا — وأكبرهما
وهو أنبو كان متزوجاً — كانا يعيشان فى صداقة وسلام معاً
ويعملان كفلاحين . وعاد الأخ الأصغر إلى البيت يوماً من

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة :

www.ibtesama.com/vb

الحقل ليحضر بعض الحبوب التى كان فى حاجة اليها فوجد زوجة أخيه تمشط شعرها وحاولت الزوجة إغراء «باتا» فلما تأبى اشمئزازاً وغادر البيت عولت على إفساد ما بينه وبين أخيه . ولما عاد زوجها فى المساء إدعت أن «باتا» هاجمها فامتلأ قلبه حقداً على أخيه البرىء وعول أنبو على ذبحه ولكن بقرتين كان يسوقهما «باتا» إلى الحظيرة حذرتاه فجرى هارباً يطارده أخوه . وتصدى كل منهما للآخر عبر مجرى ماء أمر رع حور أختى أن يقوم بينهما واستطاع «باتا» أن يقنع أخاه أن زوجه خائنة وأنه برىء فعاد أنبو إلى البيت وذبح زوجه ورمى جثتها للكلاب .

ثم ذهب «باتا» إلى وادى الأرز حيث عاش هناك زمناً وأخذ يصيد من حيوان الصحراء وطلب تاسوع الآلهة إلى خنوم أن يشكل له زوجة فائقة الجمال حتى لا يكون وحيداً ... وكانت هذه الزوجة سبب دماره .. فحين كانت تسير يوماً على شاطىء البحر ألقت عفواً بخصلة من شعرها وحملها التيار إلى مصر إلى حيث كانت تغسل ملابس فرعون فنفذ عطرها إلى الثياب الملكية ولما شكا فرعون من ذلك وهو يعتقد أن الملابس لم يحسن غسلها قامت التحريات فى كل ناحية وانتهت إلى اكتشاف خصلة الشعر عند مغسل النهر . فجىء بها إلى فرعون الذى أمر بالبحث عن صاحبتها فوجه بعثة إلى وادى الأرز ولكن «باتا» قضى عليها ووجه أخرى

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ١٥) مكاحل ذات أشكال مختلفة (بالمتحف البريطاني) والمكحلتان اللتان إلى اليمين صنعتا للملك توت عنخ أمون

www.ibtesama.com/vb

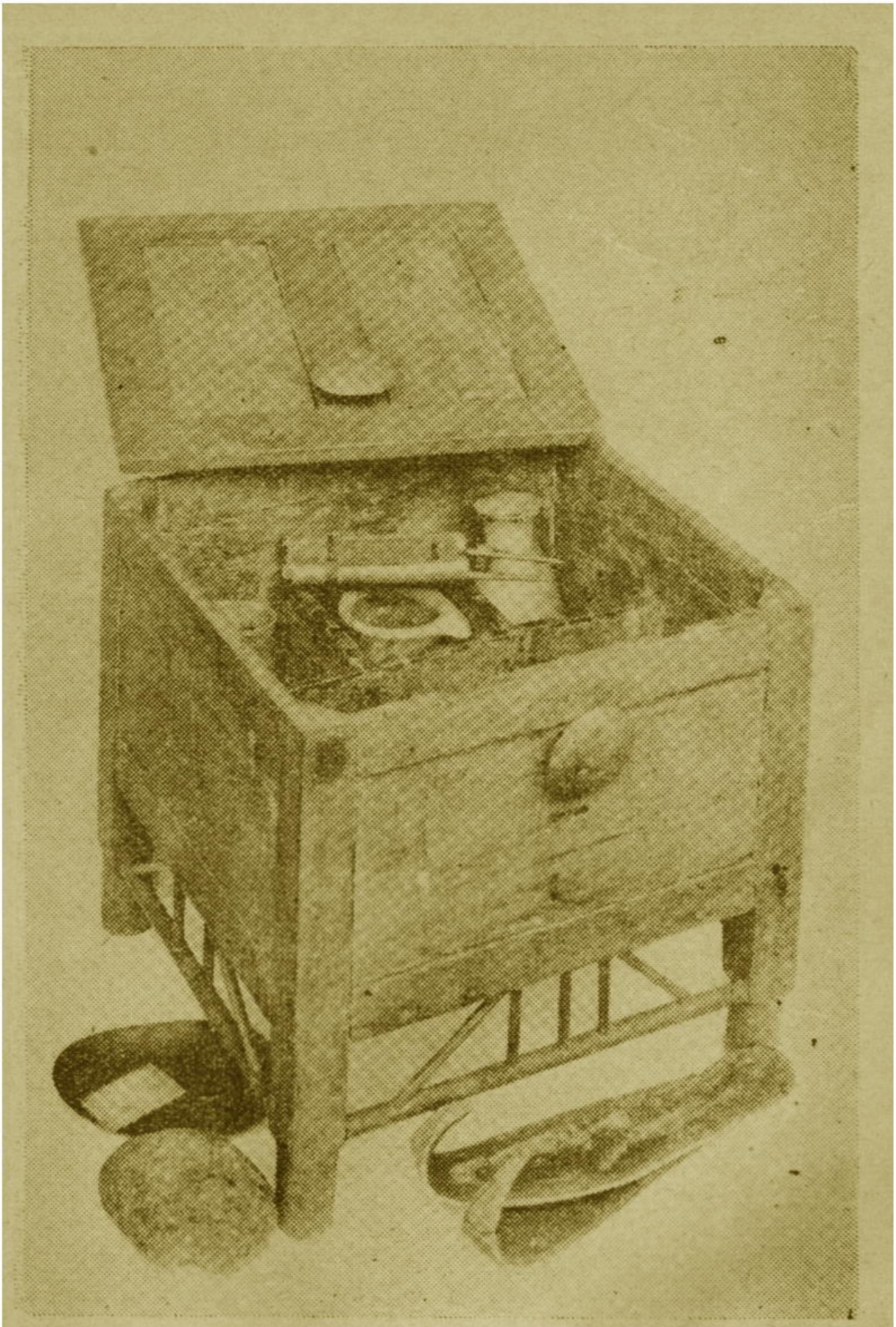

(لوحة ١٦) صندوق أدوات الزينة لاحدى السيدات المصريات . وهو يضم أواني للدهون ومكحلة مزدوجة ومشطا وزوجا من النعال .. الخ (المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

استطاعت أن توفق وتعود بالمرأة إلى مصر . ولما تزوج فرعون منها ورفعها إلى مرتبة الأميرات التمست منه أن يحقق موت زوجها بارسال رسول إلى وادى الأرز ليقطع شجرة الأرز التى وضع «باتا» قلبه فى إحدى ثمارها . وتم ذلك الأمر ومات «باتا» لفوره .

ولكن أمر «باتا» لم ينته بالنسبة للزوجة الخائنة ذلك أن أنبو أعاد اليه الحياة إذ أرجع له قلبه فعاد إلى البلاط فى هيئة ثور مقدس وكشف عن شخصه للأميرة فأمرت بذبحه ولكن نقطتين من دمائه سقطتا على الأرض أمام بوابة القصر ونبتت مكانهما شجرتا برساء ضخمتان وحين جلست الأميرة تحت إحداهما بعد بضعة أيام سمعت «باتا» يتحدث اليها فأدركت أنه ما زال حياً . فانطلقت المرأة المذعورة إلى فرعون وطلبت إليه أن يقطع الشجرتين ويصنع منهما أثاثاً .. ولم تفلح هذه المكيدة مرة أخرى لأن شظية من الخشب دخلت إلى فمها فحملت من الشظية بابن كان هو باتا نفسه . . وبموت فرعون اعتلى العرش وأوقع العقوبة بالزوجة الشريرة وعين أخاه الأكبر ولياً للعهد .

ويستطيع الباحث فى الدراسات المصرية أن يدرك للتو عقب قراءة القصة أن الأخوين لم يكونا من البشر ، وأن مغامراتهما العجيبة ليست كلها من اختراع الروائيين . ويستطيع القارئ

www.ibtesama.com/vb

أن يتذكر أن « القصص » عند قدماء المصريين كانت لوناً من ألوان التاريخ الشعبي وقصة الأخوين فيها ناحية منه . فـ « انبو » الأخ الأكبر ليس سوى الإله انوبيس وباتا يعرف كإله كان يعبد إلى جانب أنوبيس فى مصر العليا فى مدينة ساكا . ورغم ذلك فإن قصة باتا تميط اللثام من غير شك عن جانب من قصة أوزيريس فى الصورة الشعبية وتشير بصفة خاصة إلى موته وإلى بعثه بواسطة انبو .

أما التراث الذى يتصل بمختلف الآلهة وتواريخهم فقد احتفظ به فى الأدب الدينى الذى جمعه الكهنة . . . ويكاد كل « قول » من متون الأهرام القديمة وكل فصل من كتاب الموتى يحمل إشارة أسطورية لا نكاد اليوم نفقه لها معنى . ولكن يجب علينا ألا نفترض أن هذا الأدب الدينى الرسمى كان يقرأه عامة الشعب . فمن ناحية لم يكن يعرف القراءة والكتابة سوى القليلين وحتى هذه القلة لم يكن ليسمح لها غالباً بمطالعة كتب المعابد التى كانت قراءتها مقصورة على الكهنة وحدهم . أما المتون الجنزية التى تغطى جدران المقابر والتى كتبت على البردى والأدوات الجنزية فكان ينسخها كتاب معينون ، ولا يكاد يفقه معناها من كتبت من أجلهم .

وكان يحتفظ بتراث الدين فى قصص شعبي — كما هى الحال

www.ibtesama.com/vb

فى جهات أخرى فى العالم — يتداول من فم إلى فم وتروى فيه أمتع الحوادث عن حياة الإله — وبعض هذه القصص — مثل قصة الأخوين كان يدون أحياناً . ونحن نحس بالشكر العميق لذلك الضوء الذى تمنحنا إياه .

ولعل البعض يتساءل إن كان مؤلفو أمثال هذه القصص يسخرون أحياناً من أبطالهم المقدسين كما يفعل شعراء اليونان حين لا يترددون فى المبالغة فى إخفاق الأوليمبيين وخياناتهم وحيلهم ومداعباتهم . . والواقع أننا نستطيع أن نلمس هنا كذلك نفس الحرية فى التعبير ولعل من الأمثلة الواضحة لذلك القصة التى كشف عنها أخيراً فى بردية ترجع للأسرة العشرين وقد نشرها الدكتور جاردنر[1] . وتكشف هذه الوثيقة الهامة عن جانب من جوانب الفكر المصرى ومدى اعتقاده فى الآلهة وتتضمن وصف حادث هام فى القضية العظمى التى أقامها ست إله الشر ضد حوريس بعد موت أوزيريس والد الثانى . وادعى ست أحقيته لعرش مصر الذى كان من نصيب حوريس شرعاً . . . ولكى يصل إلى أهدافه لجأ إلى مختلف الحيل فادعى أن حوريس ليس إبناً شرعياً وأنه هو أحق بوراثة العرش لهذا السبب . . . وهكذا جىء بالقضية أمام مجمع الآلهة . وحين يبدأ وصف الأحداث التى تتناولها البردية

---

(١) برديه شستربيتى رقم ١ .

www.ibtesama.com/vb

تكون قد مرت ثمانون سنة منذ بدء المقاضاة . وسرعان ما تضيق صدور الآلهة ويبدأ الواحد فى عرض دعواه ثم يبدأ الآخر فى شرح أحقيته ويكاد المجلس يتخذ قراراً لولا أنه يحس أنه غير قادر على ذلك . . وبعد استعراض طويل لصور شتى من الخداع — بل الثورة — تنتقل ملكية مصر فى آخر الأمر إلى ابن أوزيريس .

والقصة إحدى القصص الشديدة الأثر فى الأدب المصرى ومن أكثرها تشويقاً من غير شك . هذا إلى أن الخشونة غير المعقولة التى يجيب بها الواحد من الآلهة الآخر وحدة صخبهم جميعاً . . . — فإله الشمس تغضبه ملاحظة تهكمية من أحد أعضاء المجلس حتى يضطر إلى الانسحاب إلى خيمته حتى يترضوه — وعدم وصول المجلس إلى قرار فينحاز مرة إلى هذا الجانب ومرة أخرى للجانب الآخر . . كل هذه المظاهر التى تكشف عنها القصة تحول الآلهة المصرية إلى كائنات مادية أمام أعيننا . . ورغم ذلك فإنهم لا يفقدون وقارهم كالدين لأن إله الشمس — كسابق العهد به منذ القدم — هو « سيد العالم » وست يذبح له كل يوم أعداءه حين يرتحل فوق « قارب الملايين » السماوى .

www.ibtesama.com/vb

الفصل الخامس

دفنة جليلة بالجبانة

كانت السيدة حنت محيت زوجة « جد خونسو » خازن معبد آمون رع فى الكرنك والكاهنة الموسيقية للإله مريضة مرضاً خطيراً منذ أسبوع .

وكان جـــد خونسو قد انتقل منذ أسبوعين إلى أوزيريس فريسة شكوى حار فى تشخيصها الأطباء والآن ها هى ذى زوجه على أبواب الموت . وكان الحزن قد أودى بها بعد وفاة زوجها فأصرت على مصاحبة جثمانه حين كانوا يعبرون به النهر إلى مكان التحنيط فى يوم شتاء اشتد ريحه وقره فأصابها برد تحول إلى التهاب رئوى واستدعى للتو كاهن طبيب من هيكل تحوت ولم يضع الوقت بل أخذ يتلو رقى سحرية لم يخب أثرها من قبل فى مثل هذه الحالات وكان نصها :

« أخرج أيها البرد يا من تكسر العظام وتحطم الجمجمة وتزعج الدماغ وتسبب ألم الفتحات الســـبع [1] فى رءوس

---

(١) العينان وفتحتا الأنف والأذنان و الفم .

www.ibtesama.com/vb

أتباع حوريس التى تتجه نحو تحوت . هأنذا قد أتيت بالعلاج ضدك بالجرعة ضدك حتى ابن المرأة التى حملت طفلا ذكراً والصمغ المعطر عساها تطردك . لعلها تضطرك للخروج لعلها تدفعك خارجا . عساها تطردك . أخرج على الأرض . ابل ابل ابل ابل » .

ورغم جهود الرجل الفاضل نحو مريضته فإن حالتها ساءت لأن المرض كان فوق مستوى قدرته . وبقيت نزمت طوال اليوم إلى جانب سرير أمها وهى تستخدم مروحة من قش النخيل وتضع على جبهتها ضمادات من مرهم مبرد . وحين غاص رع أخيراً خلف جبل « مانو » جاءت النهاية وارتمت نزمت باكية عند طرف السرير من ناحية القدمين .. لقد لحقت حنت محيت بزوجها فى مملكة أوزيريس .

وكان موت ربة البيت علامة لما سوف يظهر لنا اسرافا فى مظاهر الحزن . فلقد اندفعت نزمت وخادماتها إلى الشارع وهن يصرخن فى صوت مرتفع ويمزقن ثيابهن ويهلن الطين والتراب فوق رءوسهن وسرن فى الحى الشمالى لطيبة حتى وصلن إلى بيت « نسامون » أخ « حنت محيت » فلما أنبأته نزمت بموت أمها لحق بموكب النساء وثيابه الكتانيه الرقيقة ممزقة والتراب يغطى جمته (شعره المستعار) وهو يضرب صدره بيده ويئن فى صوت مرتفع .

www.ibtesama.com/vb

وعند الوصول إلى بيت الموت أبدى نسامون استعداده لعمل كافة الترتيبات الخاصة بالجنازة فأرسل للتو رئيس الخدم ليستأجر قارباً لحمل الجثمان إلى مكان التحنيط وكانت نزمت والنساء الأخريات قد غسلن جثة حنت محيت ولففنها بالكتان النظيف . وحين عاد رئيس الخدم كان يصحبه رجلان يجران زحافة خفيفة خلفهما . وضعت عليها باحترام الجثة التى كانت لا تزال على سريرها وسار نسامون مع الرجال حتى رصيف الميناء حيث نقل الرجال السرير وما عليه على القارب الذى رافقته الجماعة لتعبر النهر . وحين وصلوا إلى البر الآخر جيء بزحافة أخرى وحملت الجثة إليها وسحبت إلى ذلك المكان الذى تصبح من بعده خالدة .

ورغم أن التحنيط كان أمراً شائعاً فى مصر القديمة ورغم أن الضفة الغربية لطيبة كانت معملا كبيراً لصنع المومياوات والأثاث الجنزى فإنه لم يكن هناك مبنى دائم تتم فيه عملية التحنيط فكانت تقام لكل شخص حظيرة مؤقتة لتحنيطه ثم تفك اجزاؤها بعد الانتهاء من العملية . ولذا فحين يقترب نسامون وجماعته الحزينة من الناحية التى يقصدونها تلتقى أنظارهم بقرية من الاخصاص والخيام .

وكان يحيط بالمكان سور من اللبن تتوسطه بوابة أعلن عندها

www.ibtesama.com/vb

نسامون ورجاله وصولهم إلى البواب وانتظروا . وبعد وقت قصير جاء إلى البوابة محنطان عاريان إلا من مئزر وقادوهم إلى غرف العرض وهى مجموعة من الأكواخ حفظت بها نماذج من المومياات والتوابيت وكذا نماذج من الأثاث الجنزى . وهنا شهد نسامون على الموائد مجموعة من نماذج المومياات الدقيقة مصنوعة من الخشب وملونة بالألوان الزاهية تمثل مختلف طبقات التحنيط التى تتم بأسعار متفاوتة[1] . ولما كانت أسرة نسامون من أكبر الأسر ثراء فى طيبة وكان جثمان جد خونسو لا يزال فى أيديهم منذ عشرة أيام ليقوموا بتحنيطه تحنيطاً فاخراً فإنه أوصى أن يحنط جسد « حنت محيت » كذلك بنفس الطريقة الفاخرة .

وبعد ذلك انتقل نسامون ليختار الجانب الباقى من معدات الدفن وهى التابوت الداخلى والخارجى وأوانى الإحشاء وتماثيل الأوشبتى ونسخة من كتاب الموتى وأشياء اخرى سنتناول وصفها بالتفصيل فيما بعد . وكانت مدة التحنيط تستغرق سبعين يوما ولذا فإنه كان من الواضح أن جثمان « جد خونسو » سيكون معداً قبل جثمان زوجه التى سارعت باللحاق به ولكن نسامون أصدر أوامره بأن يؤجل تسليم مومياء « جد خونسو » حتى يتم تحنيط جثمان حنت محيت ويسلم الاثنان معاً إلى الأسرة فى يوم الجنازة . وبعد عمل

(١) ذكر ديودور (حوالى ٤٠ ق . م) الكاتب اليوناني ان اغلى عملية تحنيط كانت تتكلف ما يعادل ٢٥٠ جنيها اليوم

www.ibtesama.com/vb

الترتيبات جميعاً عاد نسامون إلى المدينة ليعزى ابنة أخته تاركا أخته فى رعاية المحنطين .

لم يكن التحنيط فى مصر القديمة عمل متعهد يختص بأمور الدفن بل كان طقسا دينيا مقدسا لأن العملية كلها من بدايتها إلى نهايتها كانت تقليداً لما تم عمله لأوزيريس إله الموتى وحاكم العالم السفلى . وفى العصور الغابرة كان أوزيريس المقدس (لوحة ١٨ شكل ١) يحكم مصر كملك فقتله غدراً أخوه ست العدو الأكبر للاستقامة والصلاح والتقوى ولم يكتف ست بهذه الجريمة المنكرة بل مزق جسد أخيه إلى أربع عشرة قطعة نثرها فى انحاء البلاد ولم تستشعر ايزيس الزوجة الأمينة لاوزيريس (لوحة ١٨ شكل ٢) الراحة حتى جمعتها ووصلتها إلى بعضها ثم عاونها الاله أنوبيس الإله برأس إبن آوى لفحنطها بمهارته المعهودة واستعاد أوزيريس حياته عن طريق السحر وهكذا فشلت جهود ست .

ولكن ليست هذه هى نهاية القصة ... ذلك أن أوزيريس توج ملكا على العالم السفلى ... أرض الأرواح المرتحلة وكان يشهد بعثه كل عام أهل مصر ذلك لأن أوزيريس كان مانح مياه النيل الذى يعطى الحياة لمصر والتربة الخصبة السوداء والزراعة الخضراء التى تنمو بها ... أنه كان الوجه المتغير للطبيعة . . كانت ظاهرة موته تتمثل فى ذبول النباتات ونقصان ماء النهر حتى ليكاد

www.ibtesama.com/vb

يجف وكان بعثه وانتصاره يرمز لهما الفيضان الزاخر والنمو المتجدد للنبات .

كان الرجال والنساء يستطيعون أن هم أرادوا أن يحصلوا على الحياة بعد الموت كما فعل وكل واجبهم كان ان يمروا بنفس الطقوس السرية وعلى ذلك فإن كل طقوس التحنيط كانت تستهدف تقليد ما تم لجسد أوزيريس على يد أنوبيس . وكان المحنط يمثل أنوبيس فعلا خلال بعض أجزاء العملية فيلبس قناعا فى صورة رأس ابن آوى ويتلو الكهنة المرتلون الذين يرافقونه بعض النصوص السحرية المتصلة بمختلف أدوار العملية ولنر كيف عالج المحنطون جسد حنت محيت [١] .

تجرد الجثة أولا من الملابس وتوضع على لوح خشبي وتعمل الاستعدادات لنزع المخ بوضع مثقاب فى الأنف عن طريق العظم المصفوى ثم يوضع مسبر معدنى ذو خطاف فى نهايته فى الرأس عن طريق الفتحة التى استحدثت ويقطع المخ إلى اجزاء تسحب بواسطة قصبة ملفوفة تستعمل كمبسط الصيدلى اليوم . ثم يغسل الفم ويملأ بكتان مشبع بالراتنج وتوضع ضمادات من الكتان فوق الأعين الغائرة وتسحب الجفون فوقها .

---

(١) يستند الجزء التالى على ما جاء فى مقال لـ W. R. Dawson عن making of a mummy الذى نشر فى Journal of Egyptian Archaeology vol. XIII pp. 40 ff.

www.ibtesama.com/vb

أما المرحلة التالية فكانت تتضمن التخلص من الامعاء فيبدأ أحدهم بجر خط بالحبر على الجانب الأيسر من الجسم ثم يقطع آخر قطعاً طولياً بسكين وبواسطة هذا القطع وقطع آخر فى الحجاب الحاجز يضع المحنط يده ويفصل الأعضاء الداخلية وينزعها جميعاً ولا يترك سوى القلب (وربما الكليتين) فى مكانه لأن المصريين كانوا يعتقدون أن القلب كان مركز الإحساس وهو عقل الرجل ولذا كان من المهم أن يظل حيث هو متصلا بأوعيته الكبرى ليظل يحكم جسد الميت حين ترتد له الحياة .

وبهذه الصورة يصبح الجسم معداً لحمام الملح الذى ينقع فيه بضعة أيام وربما كان هذا الحمام قدراً كبيراً توضع فيه الجثة القرفصاء والركبتان مثنيتان إلى الذقن ويظل الرأس بارزا فوق السائل ولكى لا يتعفن الرأس كان يغطى بطبقة سميكة من عجينة راتنجية أولا . وكانت تتم بالأمعاء فى الوقت نفسه عملية أخرى بعد إخراجها من الجسد . فكانت تحنط على حدة وتوضع فى أربعة قدور مرمرية تحتت أغطيتها بحيث تمثل رءوس أبناء حوريس الأربعة وكانت هذه المعبودات تمثل عادة فى الصور كآلهة موتى أى فى شكل مومياء .. وأحدها يسمى امستى برأس رجل والثانى يسمى حابى برأس قرد ، والثالث برأس ابن آوى ويسمى دوا — موت — اف (عابد أمه) أما الرابع فاسمه قبح — سنو —

www.ibtesama.com/vb

اف (أى مرضى اخوته) وهو برأس الصقر . وفى كل نسخ كتاب الموتى تقريباً نستطيع أن نرى المنظر الملون الذى يمثل أوزيريس على عرشه فى قاعة المحاكمة وأبناء حوريس الأربعة واقفين على زهور اللوتس أمامه . وكانت أجزاء الأمعاء المختلفة توضع فى الأوانى الكانوبية لتتحد مع الآلهة الأربعة فالكبد مع الامستى والرئتان مع الحابى والمعدة مع الدواموت اف والمصران مع القبح سنواف . أما الأوانى نفسها من ناحية أخرى فرغم أن أغطيتها كانت تمثل رءوس هذه الآلهة فإنه كان يظن أنها هى الإلهات ايزيس ونفتيس ونيت وسرقت على التوالى وكل منها تحمى الإله — أى الأمعاء التى تحويها — ويكتب على كل إناء صيغة تكاد تتشابه فيها جميعاً . فنص إناء امستى يقرأ مثلا :

« كلمات تقولها إيزيس : أنا ألف ذراعى حول ذلك الذى بداخلى . أنا أسبغ حمايتى على امستى الذى فى ... الأوزيريس[1] الكاهنة الموسيقية لأمون « حنت محيت » . وبعد بضعة أيام حين يستخرج جسد حنت محيت من حمام الملح يكون منظره مؤسياً ذلك لأن كل الشحم يكون قد ذاب ولا يبقى من الجسد سوى العظم والجلد ، أما النسيج العضلى واللحم فيتحولان إلى كتلة

(١) كل ميت كان يدعى أوزيريس لأنه كان يظن أنه (أو أنها) يصبح متحدا مع الأوزيريس نفسه .

www.ibtesama.com/vb

اسفنجية[١] . وأما البشرة فتسلخة ولكى لا تسقط أظافر اليدين والقدمين نرى المحنط قد أخذ احتياطاته من قبل فقطع الجلد الذى تحت الظفر قبل وضع الجسم فى حمام الملح وترك قمعاً من الجلد مربوطاً بالسلك ، ثم تسوى الجثة فى وضع أفقى وتجرى عليها عملية التجفيف الهامة لأنه يجب تخليص الجسم تماماً من كل الرطوبة التى لحقت به من جراء وضعه فى الحمام . ولسنا ندرى تماماً كيف كان يتم ذلك الأمر وان كنا نرجح أن حرارة الشمس أو النار الهادئة أو كليهما معا كانا يستخدمان للوصول إلى النتيجة المطلوبة.

أما وقد أعد كل شيء الآن للمراحل النهائية للتحنيط فإن الجسد يغطى بطبقة من الراتنج والنطرون أو الملح والدهن الحيوانى وحشوات من الكتان مغموسة فى نفس المزيج تحشر فى فجوات الجسم . أما قطع المحنط فى جانب الجثة فيغطى بلوحة من الشمع تنقش عليها صورة العين المقدسة لحوريس أما الجمجمة فتلف بكتان مغموس فى الراتنج وتحشى فتحات الأنف بنفس الطريقة ثم توضع كمية راتنجية أخرى على الجسم وتبدأ عملية وضع اللفائف بعد ذلك وعند أجراء هذه العملية يتلو « خرى حب » أو كاهن مرتل من إحدى ملفات البردى صلوات ورقى تناسب

---

(١) Dawson : نفس المرجع السابق صفحة ٤٥

www.ibtesama.com/vb

كل عضو يلف بالأربطة ثم يضع المحنط كذلك تمائم ذات قوة سحرية فعالة على الجسم . وهـذه لها كذلك صيغ خاصة يتلوها الكاهن (لوحة ٢٦ شكل ٢) وقد وضعت حول رقبة «حنت محيت» ثلاث من هذه التمائم الهامة جداً هى «الدد» وربطة حزام إيزيس وصولج البردى . والأولى من الذهب ويقال أنها تمثل العمود الفقرى لاوزيريس ولذا فانها تصون العمود الفقرى للجثة . أما الثانية فمن اليشب الأحمر (حجر الدم) وترمز إلى دم إيزيس . وأما الثالثة فتمثل صولج البردى الذى تحمله إيزيس فى يدها وهى مصنوعة من الفلسبار الأخضر . وتوضع فى أجزاء أخرى من المومياء تمائم كثيرة تمثل تيجان فرعون مصنوعة من القاشانى الأزرق وأصبعان غريبان من الأوبسديان (الحجر الزجاجى الأسود) ونموذج لعين حوريس ذات الأثر الفعال التى كان لها على مر التاريخ المصرى الاحترام المطلق لأن التقاليد نقلت إلينا أنه بعد أن قتل ست أخاه أوزيريس دخل ضده حوريس إبن أوزيريس فى صراع دموى مرير لينتقم لأبيه انتصر فى نهايته وأن فقد عينه التى شوهها له خصمه وشفى تحوت العين واعادها إلى حوريس الذى أعطاها بدوره إلى أبيه الميت ليأكلها ومن ثم دبت الحياة فيه للتو . وتروى لنا أسطورة أخرى أن العين عين إله الشمس ... أى أنها الشمس نفسها التى شردت من مكانها فأعادها تحوت سالمة .

www.ibtesama.com/vb

ولعل أهم التمائم جميعاً التى توضع فوق المومياء هى جعل القلب الذى يتدلى من الرقبة بسلك ذهبي وهو يصنع عادة من حجر أخضر صلب فى صورة جعل كبير يزيد طوله على أربع بوصات ويكتب على قاعدته فصل ٣٠ ب من فصول كتاب الموتى وكان الجعل رمزاً للقوة الخالقه وكان معنى وضعه أنه يعيد الحياة إلى القلب وإن كانت الفكرة التى أوحت بالنص المحفور عليه تختلف عن ذلك لأن المصريين كانوا يرهبون تلك اللحظة المرعبة التى يصل فيها القلب الإنسانى إلى ساحة أوزيريس ليوزن هناك فى موازين العدل ويماط اللثام عن الآثام ومن هنا كان يطلب صاحب القلب إلى قلبه إلا يخونه (أو يخونها) ولذا فإن النص يجرى على النحو التالى :

« يا قلب أمى يا قلب أمى ياقلب تحولاتى لا تقف شاهداً ضدى . لا تدع هناك معارضة ضدى كشاهد . لا تجعل المحكمين يقاومونى لا تثقل ضدى فى حضرة حارس الموازين أنت « كا » ى التى فى جسدى . أنت خنوم [1] الذى يجعل أعضائى موفقة ».

والآن وقد انتهت عملية لف اللفائف وأصبحت المومياء (لوحة ٢٧ شكل ٢) معدة للوضع فى التابوت نستطيع أن نلحظ أن

---

(١) إله : أنظر صفحة ٨٧

www.ibtesama.com/vb

غطاء هذا التابوت (لوحة ٢٧ شكل ١) قطعة فنية جميلة تمثل حنت محيت نفسها وهى تلبس شعراً مستعاراً طويلا أسود اللون وذراعاها معقودان على صدرها والتابوت من خشب مذهب ثقيل ما عدا الشعر المجعد الأسود فهو مغطى بزخارف من الجص تحت التذهيب . وهناك شريط ذهبي يدور حول الرأس وحزمة من زهور اللوتس على الجبهة وفى الوجه الذهبي لحنت محيت نرى إنسان العين وحاجبها مطعمة بالأوبسديان (الحجر الزجاجى الأسود) وحول العنق أكليل عريض من الزهور وهى تلبس أساور حول ذراعيها . وتحت الأذرع وضعت حلية مستطيلة تبين رسومها المتوفاة تتعبد إلى إله الشمس رع فى قاربه وعلى جانبي الحلية تمثل عين حوريس وتحتها نوت إلهة السماء تنشر أجنحتها الحارسة فوق الجسم . والرباط الوحيد الذى يسرى على المومياء من الرأس إلى القدم وثلاثة أخرى تتقاطع معه تمثل أسفل الإلهة نوت والمسافة فيما بينها تملأها صور الآلهة أمستى وحعبي وأنوبيس ودوامنوت إلخ وعلى القدمين رسمت إيزيس ونفتيس وتحت القدمين ترى إيزيس مرة أخرى راكعة وبيداها ترفرفة ومعها النص التالى :

وكلمات ترددها إيزيس العظمى: ذراعى خلفك لتحمى جسدك

أيتها الأوزيريس حنت محيت ، وتحمل صور الأربطة على التابوت أسم حنت محيت وصيغا دينية .

ونرى المحنطين الآن يضعون المومياء فى حرص وعناية داخل التابوت ولكن قبل أن يثبتوا الغطاء فى مكانه نراهم يضعون غطاء داخليا فوق المومياء نفسها مصنوعا من الخشب المذهب والجزء العلوى حتى الإلهة نوت من أسفل يشبه كثيراً غطاء التابوت السالف الذكر . أما الجزء السفلى فبه مناظر دينية نحتت فى حرية فى الخشب على كتان مقوى أو نرى فى أعلى صورتين لنحوت وهو راكع يقدم عين حوريس إلى أوزيريس وفى أسفل رسم الميت وهو واقف يتعبد إلى حعبي وأمستى وأنوبيس ودواموت إف وقبح سنواف وفوق القدمين أيزيس ونفتيس كما رأيناهما فوق غطاء التابوت . ثم يثبت الغطاء أخيراً فى مكانه ويوضع التابوت كله داخل آخر يشابهه فى الصورة والمظهر .

وهكذا تنتهى عملية تحويل حنت محيت إلى مومياء وقد استغرقت سبعين يوما وهى معدة الآن لتعاد إلى أسرتها مع مومياء زوجها فى يوم الجنازة .

ولنلاحظ قبل كل شىء وحدتين فى أدوات الدفن الخاصة بها أولاهما تماثيل الأوشابتى وثانيتهما كتاب الموتى ، أما الأولى فهى

www.ibtesama.com/vb

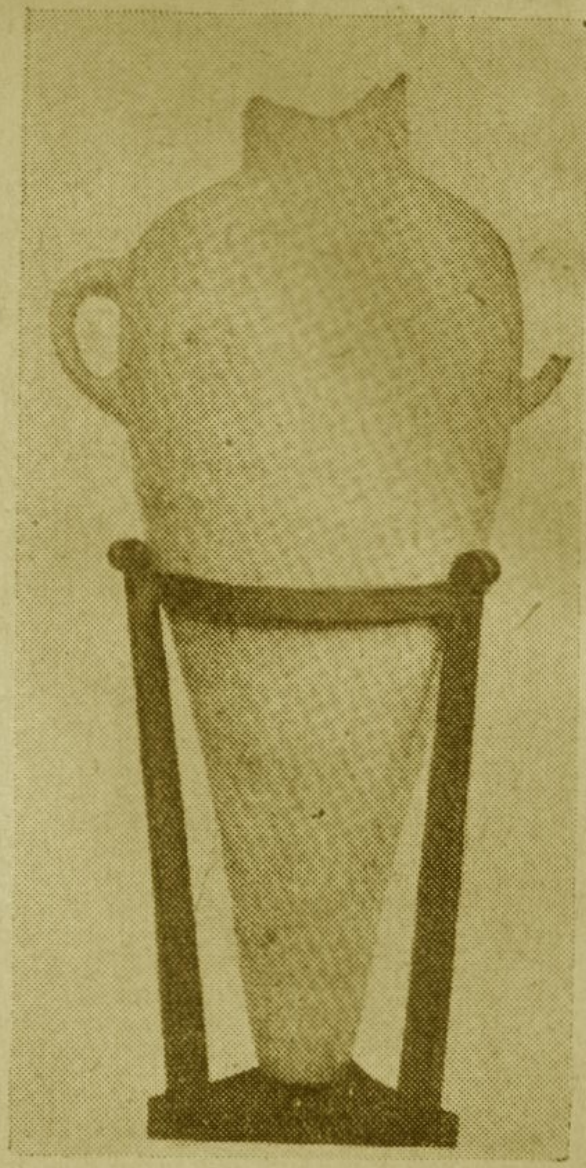

(شكل ١) إناء للنبيذ من الفخار ، عليه كتابات بالمداد تتضمن تاريخ ونوع التعبئة

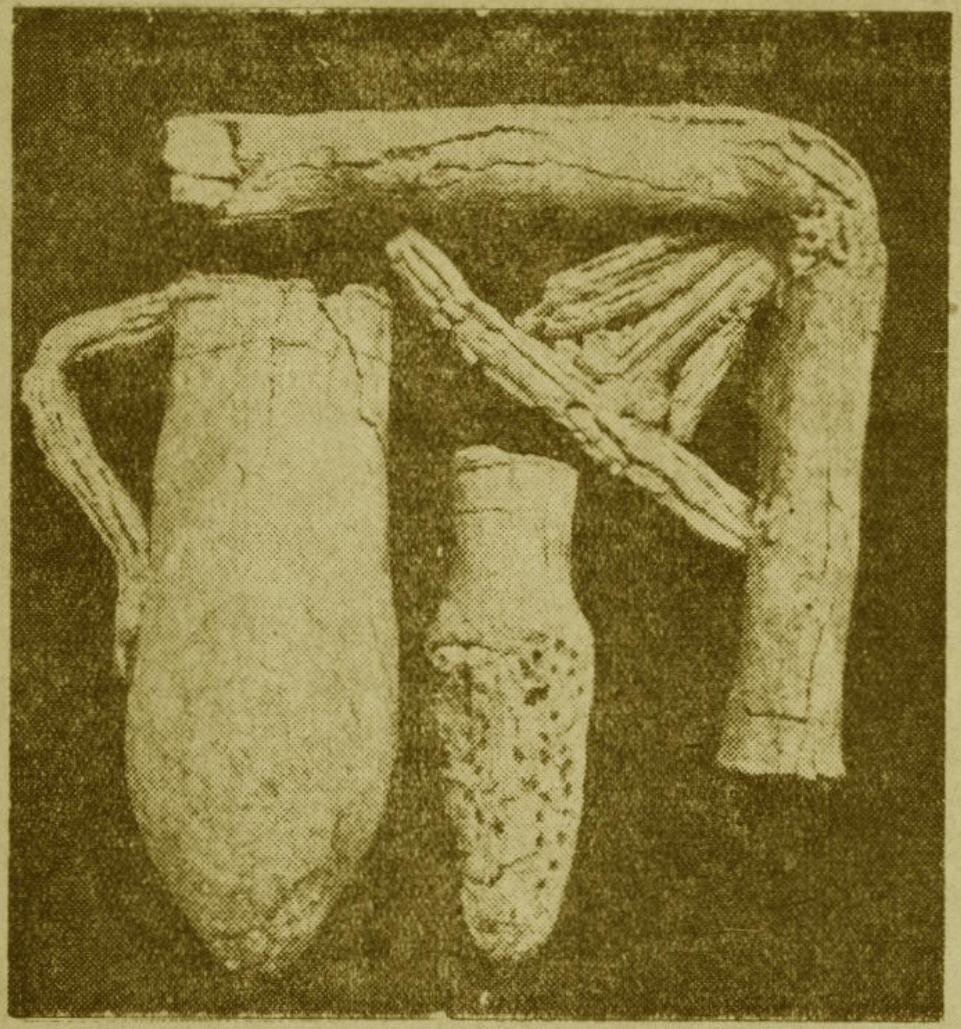

(شكل ٢) أنبوبة على شكل الزاوية ومصفاة من الرصاص لمصاصة كانت تستعمل لشرب النبيذ . وإلى اليسار إناء صغير من الرصاص للغمس .
(من تل العمارنة — المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

لوحـــة ١٨

(شكل ١)
تمثال صغير جالس من البرونز لأوزيريس ، إله الموتى .
(المتحف البريطانى)

(شكل ٢)
تمثال صغير جالس من البرونز لايزيس - حتحور ، زوجة أوزيريس ، وهى ترضع حوريس ، إبنهما الرضيع

www.ibtesama.com/vb

تماثيل صغيرة لطيفة تمثل حنت محيت فى صورة المومياء وبعضها من القاشانى الأزرق اللامع والبعض الآخر من الخشب المنحوت الملون (لوحة ٢٨) وهذه التماثيل ترى وهى تحمل فؤوسا فى أيديها وسلالا على ظهورها ومهمتها الحلول محل المتوفاة إن قادها سوء حظها للسخرة فى الأعمال الزراعية فى مملكة أوزيريس والفصل السادس من كتاب الموتى المنقوش على التماثيل الخشبية بمثابة رقية تعيدها إلى الحياة ونصها :

« فصل يجعل تماثيل الشوابتى تباشر عملها فى الجبانة تتلوه سيدة البيت مغنية أمون رع حنت محيت المبررة : يا تمثال الاوشابتى أن عينت المبررة الأوزيريس حنت محيت لتباشر أعمالا فى الجبانة . . لتحل أنت محلها كل مرة حتى تزرع الحقول . وتغمر المراعى أو تحمل الرمال التى فى الشرق وتنقلها إلى الغرب وستقول « ها أنذا » .

وفى بعض الأحيان كان عدد كبير من هذه التماثيل يدفن مع الموتى من الطبقة الراقية حتى يبلغ عددها ٣٦٥ تمثالا بمعدل تمثال لكل يوم من أيام السنة وقد عثر فى قبر سيتى الأول ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشرة على ما يزيد عن ٧٠٠ تمثال من هذا النوع .

www.ibtesama.com/vb

ولنعد الآن إلى النسخة الفاخرة من كتاب الموتى الذى اشتراه نس آمون لاخته المتوفاة . إنها ملف من البردى طوله ستون قدما ملىء بأعمدة من النصوص الهيروغليفية وصور ملونة تلوينا زاهيا (لوحة ٢٩) . ولم يكن النص الدينى المعروف لعلماء الآثار المصرية تحت اسم كتاب الموتى يسمى كذلك عند قدماء المصريين بل أنه كان يسمى « فصول الخروج نهاراً » أى أن العلم بالكتاب يمكن الميت من ترك القبر بعد الموت والخروج مرة أخرى إلى ضوء النهار . وكتاب الموتى قديم فى أساسه ويحوى رقى سحرية مختلفة تمكن الميت المصرى من الحصول مباشره على الخلود الذى طالما تاقت نفسه إليه . والمجموعة الأولى التى خلفتها لنا مصر من مثل هذه الرقى هى متون الأهرام المنقوشة على جدارن المقابر الهرمية لفراعنة الأسرتين الخامسة والسادسة (حوالى ٢٦٠٠ ق م) أما المجموعة الثانية التى نعرفها فهى متون التوابيت التى كتبت على التوابيت الخشبية المستطيلة للدولة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ ق. م) وأما المجموعة الأخيرة فمحفوظة فى برديات الدولة الحديثة وما بعدها . وفيها نرى أجزاء من نصوص الأهرام ومتون التوابيت قد جمعت وأضيفت إليها مادة جديدة .

وفى الوقت الذى نتناوله بالحديث كانت نسخة كتاب الموتى

www.ibtesama.com/vb

المستعملة قد جمعها كهنة إله الشمس فى هليوبوليس ولذا لا نرى مكانا لآمون إله طيبة فيها حيث يلعب إله الشمس واوزيريس الأدوار الرئيسية . ومن المستحيل هنا أن نصف بالتفصيل محتويات هذا الكتاب الدينى ولكن نستطيع أن نقدم بيانا مختصراً عن أهم جوانبه .

فأول قسم يسترعى انتباه القارىء حين يفتح بردية حنت محيت أمامه هو القسم الخاص بالمحاكمة بعد الموت . وترى الرسوم الملونة قاعة الحقيقتين التى يجلس فيها أوزيريس على عرشه كملك للعالم السفلى وكحاكم للموتى . ويرى عرش الإله داخل مقصورة تتخذ هيئة التابوت ولون جسمه أخضر لأنه يمثل البعث الدائم للطبيعه فى الخضرة المزهرة للربيع وعلى رأسه تاج آتف وهو غطاء رأس طويل أبيض ثبتت على جانبيه ريشتا الحق وجسمه ملفوف لفاً محبوكا فى أربطة مومياء لا يظهر منها سوى وجهه ويديه وهو يقبض على صولج «واس» الذى يحمله الآلهة دائما وعلى عصا الراعى وسوطه وهى رموز الملك . وخلف العرش تقف إيزيس الاخت الزوجة لأوزيريس ونفتيس أخته الأخرى ويداهما تستقران فى حنان على كتفى أخيهما . وتنمو أمام أوزيريس زهرة لوتس يقف عليها أحفاده الأربعة أبناء حوريس وفى قمة الصورة صف طويل من الآلهة الرئيسية لمصر يجلسون

www.ibtesama.com/vb

فى وقار وعظمة وهم زملاء أوزيريس فى المهمة الرهيبة المتصلة بمحاكمة المرتحلين . وإلى يسار الصورة ترى صاحبتنا حنت محيت تدلف إلى القاعة . وأن نحن انتقلنا إلى جانب آخر من البردية نستطيع أن نطالع الكلمات التى تحيى بها قضاتها [١] :

« تحية لك أيها الإله العظيم سيد الحقيقتين . لقد أتيت إليك يا مولاى . .

لقد جيء بى حتى أشهد مفاتنك . أننى أعرفك وأعرف اسمك وأعرف أسماء الإثنين والأربعين قاضيا الذين معك فى قاعة الحقيقتين هذه والذين يعيشون كحراس على الأثمة ويغتذون بدمائهم فى ذلك اليوم حين يدعى الناس إلى حضرة ون نفر [٢] . ها أنذى إننى أعرفك ولقد أتيت لك بالاستقامة وطردت السوء من أجلك. أنا لم آت شراً لإنسان. أنا لم أضطهد أقربائى . أنا لم أرتكب الشر حيث كان يجب البر . أنا لم أغضب إلها . أنا لم أغتصب أملاك اليتيم . انا لم آت ماتشمئز منه الآلهة . أنا لم أقدح فى خادم لمولاه . أنا لم أكن مصدر ألم . أنا لم أكن سبباً فى اجاعة أحد .

أنا لم أكن علة بكاء . أنا لم أقتل أناطاهرة . أناطاهرة أناطاهرة »

وعلى هذه الصورة تبين حنت محيت للآلهة إنها مبرأة من كل اثم

---

(١) فصل ١٢٥ (المقدمة) من كتاب الموتى (٢) اسم لاوزيريس

www.ibtesama.com/vb

وتطلب إليهم أن يبرئوا ساحتها ولكن عليها أن تفعل أكثر من ذلك . . . من الضرورى أن توجه الحديث إلى كل واحد من القضاة الاثنين والأربعين على انفراد وتنفى عن نفسها إثنين وأربعين إثماً محدداً واحداً واحداً وحين ينتهى ذلك تبدأ فى مواجهة أشد أجزاء المحنة رعباً إذ يوزن قلب حنت محيت فى موازين الحق الموضوعة فى وسط القاعة والتى يديرها الإله أنوبيس فيوضع قلب الميتة فى كفة وتوضع فى الكفة الأخرى ريشة ترمز إلى الحق . ويقف تحوت خلف أنوبيس وهو كاتب الآلهة برأس أبى منجل الذى يسجل بقلمه وحبره النتيجة . ويجلس خلفه وحش كريه يدعى عموت [1] وهو خليط من تمساح ولبؤة وفرس بحر يقبع منتظرا افتراس الأرواح التى يحكم عليها . ويرقب عملية الوزن كذلك ثلاثة مخلوقات أخر إحدها قالب اللبن الذى جلست عليه أم حنت محيت يوم ولادة ابنتها وله هنا رأس أدمى والا « شاى » أو « القدر » للمرأة المتوفاة فى صورة إنسانية وطائر برأس آدمى يدعى الا « با » هو الروح (أنظر كذلك لوحة ٢٩) [2]. ويرى الثلاثة وهم يحبسون أنفاسهم ينتظرون النتيجة فى قلق ولكن لا بأس عليهم فإن حنت محيت يعلن انتصارها ويقودها

---

(١) الاسم معناه « ملتهم الموتى » .

(٢) أهم جزء فى كيان الانسان الروحى هو الكا وهو يعتبر إما « قرينا » فوق الطبيعة أو أحد أرواح الأجداد (طوطم) .

www.ibtesama.com/vb

حوريس ابن أوزيريس فتقترب من عرش القاضى الأعظم ثم يعلن حوريس إلى أبيه إنها حوكمت وإنها وجدت بارة ويوافق أوزيريس على المحاكمة ويحدد لها مكانها من دولته .

ولكن هذا الجزء الذى تناولناه بالوصف ليس رغم أهميته سوى جانب من صور متعددة النواحى فهناك رقى لمنع القلب من أن يؤخذ وهناك أخرى تساعد الميت على أن يبحر مع رع فى قاربه عبر السماء وفى المرور خلال البوابات التى تحرسها الآلهة وهكذا . وكلها ممثلة بالصور والرسوم . ونسخة كتاب الموتى التى وضعت مع أثاث حنت محيت الجنزى لم تعمل خصيصاً لها كما يحدث فى بعض الحالات بل كانت « جاهزة » فى حوزة اللحادين وقد تركت الأماكن التى يوضع فيها إسم المتوفى خالية وقد ملئت فى هذه المناسبة باسم حنت محيت وألقابها ولعله من الخير أن وقتنا لا يتسع لفحص كتاب الموتى الجميل المحفوظ هنا معها لأننا لو فعلنا فقد نجد أن روعته قد لا تصل إلى أبعد من مظهره ذلك لأن نسخ كتاب الموتى التى يبيعها اللحادون فى مصر القديمة مليئة بإخطاء مبعثها الإهمال . فهناك فصول مكررة وهناك أقسام بأكملها أغفل إثباتها وهناك فصول أعطيت عناوين خاطئة وهكذا ويرجع ذلك إلى أن أعداداً كبيرة منها كانت تنسخ وكان أكبر

www.ibtesama.com/vb

الجهد يبـــذل فى العناية بمظهرها فقط أما فى العصور القديمة فقد كان الكتاب أكثر عناية بعكس الآن حيث سرت روح الإهمال وتفشت .

أما بعد . فكل شىء معد الآن للجنازة ... وفى اليوم المحدد يأتى نسامون ونزمت فى صحبة فرقة من النائحات المستأجرات وعدد من الأقارب والأصدقاء يعبرون النهر فى الصباح المبكر أما الكهنة الجنزيون الذين يقودون موكب الجنازة واللحادون فينتظرون وصول الجماعة على رصيف ميناء الجبانة حيث أحضرت مومياء جد خونسو وحنت محيت مع الأثاث الجنزى الخاص بهما ... وحين ينزل الأقارب إلى الأرض يبدأ الموكب الذى نستطيع أن نصفه على الوجه الآتى :

يسير فى المقدمة رجال يحملون مختلف الأشياء الهامة التى يحتاجها الميت فأحدهم يحمل تمثالين أبيضين لفرعون وهو يلبس التاج الأحمر على رأسه ويحمل آخر قائماً خشبياً وضعت فيه ثلاثة أوانى من المرمر تحوى طعاماً ودهوناً ثمينة وخلفه رجال يحملون على أكتافهم صناديق خشبية طويلة تحوى عدداً من الحلى مثل الصدريات الذهبية فى هيئة العقاب ودوائر صغيرة للشعر وزوج من الأساور الذهبية المطعمة بلازورد وغيره من الأحجار الأخرى

www.ibtesama.com/vb

وخاتم من الذهب للختم ومرآة من البرنز اللامع المصقول ذات مقبض من العاج . ثم نرى بعد ذلك مجموعتين من الرجال يجرون خلفهم مقاصير خشبية صغيرة موضوعة على زحافة وبداخل المقاصير الأوانى الكانوبية التى تحوى الأمعاء المحنطة للميت ولهذا فان هذا القسم من الموكب يتقدمه الكاهن المرتل الذى يرتل فى وقار وهو يسير . وخلف هذه جثتا الميتين وكل مومياء موضوعة فوق مضجع تحت كنة مزخرفة وكلها تحمل على زحافة تجرها الثيران ويصحبها كاهن يحرق البخور فى مبخرة ويريق سكائب الماء على الأرض وأمام وخلف الزحافات تسير النادبات وتسمى إحداهن الحدأة الكبيرة والأخرى الحدأة الصغيرة وهما تمثلان الإلهتين إزيس ونفتيس اللتين حولتا نفسيهما حين وجد أخوهما أزوريس مقتولا إلى حدأتين ترفرفان حول جثته وتصدران صرخات العويل — وهناك كاهن آخر يسير خلف المومياتين ويتبعه جماعة من ذوى المراكز الرفيعة من طيبة من أصدقاء جد خنسو ذوى النفوذ وهم يحملون عصياً فى أيديهم .

وتتلى طوال الوقت خدمة دينية يرددها الكهنة فيقول أحدهم وهو يخاطب الموتى : « فى سلام فى سلام نحو الإله العظيم »[1] ويرد النبلاء الطيبيون قائلين « تقدم فى سلام — فى سلام نحو

(١) أوزيريس .

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ١٩)

(شكل ١)

موميـاء أحد العجول المقدسة من العصر الروماني (المتحف البريطانى)

(شكل ٢)

قطة من البرونز للالهة أوباستت ، تتحلى بأقراط من الذهب ، من الأسرة (٢٦) (المتحف البريطانى)

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٠)

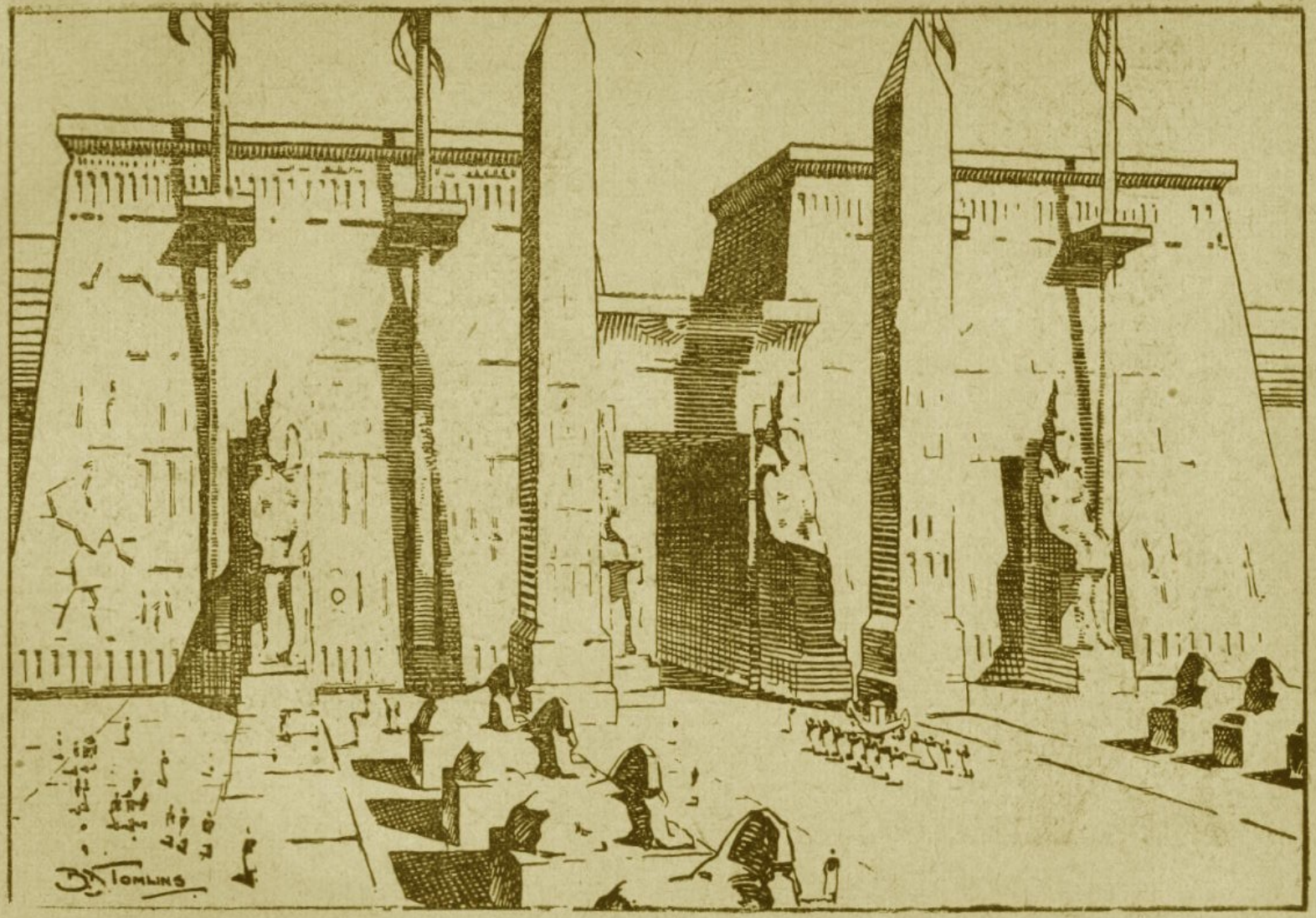

إله مصرى يخرج من أحد المعابد فى مهرجان محمولا على الأعناق

www.ibtesama.com/vb

تبرك فى الجبانة وتقبل قرابين الطعام مع العظماء فى حاشية الإله الأعظم »[1] ويسير نسامون فى صحبة النبلاء مع أقارب الراحلين الذكور على حين تسير فى مؤخرة الموكب النادبات تقودهن نزمت وقريبات الميتين وكلهن يضربن صدورهن ويعولن فى نغم واحد وهن يصفن فى رثاء متنوع الصفات المميزة لجد خنسو وحنت محيت

وبعد مسيرة ساعة تقريباً يصل الموكب إلى سفح التلال الغربية الذى تشهد العين فيه كلما قلبتها فى كل ناحية واجهة الصخور كخلية من المقابر هى « بيوت الأبدية » التى اختارها أهالى طيبة مساكن لهم والتى يتأملون منها مدينة الأحياء . وفى أحد هذه القبور سيدفن صاحبانا فلندخله قبل أن يواريا وقبل أن يصل موكب الجنازة ولنلبث لحظات نتفحصه .

أن سلاسل التلال التى تحصر مصر فيما بينها من الجانبين تمتد مدى مئات من الأميال هى من الحجر الجيرى وهو مادة يسهل الحفر فيها ولذا فان عمل مقابر صخرية لا يلقى عناء كبيراً والوصول إلى مقبرة جد خنسو وزوجته يتم عن طريق حوش خارجى مفتوح نمر منه إلى ممر قصير يؤدى إلى قاعة تجرى متعامدة مع المحور الرئيسى للمقبرة ويؤدى ممر طويل من هذه القاعة إلى

---

(١) أوزيريس .

www.ibtesama.com/vb

غرفة مربعة حفرت فى جدارها الخلفى مشكاة تحوى تمثالى جد خنسو وحنت محيت منحوتين فى الصخر وخلف الغرفة المربعة يرى بئر يشغل جانباً من الأرض تحت المشكاة محفور فى الصخر ينزل إلى غرفة الدفن نفسها . وسطوح الجدران الخشنة فى القبر مغطاة بالملاط ومرسومة بالصور والكتابات الهيروغليفية فى ألوان وضاءة مرتبة حتى يتناسب مكانها فى القبر مع معناها وهكذا نرى فى الغرف الخارجية الميت تصحبه زوجته غالباً يقضى أوقات فراغه منغمساً فى لهو محبب أو يستمتع بمباهج الحياة على الأرض فعلى أحد الجدران يجلسان فى حديقة بها أشجار يأكلان من فاكهتها ومما يقدمه لهما الخدم ثم نشهد بعد ذلك جد خنسو يشرف على عمال ضيعته أثناء عملهم وهناك نشهد الحرث والبذر والحصاد والحبوب تطأها الثيران وسائقوها يرددون أغانى مرحة كتبت فوقهم بالهيروغليفية :

« أيها الثيران طأوا بأنفسكم طأوا بأنفسكم طأوا بأنفسكم قشاً لتأكلوا وحبوباً لسادتكم لا تتكاسلوا فالجو منعش » .

ثم تكوم الحبوب فى كومات وتكال وتُرى صور كتبة يحملون أقلامهم ولوحاتهم مشغولين بقيد الأرقام وتدوينها .

وحين ندخل إلى القبر نرى طبيعة المناظر المرسومة تتغير

www.ibtesama.com/vb

جدران الممر الطويل المؤدى إلى الغرفة المربعة أو المقصورة تخصص لصور موكب الجنازة والطقوس السرية التى تعالج بها المومياء قبل أن تخفى نهائياً بعيداً عن ضوء النهار والمقصورة نفسها بحكم وجودها فوق غرفة الدفن مباشرة تخصص لصور عبادة الموتى والآلهة المتصلين بالقبر . ويمثل هنا حنت محيت وجد خنسو يجلسان أمام موائد محملة باللحم والخضر والمشروبات الباردة أو ينحنيان فى خضوع أمام «أوزوريس سيد الغربيين» وأنوبيس «الذى فى كوخ الإله»[1] على حين تكون التماثيل المنحوتة فى المشكاة فى انتظار الخدمات الجنزية الحقيقية التى يقوم بها كاهن فى حضرتها ولكن هاهو ذا موكب الجنازة يشق طريقه فى الممر الملتف وهاهى ذى التوابيت قد أنزلت إلى الرصيف الصخرى أمام القبر وهاهما رجلان يؤديان رقصة جنازية أمام المشيعين تحية لهم وهما الـ «موو» اللذان يلبس كل منهما غطاء رأس غريب مخروطى الشكل يشبه الأغلفة من القش التى تغلف بها زجاجات النبيذ اليوم .

وهنا على الرصيف الصخرى يتم أهم طقس من طقوس الجنازة قبل أن توسد المومياء مكانها الأخير نهائياً — وهو الطقس المعروف بـ «فتح الفم» (لوحة ٣٠) . كان جسدا جد خنسو

---

(١) حظيرة المخنط .

www.ibtesama.com/vb

وحنت محيت قد سلما إلى المحنط الذى بذل جهد المستطاع حتى يجعلهما لا يفنيان وهما بعد أن حفظا ومسحا ودهنا وزودا بالتمائم القوية لا يحتاجان الآن إلا لشىء واحد أخير هو الحياة — وهذا هو ما كان يدعو إلى إقامة هـذا الطقس الحيوى . والخدمة الدينية هنا كلها تعيد إلى الذاكرة أسطورة أزوريس وبعثه

وهكذا توضع المومياءان قائمتين خـلال الخدمة الدينية للمحنط الذى يضع فوق رأسه قناع ابن آوى ممثلا أنوبيس الذى قام بتحنيط أوزيريس على حين يمثل كاهن آخر دور « الابن المحبوب » أى حوريس ابن الإله المقتول الذى انتقم له .

وتبدأ الخدمة الدينية بتطهير المومياءين بالماء المقدس الذى ينثر من أوانى مختلفة وبنفح بخور كثير ثم بعـد احتفالات أخرى يذبح عجل تقرب ساقه الأماميه من فم الميت وبعد ذلك يلمس الكاهن الرئيسى الذى يسميه المصريون « سم » — (وهو يلبس الزى المقدس من جلد الفهد) — فمى حنت محيت وجد خنسو بأدوات سحرية مختلفة أحداها عصا تنتهى برأس كبش وتسمى « ورت حقاو » أى الساحر العظيم وهو يردد كلمات من الطقوس يقول فيها « أنا أفتح لك فمك بالساحر العظيم الذى يفتح به فم كل إله » ثم يذهب ال « سم » ليبحث عن « الإبن المحبوب » وحين يجده يأتى به إلى حضرة الموتى حتى يكمل الطقس .

www.ibtesama.com/vb

ولا تصبح المومياءان بعد ذلك أمواتا فقد منحتاحق استعمال الفم والعينين وباقى وظائف الجسم وقد حان الوقت لكى يطعما ولذا فإن باقى الطقوس تتضمن إستعدادات تمهيدية توصل للمأدبة الجنازية نفسها وليست هذه المأدبة مقصورة على الأموات وحدهم بل تضم الأحياء كذلك وخارج بيت الموت نراهم يتناولون طعامهم إلى وقت متأخر بعد الظهيرة ، ثم تأتى ساعة الوداع الأخيرة فترتمى نزمت وهى تعول فى بكاء مؤثر أمام جثتى والديها اللتين توضعان مرة أخرى فى التوابيت وتحملان على أكتاف رجال أشداء إلى ظلام القبر ولا تحتمل نزمت الألم أبعد من هذا فلا تدخل إلى القبر لترى أمها وأباها ينزل بهما إلى البئر المؤدية إلى غرفة الدفن السفلية حيث يرقدان إلى الأبد .

والآن وقد تم كل شىء وحين تملأ فى الغد بئر الدفن بالحصى والتراب حماية لها ضد اللصوص يختم على الموتى إلى الأبد . ويشق الموكب المجهد طريق العودة إلى النهر فيسند نسامون ابنة أخته على ذراعه ويتردد فى سكون الصحراء ترنيم كاهن يقول : « يا خازن بيت آمون رع ملك الآلهة — أيها المبرر جد خنسو لتدخل ولتخرج من الغرب ولتخط من باب العالم السفلى ولتعبد رع حين يشرق فى الجبال ولتتعبد له حين يغرب فى الأفق ولتتقبل القرابين ولتكن راضياً عن الطعام الذى فوق مذبح سيد الأبدية » .

www.ibtesama.com/vb

الفصل السادس

العمال والصناع

كان الرقيق الذى يعيش على الأرض ويشترى ويباع معها أدنى طبقات المجتمع كما قدمنا . وكانت هذه الطبقة من الفلاحين تشمل غالبية السكان فى كل العصور وكان حظها من الحياة تافهاً .

وفى خلال الدولة الحديثة وهى الفترة التى نهتم بها فى هذا الكتاب بصفة خاصة نرى الأرض كلها باستثناء أملاك المعابد ملكا للملك من الناحية النظرية وهى تؤجر إلى ملاك مختلفين أو تستبق لاستغلالها ، وكان الفلاحون يدينون بالولاء للموظف الذى يوضع على رأسهم ، وكانوا مسئولين عن زراعة الأرض التى كان يسمح لهم بجانب من إنتاجها ليعيشوا عليه وكان هذا هو أجرهم ، ذلك لأن الأجور فى كل الحرف كانت تدفع نوعاً ، لأن العملة المعدنية لم تكن قد عرفت بعد .

وكان الحرث والبذر والحصاد وهى أعمال الزراعة العادية تؤلف مهام الفلاح (لوحة ٣١) ولكن فى أرض مصر كانت تضاف إليها مشكلة الرى ، ذلك لأن سقوط الأمطار أمر نادر

www.ibtesama.com/vb

جداً فى مصر العليا ، وهى فى مصر السفلى لا تنى بالأغراض الزراعية ولولا النيل لتحولت البلاد إلى صحراء قاحلة والواقع أن هذا النهر العجيب الذى كان يظهر للمصريين كإنما هو كائن فوق الطبيعة يحول الأرض إلى بقعة من أخصب بقاع العالم . فكل عام يبدأ النهر خلال شهر يونيه[1] فى الارتفاع ثم يفيض نهائياً على جانبيه ويبلغ أقصى فيضه فى أكتوبر ويخلف على الأرض المحيطة طبقة من الطمى المخصب . وللاستفادة من الفيضان بقدر المستطاع كانت الحاجة تتطلب تنظيم طريقة محكمة للرى يوزع بها الماء على الحقول أو يرفع من مستوى إلى آخر ، فإن لم يرتفع النهر إلى القدر الضرورى فإن البلاد تواجه كارثة وتتفشى المجاعة . ولذا فإن الرقابة الشاملة كانت تستمر طوال العام على المستوى المتغير للنيل بقصد التكهن بظروف الموسم المقبل .

ولقد تعرضت عند وصفى للمقبرة المصرية إلى ذكر مناظر الحياة اليومية المصورة على جدرانها وأشرت إلى صور البذر والحرث والحصاد والتذرية المعتادة الحدوث . ومثل هذه المناظر المصورة على الجدران تقربنا كثيراً من الفلاحين والعمال فى مصر القديمة وتساعدنا فى الغالب على تتبع محادثاتهم التى تكتب

---

(١) كان يظن فى مصر القديمة أنه فى هذه الفترة تسقط دموع الإلهة إيزيس وهى تبكى زوجها أوزيريس فى النيل فتكون سبباً للفيضان .

www.ibtesama.com/vb

بالهيروغليفية إلى جانب الصور . ولعل واحداً من خير الأمثلة هو مجموعة المناظر فى مقبرة باحيرى الذى كان يعيش فى عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث ودفن فى الكاب . وكان باحيرى أمير المقاطعة الإيليثيابوليتية وهى المقاطعة الثالثة لمصر العليا ، وكان يشغل مناصب هامة فى الحكومة . وفى هذه الصور نراه يخرج للتفتيش على الأعمال الجارية فى هذه الناحية وصورته المرسومة عدة مرات أكبر من غيره تسيطر على المنظر فهو يرى مصحوباً بثلاثة من الخدم يحملون أشياء مختلفة قد يحتاجها مولاهم ومن بينها نعلاه ومقعد خفيف قد يستعمله إن أحس بالتعب .

وتجر الثيران المحاريث وفوق المنظر توجد كتابة تصفه على الصورة التالية « يوم جميل رطب . الثيران تجر المحراث . السماء (الجو) يسر قلوبنا . لنعمل من أجل الأمير » ويصرخ الحراث الذى يقود المحراث إلى زميله قائلا : « أسرع أنت إلى المقدمة وسق الثيران . . أنظر أن الأمير يرافبنا » . وفى ناحية أخرى من الحقل نرى أربعة رجال يجرون المحراث ، أما قيادته فتركت لرجل متقدم فى السن . . وهناك صبى يبذر الحب ـ ويحثهم باحيرى الذى يقف قريباً منهم على العمل السريع قائلا : « اسرعوا . . إن الحقول معطلة (؟) والفيضان شديد » فيجيبه أحد الرجال الأربعة : « إننا نعمل . . . أنظر إلينا لا تخف على الحقول إنها فى

www.ibtesama.com/vb

حالة رائعة » ويقول الرجل المسن : « ما أطيب ملاحظتك يا بنى . . عام طيب خال من السوء مزدهر فى كل الأعشاب . . كما أن العجول بالغة الجودة كذلك » .

وفى ناحية أخرى من الضيعة يرى الرجال والنساء يحصدون الحبوب والكتان . أما الكتابة فوقهم فهى :

« هم يجيبون مغنين
فى هذا اليوم اللطيف تخرج على الأرض ريح الشمال
السماء راضية تسعد قلوبنا
لنعمل بقدر ما نستطيع » .

وحالما يقتلع الكتان من جذوره يحمل إلى شيخ ينزع رءوسه المحتوية على البذور بمشط كبير وهو رجل متفاخر يقول : « إن أتيت لى بأحد عشر ألفاً وتسع فإننى ابن بجدتها » ويجيبه حامل الحزم قائلا : « لا تثرثر أسرع يا عجوز[1] . . للعمال » .

أما الرجال الذين يحصدون الحبوب فيقطعونها بمناجل من الخشب تركب فيها أسنان من الظران (لوحة ٣١ شكل ٢) وقد حمل أحدهم منجله تحت ذراعه حتى يتناول جرعة ماء من إناء . وبالقرب من هذا المنظر حظيرة تحوى صفاً من جرار النبيذ

---

(١) كلمة لا نعرف معناها وهى نوع من السباب من غير شك .

www.ibtesama.com/vb

والماء وإلى خارجها تابع يحرك مروحته المصنوعة من سعف النخيل على إنائين ليبرد محتوياتهما وربما كان ذلك استعداداً لاستقبال الحاكم .

وحين تجمع الحبوب تكوم فى سلة كبيرة تعلق فى عمود خشبى وتحمل إلى البيدر ويستحث أحد الرؤساء الرجال حاملى السلة قائلا : « أسرعوا لتتعجل أقدامكم . . إن الماء قد جاء ويكاد يصل إلى السلال » ومعنى هذا من غير شك خوفه من الفيضان وخشيته أن يغرق المحصول قبل إتمام جمعه .

وبعد ذلك تطأ الثيران الحبوب فى البيدر ثم تذرى وتتم عملية التذرية عن طريق رفع الحبوب المذراة إلى الهواء بواسطة مذراة خشبية ويغطى عمال التذرية شعورهم بقطع من القماش حتى تحميها من التبن . ثم تكوم الحبوب وتكال ويقوم بالعملية الحسابية « كاتب حسابات الغلال — جحوت نفر » الذى يقبع على قمة الكومة . ويمكن بعد ذلك حمل الحبوب فى زكائب إلى الشونة وهى عبارة عن حظيرة ذات حوائط تكوم الحبوب بداخلها . وكان الطراز الأكثر شيوعاً للشون المصرية هو البناء المخروطى المصنوع من اللبن الذى تفرغ فيه الحبوب من ناحية الفوهة وكانوا يصعدون إليها عن طريق درج . وحين يراد أخذ كمية منه كانت تسحب من باب عند القاع .

www.ibtesama.com/vb

وكانت حياة الفلاح حياة قاسية ما لم يكن المشرف عليه من الموظفين قد رزق نفساً أشربت الإنسانية والرحمة نحو مرءوسيه المستضعفين وهو أمر لم يكن كثير الحدوث ، بل أن الشائع كان امتصاص قوى العامل إلى أقصى حد ممكن ، وليس لنا أن نظن أن اختلاس الأموال الأميرية وهو أمر كثير الشيوع فى الشرق اليوم لم يكن معروفاً فى مصر القديمة ، بل أن العمال الزراعيين لا بد أنهم أدركوا ذلك بدليل العجز عن دفع أجورهم أو التقصير فى دفعها .

وحين لم يكن العمال الزراعيون — وهم من يسمون بالفلاحين اليوم — يجدون عملا فى الزراعة كانوا يقضون وقتهم فى صيد السمك والطيور والحيوانات الصغيرة من الصحراء ولكنهم كانوا يستدعون من وقت لآخر ليعملوا فى ميدان آخر بعيد عن الميدان الذى اعتادوا العمل فيه وهو إقامة المبانى .

وليس هناك شىء من تراث الحضارة المصرية إستثار شعور العالم الحديث أكثر من عظمة معابدها ومقابرها فعلى جانبى النيل حين يرتحل المرء جنوباً تنهض الهياكل الضخمة التى تنم عن عقيدة طال الأمد عليها ، وأهرام شامخة ذات عمارة مخلدة ومعابد تقوم فى رحباتها الساكنة التماثيل الهائلة للآلهة والملوك (لوحة ٢١) تسخر من الزائر المشدوه والسؤال الذى طالما يتردد علينا هو

www.ibtesama.com/vb

كيف قامت هذه الأبنية العظيمة فى عصر لم تكن العلوم قد تعدت طور الطفولة وكان عدم وجود الأدوات المناسبة والمعدات يجعل تنفيذ هذه المشروعات مستحيلا ؟

ونستطيع أن نجيب على ذلك أولا بأنه فى العالم القديم لم يكن قد اكتسب الوقت تلك القيم العالية السخيفة التى يتملكها اليوم . ولم يكن الأمر ذا أهمية أن قضى الصانع عامين للانتهاء من قطعة فنية أو قضى عشرة أعوام . . . ان الهدف الحقيقى كان إخراج القطعة الفنية نفسها بصرف النظر عن الزمن الذى يتطلبه ذلك الأمر . ولعل وجهة النظر هذه هى التى تبرر الكمال الرائع لكثير من القطع الفنية القديمة أو الحديثة ، ذلك لأن عدم الاسراع والتركيز الذى لا نهاية له تؤدى بالاستيعاب الذهنى إلى الهدف المأمول . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن استعمال القوى البشرية غير المحدوده يستطيع أن يعوض الافتقار إلى الآلات الحديثة . ولقد أقيمت الأبنية الضخمة كلها — مع قليل من الاستثناء — سواء أكانت معابد أم مقابر ملكية تنفيذاً لرغبة فرعون ، ولما كانت سلطته مطلقة على البلاد والناس على السواء فإنه كان يستطيع أن يجند أى عدد من الرجال يريده لهذه الأغراض ، وأما العامل الأخير فهو أن الحرف كانت كلها

www.ibtesama.com/vb

تقريبا وراثية مما أدى إلى مهارة فائقة فى استعمال الأدوات البدائية وفى معالجة المواد الشديدة المراس .

ولقد كانت حشود الرجال الذين يعملون فى تشييد المبانى مقصورة على المصريين وذلك خلال الفترة الأولى من التاريخ المصرى ، أما فى أيام الامبراطورية فقد جىء إلى مصر بالأسرى من الأسيويين والنوبيين فى أعقاب الحملات وبدأ استخدامهم على نطاق واسع . ولكن لعل العقل الموجه كان أهم من مجاميع الرجال ذوى العضلات والجسوم الفتية ، وكان من بين أولئك المهندسون والمعماريون وتحت امرتهم الصناع المتمرنون والفنانون . ولكى نستطيع أن نوفى النصر المعمارى للمصريين حقه علينا أن نفكر لحظة فى مدى مواردهم وطرائقهم .

لقد عرف صهر النحاس واستخدام هذا المعدن فى الأدوات والأسلحة منذ عصور ما قبل الأسرات . أما البرونز فلم يكن استعماله شائعاً إلا بعد الأسرة الثانية عشرة واما الحديد فلم يستعمل إلا فى القرن العاشر قبل الميلاد . وعلى ذلك فإن بناة الأهرام لم يكن أمامهم سوى النحاس والأدوات الحجريه مع احتمال استخدام الأزاميل من الحديد فى هذه الحقبة البعيدة فى الأحجار الشديدة الصلابة . وارتفاع الهرم الأكبر يبلغ ٤٥١ قدما اليوم ولكنه كان يبلغ حين كان كساؤه الخارجي موجوداً

www.ibtesama.com/vb

حوالى ٤٨٢ قدما أما قاعدة الهرم فتشغل حوالى ١٣ فدانا وأما الكمية المكعبة للمبانى فتبلغ حوالى ٣,٠٥٧,٠٠٠ ياردة مكعبة . ويقص علينا هيرودت حين زار مصر حوالى ٤٥٠ ق . م — أى بعد ما يزيد عن ألفى عام من بناء الأهرام تقريباً — أنه قيل له أن عدد العمال الذين كانوا يستخدمون فى بناء الأهرام بلغوا ١٠٠,٠٠٠ عامل يستخدمون مدى ثلاثة شهور سنويا وهى من غير شك شهور الفيضان حين يتوقف العمل فى الحقول ويصبح العمال الزراعيون بغير عمل ويحدثنا نفس الكاتب كذلك أن بناء الهرم استغرق عشرين عاما وهذا قد يكون صحيحاً كذلك .

والمبنى الداخلى للهرم الأكبر — شأنه فى هذا شأن هرمى الجيزة الآخرين — من كتل الحجر الجيرى التى قطعت من المناطق المجاورة للهرم أما الكساء الخارجى فمن نوع أحسن من السابق من الحجر الجيرى كذلك جىء به عبر النهر من محاجر طرة على الضفة الشرقية بالقرب من القاهرة . ولعل أكبر مشكلة تحيرنا حتى اليوم هى كيف احتال المصريون لتحريك ذلك الوزن الضخم للكتل الحجرية المستعملة فى الأهرام والمعابد والتماثيل (وكل كتلة من أحجار الهرم الأكبر تبلغ ٤٠ قدما مكعبا) بمثل الوسائل الضئيلة الشأن التى تحت أيديهم . ومع ذلك فإن الاجابة على مثل هذا السؤال قد لا تكون عسيرة ذلك لأن المصريين

www.ibtesama.com/vb

خلفوا لنا قدراً من المعلومات التى تعاوننا على تكوين فكرة عن طرائقهم .

ولنبدأ أولا بالرافعة فمن المؤكد أنهم استخدموها وهى كتلة خشبية طويلة واستخدام هذه الأداة لزيادة الطاقة البشرية هو أحد مبادىء الميكانيكا . وربما أضافوا إليها درافيل (اسطوانات) يضعونها تحت الثقل الذى يزمعون تحريكه وهذا يسهل عملية النقل . أما رفع الكتل إلى مستوى البناء الذى يريدون تعليته فكان يتطلب إقامة منحدر على المبنى يسحب الرجال الكتل عليه وهم يعملون تحت تهديد السياط . وحين تنتهى طبقة (مدماك) من الطبقات تغير زاوية المنحدر لتمهد لإقامة الطبقة التى تعلوها . والعملية تتطلب زمنا طويلا من غير شك ولكن الزمن لم يكن أمراً يعنى المصريين على الأغلب كما ذكرنا . وقد استخدم المنحدر من اللبن فى تشييد صرح معبد آمون رع فى الكرنك ولا يزال فى مكانه حتى اليوم لأن الصرح لم يكمل . أما فيما يتصل بنقل التماثيل الضخمة فإن الحظ ساعدنا بالعثور على صورة هامة على جدار مقبرة فى البرشا ذلك أن صاحب المقبرة وأسمه « تحوت حتب » كان من أكبر حكام مقاطعة الأرنب وهى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات مصر العليا خلال الأسرة الثانية عشرة والمنظر المقصود يمثل نقل تمثال ضخم للحاكم بقصد أقامته تمجيداً له .

www.ibtesama.com/vb

ونحن نرى إلى اليسار التمثال الضخم الذى يمثل الأمير جالسا فوق مقعد موضوعا على زحافة خشبية يجرها جماهير الرجال المرسومين فى أربعة صفوف ويقف على ركبتى التمثال رجل يصفق بيديه ويحدثنا النص المكتوب أنه يضبط الوقت للفرق أى — يغنى حتى يستطيعوا أن يجروا معاً فى وقت واحد — وغناؤه لعماله هو « تحوت حتب المحبوب من الملك » بدلا من « هيلا هوب » التى نقولها اليوم ، وهناك رجل آخر يقف على قاعدة التمثال يصب الماء من إناء على الطريق الذى سيمر به التمثال وهو عمل دينى . وعلى الأرض يحرق كاهن مرتل البخور فى نفس الوقت . والنص الذى يصاحب هذا المنظر الهام نورده هنا ذلك لأن الحاكم يصف فى كلماته الشخصية أحداث اليوم الذى تم فيه هذا العمل الشاق :

« حراسة تمثال طوله ١٣ ذراعا من حجر حتنوب [١] .

كان الطريق الذى اجتازه عسيراً وشديد الوعورة .

وكان جر ذلك الوزن الثقيل شاقاً على قلوب الرجال .

لأنه من كتلة واحدة ثقيلة من الحجر الصلب ، لقد جعلت فرقاً من الشبان الأقوياء يأتون لهذا الغرض بقصد شق طريق له

---

(١) صنع التمثال من المرمر . وتقع محاجر مرمر حتنوب فى الصحراء شرق تل العمارنة .

www.ibtesama.com/vb

مع جماعات من قاطعى الأحجار وعمال المحاجر ورؤساء العمال معهم وهم من ذوى العقول الفهيمة ، وقال الرجال المزودون بالسلاح « سنأتى به » .

وكان قلبى فرحا وكل المدينة تهللت . وبلغ السرور مداه حين شهدناه .

كان الكهل يتكىء على الطفل وذا السلاح القوى يسير مع الضعيف ؟

وصارت قلوبهم كبيرة (بها شجاعة) وأيديهم قوية وكل منهم مارس قوة ألف رجل .. هذا التمثال الخشن النحت .. جىء به من الجبل ثقيل الوزن جداً .. جهزت السفن بالرجال وملئت بالأشياء الغالية إلى جانب جيوشى من الشبان وكان المتطوعون يحملون حرابهم إلى جانبه وكان حديثهم شكراناً وحمداً وكانوا يرددون نعماء الملك علىّ » .

والكتابة التى فوق الصفوف الأربعة للرجال الذين يجرون التمثال نصها « متطوعون من غرب إقليم الأرنب » والصف الثانى « شبان من المقاتلين فى مقاطعة الأرنب » والصف الثالث « طبقات الكهنوت فى مقاطعة الأرنب » والصف السفلى « متطوعون من شرق اقليم الأرنب » وعلى ذلك فإن مركز

www.ibtesama.com/vb

الشرف الرئيسى فى الصورة أعطى لطبقتى المحاربين والكهنة الذين استدعوا لهذا العمل ، أما الآخرون فشبان جندوا من كل إقليم تحوت حتب لقوتهم ومقدرتهم الجسمانية ، وليس من عجب من غير شك أن الجنود كانوا يستخدمون فى مثل هذه الأعمال ولكنه من الواضح أن الطبقة السفلى من رجال الدين لم تكن معفاة من العمل الاجبارى . ولعل هذا يعود بذاكرتنا إلى فقرة من عهد الدولة الحديثة موجهة إلى التلاميذ تتضمن الفخر بوظيفة الكاتب وتفضيلها على ما عداها وفيها تؤكد هذه الناحية « يقف الكاهن هناك كفلاح ويعمل كاهن الـ « وعب » فى القنوات فتبلله مياه النهر فى الشتاء وفى الصيف ويستوى لديه أن يكون الجو عاصفاً أو ممطراً »[1] وتشير هذه الفقرة إلى العمل الزراعى الإجبارى .

وفى لوحة ٣٢ يجد القارىء منظراً يمثل نقل تمثال ضخم مثل تمثال تحوت حتب فى الدولة الوسطى ، والصورة لوحة فوتوغرافية للديوراما الممتازة المعروضة فى ركن الأطفال من متحف العلوم فى سوث كنسنجتون فى المجموعة التى تتناول دراسة تاريخ النقل فى مختلف العصور . ويمكن ملاحظة أن التمثال يخص ملكا يضع

(١) ترجمة إرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

الصل الملكى على جبهته لأنه كان من النادر أن يسمح لشخص غير فرعون أن يقيم تمثالا ضخما مثل تمثال تحوت حتب .

وهناك نوع آخر من الأنصاب التى لا تزال تدهشنا حتى اليوم وهو المسلة المصرية . ذلك لأن هذه الأعمدة الحجرية الضخمة التى تقوم وسط خرائب المعابد ، لا بد انها كانت مصدر مشكلة معقدة للمهندس القديم . كانت المسلة أقدس الرموز وهى تتكون من هرم صغير أو هريمة على قمة عمود مربع ، وكان يظن ان إله الشمس ظهر فى أول الأمر على هذا الهرم وهو التل البدائى حين انبثق من خضم النون البدائى ليخلق العالم . وكانت مسلة الدولتين الوسطى والحديثة تختلف عن مسلات العصور السابقة ، فمسلات العصور السابقة كانت قصيرة بمتلئة ، أما حين تطورت المسلات فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة فإننا نجدها تستطيل إلى حد كبير وهى المسلات التى كانت توضع على جانبى بوابة المعبد أمام برجى الصرح . ولعل أشهر مسلتين هما اللتان أقامتهما الملكة حتشبسوت فى الكرنك ، وترجع شهرتهما إلى أن التى أمرت بإقامتهما ملكة لها شأنها من ناحية وإلى العمل الهندسى الرائع الذى تمت به إقامتهما من ناحية أخرى .

www.ibtesama.com/vb

لوحـــة ٢١

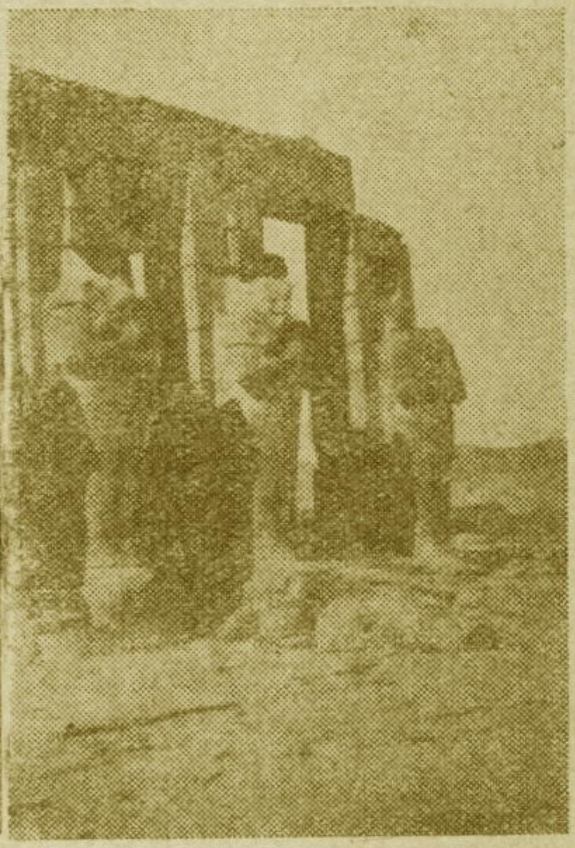

(شكل ١)
معبد الرمسيوم فى طيبة

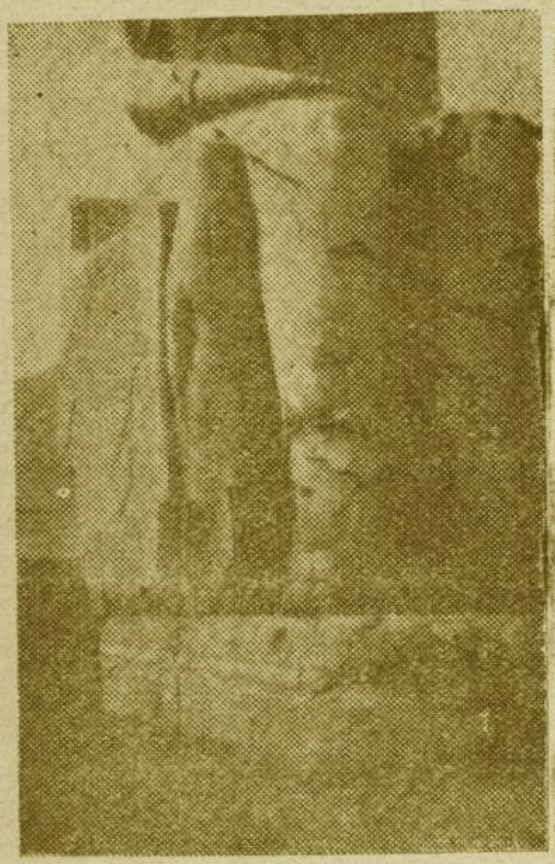

(شكل ٢)
أحد تمثالى ممنون فى طيبة . وإلى جانب ساق الملك (أمنحتب الثالث) تقف زوجته الملكة « تى »

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٢)

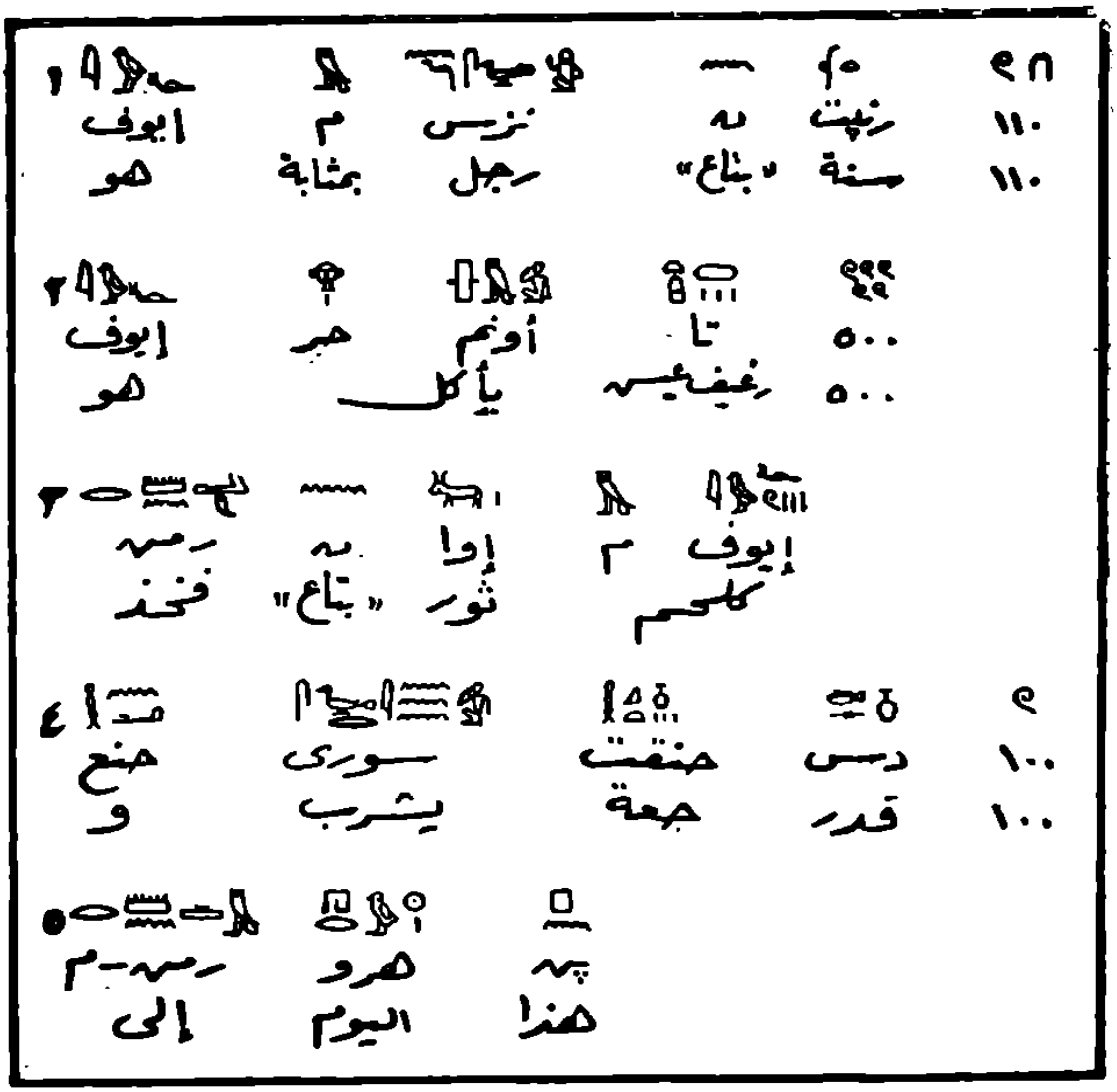

مثال من الكتابة الهيروغليفية مع ما يقابلها من حروف عربية وترجمة حرفية لها

www.ibtesama.com/vb

كانت ماعت كارع خنمت آمون حتشبسوت إبنة لتحوتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وعند موته خلفه فرعونا على مصر أخوها النصف شقيق تحوتمس الثانى التى كانت زوجة له ، ولكن سرعان ما دفعته هذه الفتاة القوية العقل إلى الظلال وسندها مجموعة من النبلاء الأقوياء . . . ولما توفى تحوتمس الثانى بعد أن حكم ثلاثة عشر عاماً خلفه ابنه تحوتمس الثالث الذى تزوج من نفرورع ابنة حتشبسوت ولم يكن كفئاً كذلك لحتشبسوت فأصبح عديم العون وأعلنت هى نفسها ملكا على البلاد وظلت تحكم كفرعون حقيقى تلبس ملابس الرجال وتشير إلى شخصها فى النقوش كإنما هى منهم . وقد نعمت مصر طوال حكمها الذى بلغ اثنين وعشرين عاماً بسلام وتقدم وتشير المسلتان اللتان أقيمتا بالكرنك إلى عظمتها .

وكلا المسلتين — وإحداهما ملقاة اليوم على الأرض — من كتلة واحدة من الجرانيت . وارتفاع المسلة القائمة ٧٦ قدماً . وقد استحضرتا من محاجر أسوان على مبعدة ١٢٠ ميلا إلى الجنوب ويستطيع القارئ أن يقدر المصاعب الضخمة التى واجهها العمال الأقدمون عند استخراج الكتلتين ثم حملهما من المحاجر إلى النيل ثم الانتقال بهما فى المراكب إلى طيبة ، وأخيراً إقامتهما على قواعدهما فى معبد آمون . والنص المنقوش على قاعدة

www.ibtesama.com/vb

المسلة القائمة يدلنا على أن العمل فى المحاجر لقطعهما استغرق سبعة شهور فقط . وتقول حتشبسوت متحدثة للأجيال القادمة :

« يقول جلالته[١] إننى أعلن من سيأتون بعد دهرين من الزمان ويتساءلون عن هذا النصب الذى أقمته لأبى . . .

حين كنت أجلس فى قصرى تذكرت خالقى ودلنى قلبى إلى أن أعمل له مسلتين من الذهب[٢] الجميل وقمتهما الهرمية تطاول السماء .

أنتم يامن ستشهدون هذا النصب فى مستقبل السنين وستتحدثون عما فعلت لا يقولن الواحد منكم « أنا لا أعرف . أنا لا أعرف لماذا أقيم هذا الجبل وزين كله بالذهب » [٣] . . إننى أقسم بحب رع لى وبمديح آمون لى وطالما ينتعش أنفى بنسمة الحياة والكيان وحين أضع التاج الأبيض وأشرق فى التاج الأحمر وحين يوحد لى الإلهان [٣] أقليميهما وحين أحكم هذه الأرض كابن لإيزيس وأنا أباشر سلطانى كابن لنوت . . وطالما ينزل رع فى قارب المساء ويخرج فى قارب الصباح ويصطحب والدتيه فى القارب المقدس . . وطالما أقامت السماء وطالما بقى ما صنع . . وطالما أعيش إلى الأبد مثل الخالدات[٤] وادخل فى الحياة مثل أتوم . . .

---

(١) مثال لما اعتادته حتشبسوت — كما ذكرنا من قبل — من الاشارة إلى نفسها كرجل .

(٢) يستنتج من ذلك أن المسلتين كانتا مغطيتين بالذهب على ما يظهر

(٣) حوريس وست

(٤) اسم يطلق على النجوم القطبية .

www.ibtesama.com/vb

أن المسلتين العظيمتين اللتين أمر جلالتى بصياغتهما من الذهب الجميل لأبى أمون حتى يبقى إسمى فى هذا المعبد ويخلد إلى الأبد أبد الدهر هما من كتلة واحدة من الجرانيت الأحمر الصلب دون وصلة أو انقسام أو إصلاح وقد أمر جلالتى ببدء العمل فيهما فى اليوم الأول من الشهر الثانى من الشتاء فى العام الخامس عشر [1] حتى اليوم الأخير من الشهر الرابع من الصيف فى العام السادس عشر أى أن العمل تم فى سبعة شهور فى هذا الجبل »

وفى معبد الدير البحرى أمرت حتشبسوت أن تنقش مجموعة من الرسوم البارزة تصف عملية نقل مسلتين فى النيل ربما كانتا هما المسلتين سابقتى الذكر . وقد صنعت من أجلهما سفينة كبيرة خصصت لنقلهما ونستطيع أن نشهد فوقها الكتلتين على زحافتين ورأس إحدى الكتلتين إلى جانب قاعدة الأخرى والشكلان الهرميان الواحد ناحية مقدمة السفين والآخر نحو مؤخرته . وقد ربط إلى السفين عدد من قوارب الجذب وصحبها عدد من المراكب التى تقام فيها الاحتفالات الدينية .

ولنتخيل وصول المسلتين إلى طيبة .. وإذن فلم يبق سوى إقامتهما على قواعدهما .. ولكن كيف ؟ لقد وصلنا إلى ما يظهر أنه أعقد ما فى الأمر حين يتصور المرء الاستعدادات الآلية

---

(١) من حكم حتشبسوت .

www.ibtesama.com/vb

الضخمة التى رؤى من الضرورى ترتيبها فى أيامنا هذه بقصد إقامة مسلة رعمسيس الثانى فى ميدان الكونكورد فى باريس أو إقامة مسلة تحوتمس الثالث المعروفة تحت إسم مسلة كليوباترة على ضفة التيمس فإننا نحس بالعجز حين نحاول أن نوضح كيف كان من الممكن أن يتم ذلك الأمر فى مصر القديمة . ولكن رغم ذلك فإن الإجابة قد تبدو يسيرة أن نحن تذكرنا المبدأ الأساسى « لاعبرة بالوقت أو العمل » .

ويرى مستر روبرت أنجلباك من رجال المتحف المصرى السابقين بالقاهرة فى كتابه The Problem of the Obelisks أن الطريقة التى أتبعها المهندسون المصريون ربما كانت على الصورة الآتية : — كان يقام أولا منحدر من اللبن أو التراب فوق البقعة التى يزمع وضع المسلة فيها وينحدر إلى مستوى الأرض فى ناحية من نواحيه . ويعمل بئر رأسى قمعى الشكل عند قمة هذا المنحدر على أن تكون قاعدته القاعدة المزمع وضع المسلة فوقها . وكانت تملأ البئر بالرمال التى يستطاع سحبها من خلال دهاليز أفقية فى أسفل المنحدر وحين يعد كل شىء تنقل المسلة فوق زحافة وقاعدتها إلى الأمام على الطريق الصاعد حتى قمة المنحدر ثم تعالج بحيث تكون أفقية تستقر قاعدتها على الجزء الأعلى من الرمال التى تملأ البئر القمعى وبعد ذلك يبدأ فى سحب الرمال من الدهاليز

www.ibtesama.com/vb

السفلية وكلما نقص مستوى الرمل غاصت المسلة فى الفوهة القمعية حتى تقوم على قاعدتها وبعد ذلك يزال المنحدر الصناعى وتبقى المسلة قائمة فى مكانها .

وليس من شك أن العمل فى قاعات الأعمدة الضخمة وأبراج الصروح فى المعابد كان يتم بنفس الطريقة الشاقة التى قدمناها . فكانت تجر اسطوانات الأعمدة على منحدر كانت زاوية ميله تتطلب تغييراً دائماً حتى ينتهى العمل فيزال المنحدر ولابد أن مثل هذا العمل كان يتطلب عدة سنوات ولكن المران المستمر على تنفيذ مثل هذه المهام الضخمة والإشراف على العمال والمواد المختلفة جعلت المهندسين المعماريين المصريين متمكنين من فنهم ، ولعل أكبر شاهد على همتهم الملحوظة هو معبد رمسيس الثانى فى أبو سمبل فى النوبة وهو منحوت فى جبل صلب من الحجر الرملى وتتقدمه أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس نفسه ارتفاع كل منها خمسة وستون قدما منحوتة فى الصخر الحقيق .

والعمال المصريون الذين ندرى عنهم أكثر مما ندرى عن غيرهم هم العمال الذين يعملون فى الجبانة على الضفة الغربية من طيبة ذلك لأن هذه الناحية أصبحت خلال الدولة الحديثة مثل خلية نحل تعج بالصناعة والعمال بالنسبة لمعتقدات المصريين المتصلة بالحياة بعد الموت . والواقع أن تجهيز المقابر الملكية فى وادى

www.ibtesama.com/vb

الملوك ووادى الملكات والسراديب الواسعة التى تمتد مئات الأقدام خلال الصخر والمزينة بنقوش وكتابات بارزة ملونة وحفر مئات المقابر الخاصة التى تشغل شعاب الهضبة الغربية وصناعة الأثاث الجنزى وتحنيط الموتى . . . كل هذه الحرف والأعمال كانت تستدعى قيام مستعمرة دائمة للعمال الذين تكرس حياتهم لها وحدها . وهكذا أصبحت « الجبانة العظمى الجليلة لملايين السنين لفرعون على الضفة الغربية » ناحية منفصلة عن العاصمة تحت اشراف موظف مسئول عن ادارتها . وكانت الجبانة فوق ذلك منقسمة إلى اجزاء يحمل كل منها إسما خاصا مثل « مكان الحق » وكانت المنطقة كلها تحيط بها خمسة أسوار وتحرسها حامية قوية تسمى « قلعة الجبانة »

وكان العمال ينقسمون قسمين رئيسيين هما الجانب الأيمن والجانب الأيسر على التوالى وكل من الجانبين كان يوضع تحت أمرة رئيس عمال ومعه كاتب يحفظ السجلات ويشرف على الحسابات وكان العمال من مختلف الحرف التى يتطلبها العمل فى الجبانة فمنهم النحاتون والحفارون وعمال المحاجر وصانعو النحاس والنجارون والذين يعملون فى الملاط وغيرهم . وبكل ناحية هيئة بوليس فيها النوبيون من قبائل المازوى تحت قيادة ضابطين كبيرين وهيئة البوليس هذه مسئولة عن الأمن فى الناحية وبصفة خاصة عن حماية المقابر من السرقات وكان عملهم مستمرا كما سنرى فيما بعد .

www.ibtesama.com/vb

أما عن حياة العمال أنفسهم فإن قدراً كبيراً من المعلومات قد وصل إلينا فى هيئة مستندات قانونية وسجلات . . الخ مكتوبة على البردى أو شظايا الحجر الجيرى ومنها نستطيع أن نعلم أن الدولة كانت تستخدمهم وإن أجورهم لم تكن سوى تعيينات يأمر بصرفها فرعون بواسطة الوزير عامله الأول وتشمل حبوبا من شون الدولة وأسماكا وخضرا كما كانوا يمنحون كذلك الزيت والأقمشة . وحين بدأت الإدارة تضعف نرى هذه الامدادات تنضب مما دعا العمال الذين أضربهم السغب إلى الإضراب والسير فى مظاهرة إلى مكاتب ذوى السلطان للاحتجاج قائلين « ليست لدينا أقمشة ولا زيت ولا سمك ولا خضر . أرسلوا إلى فرعون مولانا الطيب بذلك وأرسلوا إلى سيدنا الوزير حتى تكون هناك وسيلة لمعونتنا على أن نعيش »[1] ولقد كانت الأمور كذلك خلال الأسرة العشرين وبلغت من السوء حداً أن تكررت أمثال هذه الشكايات حتى بلغ الضعف والجوع بالرجال درجة لم تمكنهم من الاستمرار فى عملهم . ونستطيع أن نقدر أن نصيبهم كان أوفى فى العهود الأكثر استقراراً فى الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

---

(١) ترجمة Prof. T.E. Peet فى كتابه The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty (Clarendon Press p. 13)

www.ibtesama.com/vb

وكانت أشق صور العمل التى شغلت بها طبقات العمال هى نحت المقابر الصخرية وزخرفتها وخاصة المقابر الملكية فى وادى الملوك وحين يقف الزائر فى الساحة السفلية الكبرى لمقبرة سيتى الأول يهوله القدر الضخم من العمل الذى تم هناك فهذه المقبرة بالذات تمتد مدى ٣٣٠ قدما فى الصخر الصلب عن طريق ممرات وسراديب تغطى جدرانها النقوش البارزة الملونة والكتابات. وبعد الصور التى تمثل الملك فى حضرة الآلهة والمناظر الدينية الأخرى والأعمدة من النصوص الدينية ننتقل إلى قاعة أخرى يلتمع سقفها بصورة الإلهة نوت ونجوم السماء وإننا لنعجب العجب كله من مقدرة الأقدمين على العمل فى مكان مثل هذا المكان بعيداً عن ضوء النهار فى الظلام الدامس مع وسائل الاضاءة المحدودة.

وكان يستخدم ضوء سراج الزيت فى نحت السراديب الكبيرة وتجهيز الجدران للفنان ورسم المناظر الدينية رسماً تخطيطيا فى مهارة فائقة ونحتها ونقشها وتلوينها بعد ذلك. وقد قيل أن عدداً من المرايا الضخمة كان يستخدم لهذا الغرض حيث تعكس بواسطتها أشعة الشمس من خارج المقبرة منتقلة من مرآة إلى أخرى ولكن هذا أمر بعيد الاحتمال على الأغلب لأن المرايا القديمة كانت تصنع من البرنز أو النحاس وهذه لا تؤدى إلى

www.ibtesama.com/vb

النتيجة المنشودة ، هذا إلى أن قوة الانعكاس تضعف من مرآة إلى مرآة حتى يقل أثرها قله واضحة فى نهاية الأمر . يضاف إلى ذلك أن وجود «السقالات» وتنقلات العمال أنفسهم مما يعوق الانعكاس المطلوب من وقت لآخر . ومن المحتمل جداً — على العكس من ذلك — أن عدداً كبيراً من هذه القناديل كان يستعمل ويحوى كل منها إناء صغيراً مفتوحاً مليئاً بالزيت تطفو فوقه الذبالة ورغم ذلك فلا بد أن الاضاءة كانت قليلة ومن المعلوم أن الصانع الشرقى اليوم لا يزال يستطيع القيام بأدق الأعمال فى ضوء خافت جداً مثل ما يفعل عمال الصاغة فى القاهرة اليوم مثلا . ولابد أن الحياة تحت مثل هذه الظروف لها آثارها المؤلمة . وكثير من اللوحات التى ورد ذكرها فى صفحتى ١٠٢ و ١٠٣ التى خلفها عمال مقابر الجبانة موجهة إلى المعبودات التى يحسون أنهم أغضبوها ورد فيها ما يشير إلى أن الشاكى « يشهد الظلمة فى النهار » أو « الظلمة التى صنعتها (أى المعبود) » ، ومن المحتمل أن هذه تعبيرات عن العمى وأن المقابر سلبت الكثيرين أبصارهم .

وبالمتحف البريطانى بردية تحوى سجلا عن ملاك الناحية عنوانه « سجل المدينة لغرب نو[1] من معبد الملك « منَ مارع »

---

(١) طيبة .

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٣)

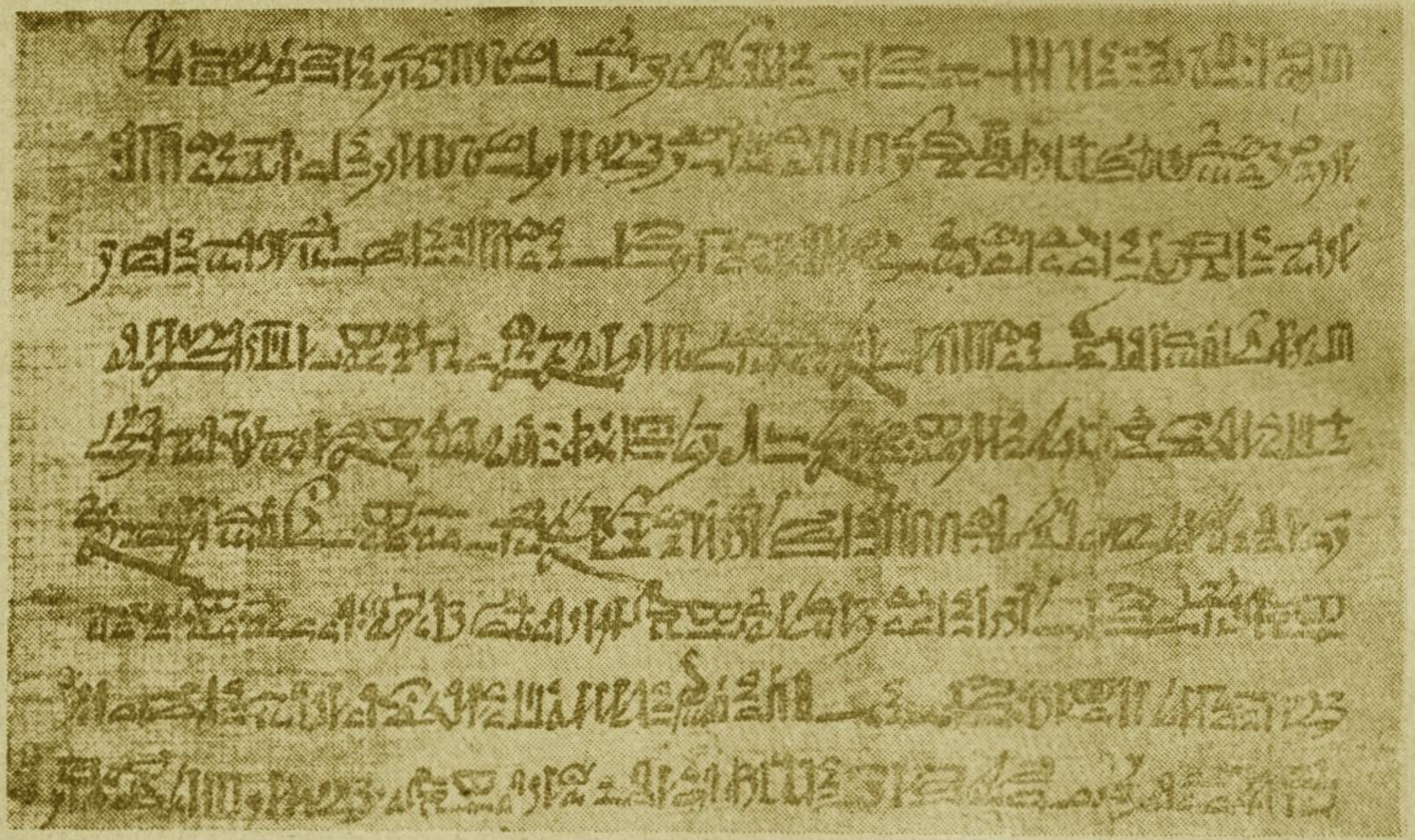

صفحة من بردية « دوربنى » (المتحف البريطانى) — التى تتضمن قصة الأخوين ، وهى مكتوبة بالهيراطيقية . ومعنى السطر الأول « وبعد مضى عدة أيام على هذا ، إبتنى لنفسه قصراً بيده فى وادى الأرز » .

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٤)

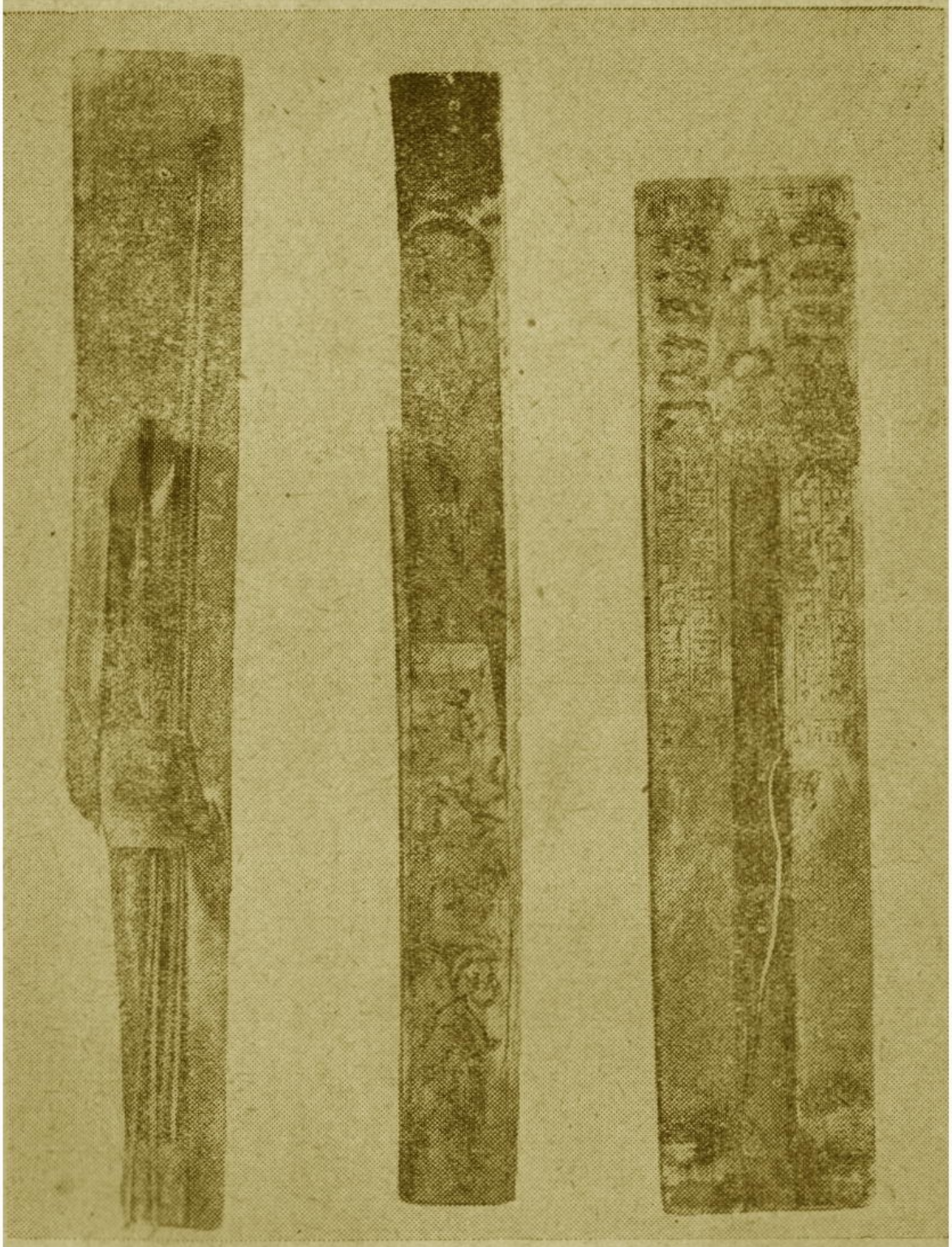

لوحات كتابة وأقلام بالمتحف البريطاني

www.ibtesama.com/vb

إلى مستعمرة ما يونحس ، وأهمية هذا المستند كبيرة جداً من غير شك رغم أنه لا يعطينا فكرة عن العدد الاجمالى للسكان فلم يرد به سوى ذكر ١٨٢ بيتا وطبقا لعنوان المستند فإنه يمثل عدد المساكن بين معبد سيتى الأول فى القرنه فى الشمال و « مستعمرة مايو نحس » فى الجنوب التى تقع بالقرب من دير المدينة الحالى . وليست لدينا وسيلة نستطيع بها أن نقدر عدد الأشخاص الذين كانوا يقيمون عادة فى بيت واحد ولا الأعداد الأخرى الأكبر من ذلك التى تعيش فى المبانى الملحقة بالمعابد الجنزية[1]. بل وأكثر من ذلك أنه رغم أننا قد نستطيع أن نستخلص أن حرف مختلف السكان المذكورين كانت مرتبطة بالجبانة فى صورة من الصور إلا أن شخصاً واحداً يعمل كاتباً ذكر كعضو فى هيئة موظفى الجبانة مما يشير إلى أن عمال الجبانة كانوا يوضعون فى ناحية مخصصة لهم ولا يبعثرون فى كل مكان كما هى الحال بالنسبة للملاك الذين تناول السجل ذكرهم .

أما حرف هؤلاء الملاك فمنوعة فمن بينهم تسعة وأربعون من الكهنة معظمهم من أدنى الدرجات (وعب) وسبعة من بينهم من موظفى الادارة وواحد من هؤلاء هو أمير الغرب نفسه كما كان من بينهم ثلاثة عشر كاتبا . أما بقية الملاك ففيهم طبيب وسبعة

(١) فى خلال الاسرة العشرين يظهر أن معبد رمسيس الثالث فى مدينة حابو كان المركز الذى تدار منه ضفة طيبة الغربية .

www.ibtesama.com/vb

من الشرطة وضابطان من ضباط البوليس وسبعة يعملون بالحدائق وثمانية عشر من الرعاة وستة من العمال الزراعيين وستة من الغسالين وإثنا عشر سماكا وثلاثة من عمال خلايا النحل وأربعة من عاصرى الجعة وثمانية من صانعى النعال وإثنان من المبخرين وغيرهم .

ومعظم ما وصل إلينا خاصاً بطبقات العمال فى مصر القديمة يتصل بالقضايا ، ولذا فاننا نعرف عن جرائمهم أكثر مما نعرف عن فضائلهم — وبعض هذه القضايا مشوق ، ومن المعروف انه إلى جانب النزاع الذى يفصل فيه فى المحاكم كانت الأمور فى الجزء الأخير من الدولة الحديثة تعتمد على الوحى ، فكانت القضية تعرض على تمثال الإله الذى يشير بما يراه عن طريق تحريك رأسه . . وهو عمل يتم من غير شك بواسطة كاهن يوحى إليه بما يراد عمله . وكان امنحتب الأول معبوداً يحبه عمال الجبانة وهو ثانى فرعون للأسرة الثامنة عشرة ، وهو مع أمه الملكة نفرتارى اعترف بهما كمعبودين حاميين لطيبة الغربية أرض الموتى . وقد ارتبطا فعلا بإله الموتى أوزيريس حتى أنهما كانا يصوران فى الفن كأنما لجلدهما لون أزرق يميل إلى السواد وهو اللون الخاص بذلك الإله وفى نواحى أخرى من طيبة — كما يمكن إدراك

www.ibtesama.com/vb

ذلك — كان يعتبر الإله آمون رع الحكم وكانت الظلامات تقدم غالباً إلى صورة محلية لهذا المعبود ، ومن أشهر القضايا وأبعثها على التسلية من هذه الناحية قضية حفظت على بردية فى المتحف البريطانى وقد جرت احداثها على الصورة التالية :

كان هناك خادم يدعى آمون أم ويا ، وكان حارساً لمخزن بمعبد « آمون با — خنتى » وباخنتى هذه ناحية فى طيبة وقد سرقت منه خمسة أثواب من القماش الملون كانت فى عهدته . فلما حمل تمثال الإله إلى الخارج فى الموكب خلال الاحتفال السنوى لأُوپت جاء آمون أم ويا وتوجه نحو الإله وقص قصته وقال : « جاء إلى رجال فى الظهيرة سرقوا خمسة أثواب من القماش الملون منى . . أى مولاى الطيب المحبوب . . ألا ترد إلى ما سرقوه منى ؟ »[1] ويحدثنا النص بعد ذلك أن « الإله هز رأسه بشدة » وعندئذ أخذ آمون أمهاويا يقرأ للإله قائمة بأسماء أهل الناحية ، وحين وصل إلى إسم فلاح يدعى باثاوام دى آمون هز الإله رأسه مرة ثانية وقال بصوت عال : « انه هو السارق » ، وكان باثا وام دى آمون حاضراً وأحس بالمهانة ولم يتردد فى معارضة الإله فى صراحة ، وهو يحتج بأن الاتهام باطل ، وعندئذ غضب

---

(١) هذه الفقرة وما يليها منقولة عن ترجمة بلاكمان فى Journal of Egyptian Archaeology, Vol. xi pp. 250 ff.

www.ibtesama.com/vb

الإله غضباً شديداً . ولكن باثا وام دى آمون ظل على موقفه بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ أشار إلى أن الصورة المحلية لآمون الذى يعبد قرب بيته أقرب إلى الصدق ، ولذا اتجه إلى هذا المعبود فوراً ، وهو آمون تاشنيت ، ولكن حتى إلهه لم ينحز إلى جانبه بل هز رأسه وقال : « انه هو الذى أخذ الأثواب » فلما نفى باثا وام دى آمون ذلك الاتهام أجاب « خذوه أمام أمون بوكنن فى حضرة شهود كثيرين » وعند ذلك صحبه ممثل للشرف على القطعان الخاصة بمعبد رعمسيس الثالث ورئيس الصناع وراعى المعبد كشهود ، وأخذ المتهم أمام صورة ثالثة محلية لآمون . ولسنا ندري ما حدث كنتيجة ذلك لأن المستند يقص استماعاً آخر[1] يتم هذه المرة أمام آمون باختى ثانية ، وفى هذه المرة نجد باثا وام دى آمون مذنباً فى النهاية إذ يتهمه الإله مرة أخرى .. ثم يذكر النص ان آمون باختى « أخذه وأوقع به العقاب البدنى أمام أهل المدينة » واضطره أن يقسم يمينا بأنه هو المذنب وانه سيعيد الملابس . وهذا قد يعنى أن كهنة آمون ضربوه ضرباً مبرحاً اعترف بعده بجريمته . ولكن الأمر لم ينته بعد بالنسبة

---

(١) الواقع ان هذا الاستماع قد وصف بأنه الاستماع الثالث أمام آمون باختى فلا بد أن كان هناك استماع آخر لم يرد ذكره فى مستندنا .

www.ibtesama.com/vb

للتعس باثا وام دى آمون ، إذ أن موظفاً محلياً ضربه مائة ضربة بسعف نخيل وجعله يقسم قائلا : « إذا رجعت فيما قلت سألتى إلى التمساح » وأخيراً طلب إلى الشاكى آمون أم ويا أن يقسم أنه لم يتسلم الملابس حتى لا يقوم المدعى عليه بحيلة أخرى .

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل السابع

المجرمون الكبار

جلس ثمانية من عمال الجبانة ذات أمسية فى حلقة على أرض كوخ من الطين أغلق بابه فى أحكام وكان جو السرية يغمر الجميع وكانوا جميعاً فى هيئة تشف عن جوع وحرمان زاد من مظهره ملابسهم المزرية الضئيلة التى لم تكن سوى مآزر تستر عوراتهم .

وكان أحدهم يتحدث وهو طويل القامة جائع المنظر وكان الآخرون يتابعون كلماته فى إنصات وإنتباه وقال لهم « لا خطر البتة والليلة خير وقت للمحاولة فالقمر ضئيل يساعدنا على معرفة طريقنا إلى المقبرة دون أن يلمحنا أحد . هذا إلى أننى رتبت الأمور بحيث لا يكون حرس الجبانة فى نوبتهم الليلة » .

فسأله أحدهم « أحسنت يا حعبي ور ولكن كيف توصلت إلى عمل ذلك ؟ » .

فأجاب « كان الأمر يسيراً فقد رشوت الكاتب التعس فى قسمنا ليكتب مذكرة بإمضاء مجهول أمليتها بنفسى تشير إلى أن

www.ibtesama.com/vb

كاتبها علم أن محاولة ستتم الليلة على قبر فى الوادى بواسطة عدد ضخم من الرجال ثم أرسلت المذكرة إلى مدير البوليس وأننى سوف أحس بأننى أستحق أن أتهم بالغباء بقية أيام حياتى إن لم يرسل معظم رجال الحرس الليلة إلى الوادى نتيجة هـــذه الإشارة المزيفة » .

ويستطيع القارىء الآن أن يدرك أن هؤلاء العمال كانوا يدبرون مؤامرة من نوع ما والواقع أن الأمر كذلك بل أنهـا مؤامرة من أحط نوع . أنهم يتآمرون على سرقة مقبرة وهى جريمة مريعة فى نظر المصريين الأتقياء كان عقابها القتل ومع ذلك كانت شائعة الحدوث فى ذلك العصر لأن الأمور خلال الأسرة العشرين لم تكن مرضية فى « الجبانة العظمى الجليلة لملايين السنين لفرعون فى طيبة الغربية » .

وأمام ضيق مصر بسلسلة الحروب الكبرى ضد الليبيين وشعوب البحر وإزعاجها بالتسرب المستمر للهجرات الليبية ومواجهتها للصعوبات السياسية الناجمة عن التناقص المستمر لسلطان العرش والنمو المتزايد لنفوذ كبار كهنة أمون رع . . لم يكن عجيباً أن تعجز السلطات الإدارية فى مصر أن تقيم النظام .. وكانت هذه هى الحال فى الجبانة على وجه خاص فلم يكن العمال يتقاضون أجورهم بانتظام وكانوا فى معظم الأحايين يحسون شظف العيش وقسوته ولم يكن

www.ibtesama.com/vb

النظام مستتباً واستغل الموقف صغار الموظفين هذا إلى أن البعض من بين الجماهير الكثيرة الذين يعيشون على الضفة الغربية من طيبة والذين يعملون فى نواحى تتصل بالمنازل الأبدية للموتى بدأوا يديرون عيونهم نحو الثروة التى تحت أيديهم . وكان الموتى فى أعماق القبور الكثيرة قد دفنوا فى أبهة وفخامة من فراعنة وأمراء ونبلاء مزينين بالذهب والأحجار الكريمة ومعهم أثاثهم الجنزى الفاخر . وبينما كان الأحياء يتضورون جوعاً نرى الأموات ينعمون بفيض لا ضرورة له مما دفع الأحياء إلى أن يغتصبوا ويسلبوا الراحلين المقدسين .

وفى المناسبة التى نحن بصددها نرى المتآمرين ينسلون فى منتصف الليل والقمر هلال وكل منهم يتخذ طريقاً مختلفاً نحو المكان المعين . وكان الرجال الثمانية يمثلون مختلف الحرف الشائعة فى طيبة الغربية فهناك « حعبي ور » عامل المحجر و « حعبي عو » الحجار ثم نجاران هما ستخ نخت وإيرن أمون وعامل زراعى يدعى أمون م حب وسقاء يدعى خع أم واس وآخران . وكان هدف حملتهم الشنيعة إحدى المقابر الهرمية الصغيرة من العصور السابقة هى مقبرة الملك «سخم رع شد تاوى» إبن رع «سو بك أم سا أف» وقد دفن مثل غيره من ملوك ذلك العهد (الأسرة السابعة عشرة حوالى ١٧٠٠ — ١٥٨٠ ق . م) فى قبر متوسط المظهر يحوى

www.ibtesama.com/vb

غرفا نحتت فى الهضبة الصخرية تحت مبنى هرمى من اللبن .

ومن الطبيعى أنه ليس من السهل افتراض اغتصاب مدخل مثل هذا المدفن فى ليلة واحدة . والواقع أن هؤلاء اللصوص الذين رأيناهم بدأوا عملهم منذ عدة أيام ليلا ونهاراً حين كان هذا الجزء من الجبانة متروكا دون حراسة من وقت إلى آخر .. وبالقرب من هرم الملك « سوبك أم سا أف » كانت توجد مقبرة محفورة فى الهضبة الصخرية لأحد العظماء المدعو نب أمون وقد مهدت هذه المقبرة الوسائل لإتمام العملية . إذ استطاع رجال العصابة تحت إشراف « حعبي ور » رجل المحاجر « وحعبي عو » الحجار من أن يعملوا جاهدين فى حفر سرداب فى جدار هذه المقبرة الصخرية يوصل إلى الهرم المجاور . ولم تكن هذه هى أبسط الوسائل للدخول إلى مقبرة سوبك أم سا أف فحسب بل كانت أكثرها سلامة كذلك لأنهم كانوا يستطيعون متابعة عملهم فى مقبرة نب أمون وهم فى مأمن من أنظار المارة . ولما كان العمل الشاق قد انتهى فلم يعد باقياً سوى السرقة وكانت تكفى ليلة واحدة لتفتيش المقبرة الهرمية وحمل الكنوز التى تحتويها .

واتخذت العصابة مسالك مضللة حتى استطاع أفرادها أن يتجمعوا فى القاعة الخارجية من مقبرة نب أمون . وأخذ حعبي ور

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٢٥

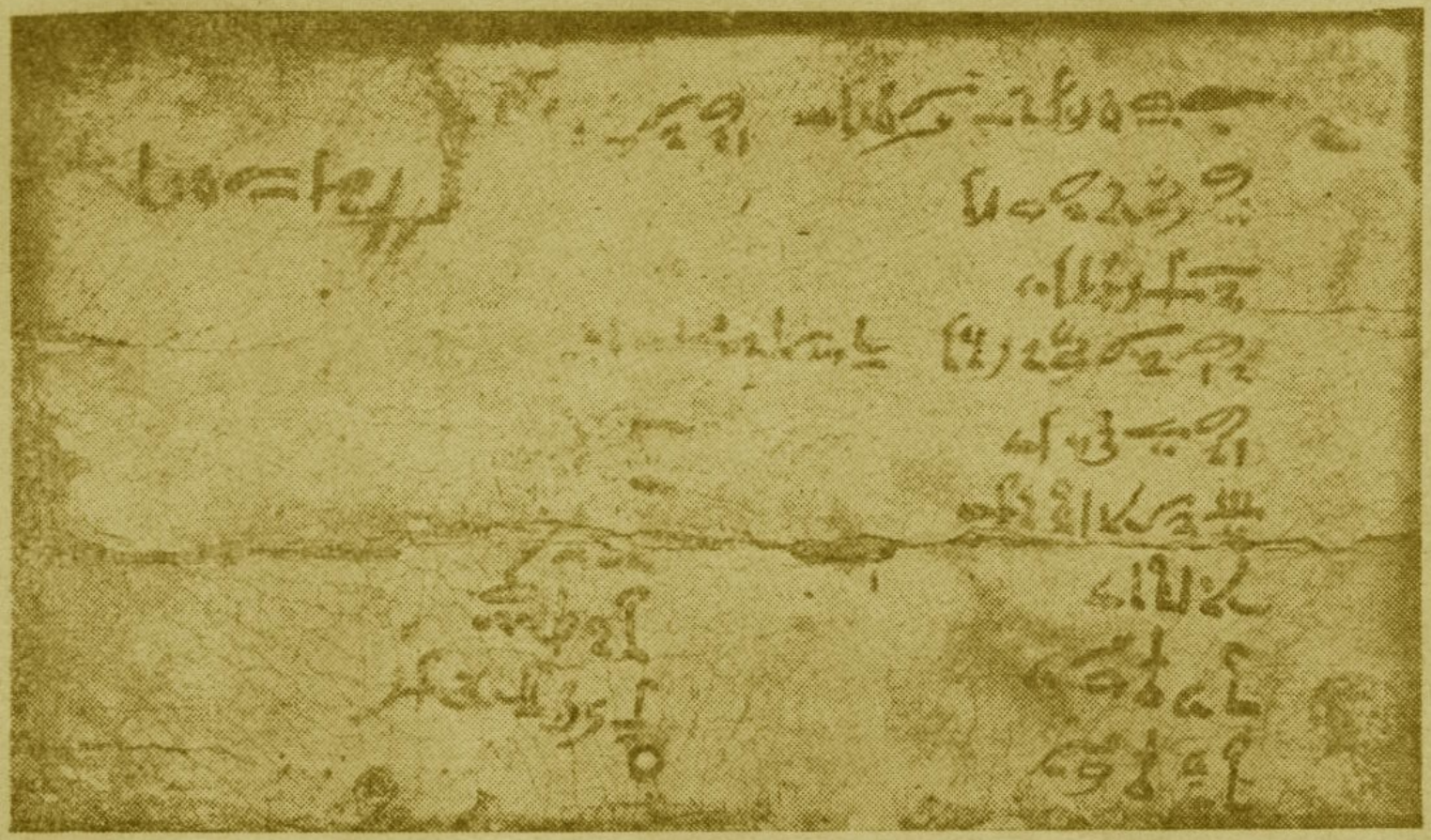

لوح للكتابة من الخشب عليه تمرين مدرسى يتضمن قائمة بأسماء بعض الـ « كفتيو » (أهالى كريت) ، (الأسرة ١٨) (المتحف البريطاني) .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٢٦

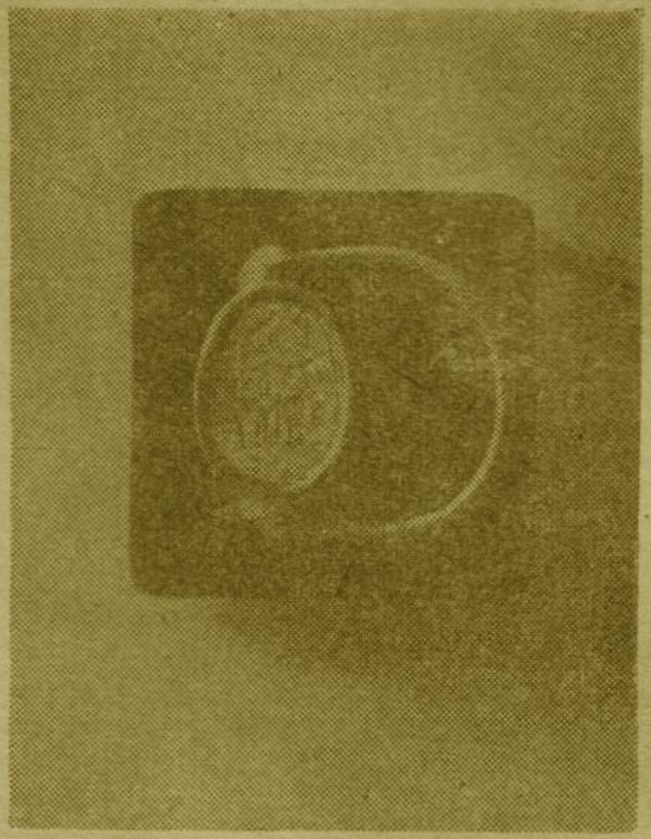

(شكل ١)
خاتم بأعلاه جعل (جعران) لكبير كهنة بتاح فى عهد أمنحتب الثالث المدعو « بتاح موسى » ، (الأسرة ١٨) (المتحف البريطاني)

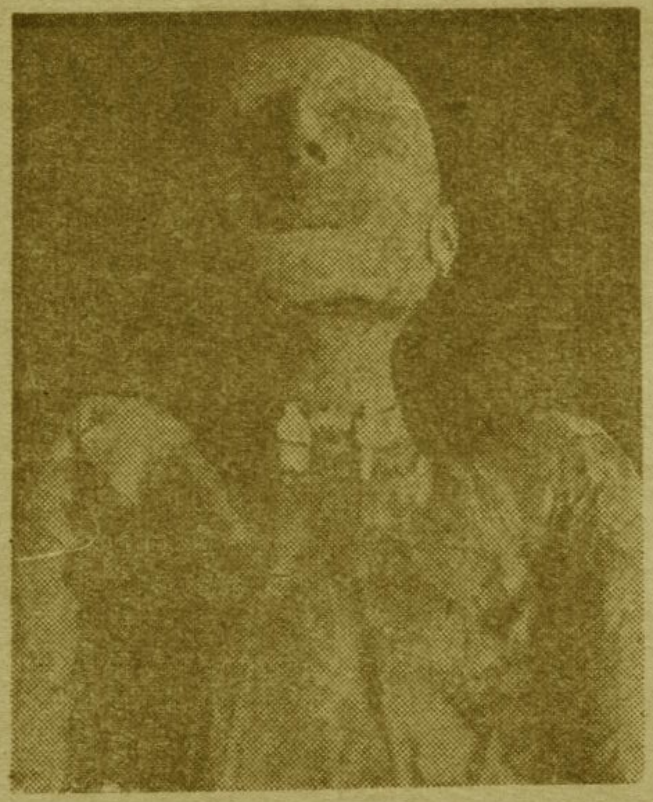

(شكل ٢)
مومياء أحد كهنة أمون (الأسرة ٢١)، وترى التمائم معلقة فى الرقبة .

www.ibtesama.com/vb

معه ثلاثة مشاعل من أحد أركان القاعة سلم إثنين منها لأحد الرجال بعد أن أوصاهم مشدداً بالتزام الصمت الكامل . ثم أضاء هو المشعل الثالث والتقط عدداً من الأكياس الجلدية التى كانت مخبأة كذلك فى نفس الركن ثم وزعها على رجاله وأمسك بالمشعل أمامه وبدأ يزحف فى السرداب الذى كان ينفتح عند منتصف منظر ملون رائع النحت على جدار مقبرة نب أمون هشمه اللصوص فى قسوة . ووصل حعبي ور بعد خمس دقائق قضاها زاحفاً على يديه ورجليه إلى غرفة قبر الملك سوبك أم سا أف التى أضاء ظلمتها الحالكة مشعله الذى يحمله معه . وحالما شق الآخرون طريقهم إلى الغرفة مخلفين خع أم واس وحده وراءهم فى مقبرة نب أمون ليقوم بالمراقبة أضئ المشعلان الآخران من المشعل الذى يحمله حعبي ور ووقف اللصوص يستطلعون ماحولهم

وكان يرقد فى هـــذه الغرفة ذات الحرارة الخانقة الملك سوبك أم سا أف وقد نحت له تابوت ضخم من الصخر الحى فى الغرفة ولكنه لم يكن منفصلا عنها وكان الغطاء قد أزيح فى اليوم السابق من مكانه وظهر بداخل التابوت الحجرى تابوت داخلى من الخشب المغطى بالذهب (لوحة ٣٣) أعتنى بزخرفته وتزيينه برسوم ريشية ونقشت عليه أدعية بالهيروغليفية امتدت على سطحه . وكان وجه التابوت يمثل صورة الملك الميت ، والعينان

www.ibtesama.com/vb

مطعمتان بالأوبهديان الأسود والمرمر الأبيض وكان يرتدى لباس الرأس المخطط الخاص بالفراعنة الذى يطل من مقدمته الصل الملكى برأسه .

وقد بدأعدد من اللصوص يرتعدون فرقاً حين تأملوا السكون الذى يطبق على بيت الموت وتذكروا اللعنات القاسية التى ينزلها صاحب القبر بمن يتعدى عليه وهاك مثلا منها :

«كل من يعتدى على سكنى أو يحطم غرفة دفنى أو يسحب جثتى فإن «كا» رع سوف تعاقبه وسوف لا يورث أملاكه إلى أولاده وسوف لا يكون قلبه سعيداً فى الحياة وسوف لا يلقى ماء فى الجبانة وسيقضى على روحه إلى الأبد» .

وكان خلود الرجل أو المرأة فى العالم الآخر يتوقف غالباً على حفظ جسده المادى بعد الموت فإن تناوله الفساد فان فناءه محتوم ومن هنا كان الذعر الذى يحل بالأنقياء من المصريين عند تفكيرهم فى جريمة سرقة القبور . وحتى هؤلاء اللصوص القائمون الآن فى غرفة دفن الفرعون سو بك أم سا أف يدبرون تنفيذ العمل المزرى كانوا يحذرون شناعة مقاصدهم وبدأوا يرددون الرقى الواقية أو يلتمسون العفو من أوزيريس وأنوبيس ولو لم يكن زعيمهم حعبي ور على إرادة نفاذة لارتدوا على أعقابهم وهربوا

www.ibtesama.com/vb

واستطاع رجل المحاجر أن يلم شعثهم فى همس تارة وتهديد تارة أخرى حتى استعادوا شجاعتهم واستطاعوا أن يتابعوا عملهم الذى سرعان ما انغمسوا فيه فاغتصبوا غطاء التابوت الخشبى وسحبوا الجثة من مكانها وكان رأسها مكسوا بقناع فاخر يغطيه الذهب سرعان ما نزعوه وأخـــذوا منه الأوراق الذهبية . أما الكفن الذى يلف الجثة فقطع بسكين حتى ظهرت من تحته الجثة فى لفائفها ثم فكوا اللفائف بقدر ما استطاعوا من سرعة وأخذوا يختطفون ما بينها من تمائم مكسوة بالذهب تمثل عين حوريس مربوطة فى الرقبة وكانت الجثة كلها مغطاة بالذهب فجردوها حتى تركوها عارية ثم قطعوا أوصالها حتى يستخلصوا الدمالج الذهبية المطعمة بالأحجار الثمينة التى وضعت حول الذراعين والساقين وخواتم الجعلان التى كانت تحيط بأصابع الملك الميت

أما الرجال الذين لم يكونوا ينهبون الجثة فكانوا ينتزعون الذهب والفضة والأحجار الكريمة التى كانت تزين التابوت الداخلى ، وأخيراً انتهى الأمر وجمعت الغنائم فى أكياس جلدية كانت قد أحضرت لذلك الغرض ومن بينها الأدوات الصغيرة من أثاث المقبرة الذى كان بالغرفة ، والذى رأوا أن له بعض القيمة ، وبعد أن انتزعت من التابوت الخشبى كل زينته الثمينة مزق شر ممزق ، وكوم فى وسط الغرفة مع حطام المومياء وكتلة

www.ibtesama.com/vb

الأربطة الكتانية . ثم دس حعبي ور مشعله تحت الكومة التى تحولت للتو إلى شعلة متأججة ، ثم انسحب وأعوانه إلى السرداب ومنه إلى مقبرة نب آمون الصخرية . وقد ذهبت فى الدخان والنار مؤونة الملك سوبك أم ساف التى كان يحتفظ بها من أجل خلوده ، وهمس خع أم واس وهو الذى كان قد ترك للمراقبة فى مقبرة نب آمون « كل شىء على ما يرام . لم يقترب أحد من هذا المكان » ، فأجاب حعبي ور : « حسنا . لنعد كما أتينا فى طرق متفرقة والليلة القادمة أن سارت الأمور على الوجه الذى نرجوه — سنأخذ الذهب من غرفة الملكة » ، واختفى فى الظلام بعد ذلك .

واجتمع الرجال فى الليلة التالية قرب المقبرة ، وكان حراس الجبانة على ما يظهر يركزون جهودهم فى وادى الملوك كنتيجة لخطاب حعبي ور الذى أرسله بإمضاء مجهول . وكانت غرفة مقبرة الملكة « نوب خع أس » زوجة « سوبك أم ساأف » تجاور غرفة مولاها ، ولكنه كان من الضرورى اقتحام مدخل إليها من ناحية أخرى واتبعت نفس الطرق التى اتبعت فى الليلة السابقة فيما يتصل بالنهب والتخريب ، ثم عادت العصابة إلى الكوخ الذى يعقد فيه أفرادها اجتماعاتهم آمنة وأفرغوا الغنائم من أكياسهم الجلدية وبدأوا يقسمونها إلى ثمانية أنصبة متساوية .

www.ibtesama.com/vb

ولم يكادوا يفرغون من ذلك ويشرق الفجر على التلال حتى سمعت همهمة أصوات خارج الكوخ ، فوقف الرجال على أقدامهم ذعراً وقبل أن تتاح لهم فرصة اخفاء الغنيمة كسر الباب نتيجة ضربات عنيفة متوالية ، ودخل اثنا عشر رجلا من المازوى السود مندفعين إلى داخل الكوخ وهرب ثلاثة أو أربعة من اللصوص عن طريق باب مفتوح ، ولكن رجال بوليس آخرين استطاعوا القبض عليهم للتو وكانوا يطوقون الكوخ . أما بقية أفراد العصابة فوضعوا فى القيود . ولم يكن مدير البوليس ساذجاً كما تصور حعبي ور ولم يخدع بتضليله إياه عن طريق الخطاب المزيف . ورغم انه بعث بغالبية رجاله لمراقبة وادى الملوك فإنه أعطى فى اليوم التالى أوامر هامة إلى فرقة صغيرة بالمرور حول الجبانة كلها أثناء الليل . وقد شهد هؤلاء الرجال اللصوص أثناء خروجهم من مقبرة نب آمون بعد إتمام السرقة فأسرعوا إلى القيادة لإبلاغها الأمر وهكذا تم القبض على أفراد العصابة .

وعند ما تم تقييد المجرمين الثمانية فى أيديهم وأرجلهم بالحبال وربطوا إلى بعضهم البعض أخذهم رجال البوليس ومعهم زوجاتهم وأولادهم وأقاربهم الذين قبض عليهم البوليس وجمعهم من القرية المجاورة وكانوا جميعاً يصرخون ويصخبون . ولم يكن

www.ibtesama.com/vb

البوليس المصرى يستحق أن يحمل إسمه إن لم يؤد واجبه على الوجه الأكمل فيقبض على كل من له — ولو صلة بعيدة — بالفاعل الأصلى ، وحين ارتفع رع فوق الجبال عند الشروق كان الجميع مسجونين فى رحبة معبد رمسيس الثالث فى مكان أحكم أغلاقه . وقد سجلت بعد ذلك أسماؤهم والاتهامات الموجهة إليهم كتابة وأرسلت إلى الوزير .

وكان الوزير فى مصر القديمة على رأس إدارة القضاء وكان يشرف شخصياً على المحاكمات الهامة . وليس من المؤكد قيام محاكم دائمة فى الوقت الذى نتناوله بالحديث بل يظهر أنه فى مثل قضية سرقة المقابر كان الأمر يعد خطيراً حتى أنه كانت تعقد محاكم تحقيق خاصة يشرف عليها فرعون نفسه .

وكان من المعتاد إخطار الوزير شخصياً بمثل هذه الجرائم فوراً ان كان فى مصر العليا فإن لم يكن فعلى البوليس والموظفين الآخرين أن يبحروا بمستنداتهم إلى حيث يكون ، وفى الحالة التى نحن بصددها كان الوزير ومعه كبار موظفى الدولة يقيم فى طيبة ليتحرى الحالة المشينة التى وصلت إليها كل الجبانة .

وتبعاً لذلك نرى أنه بعد بضعة أيام يحضر المسجونون أمام المحكمة التى عقدت فى المعبد الكبير لآمون فى الكرنك وكانت

www.ibtesama.com/vb

هيئة المحكمة مكونة من أربعة قضاة والوزير خع أم واس الذي يمثل شخص الملك ثم الساقى الملكى نس آمون وأمير طيبة المدعو بسيور ثم مناد . وكان كل قاض يضع حول عنقه تمثالا ذهبياً صغيراً لـ « ماعت » معلقاً فى سلسلة ذهبية . وماعت هى إلهة الصدق ولذا فإنها كانت تعتبر المعبود الحامى للعدالة . وكان القضاة من المراتب العالية يعتبرون كهنة لها .

وكان السجين الأول فى قائمة الاتهام هو حعبي ور رئيس العصابة وحين وقف أمام القضاة ذوى الوجوه العبوسة قرأ عليه الكاتب الاتهام بصوت عال ثم طلب إليه أن يقرر بعد اليمين إن كان هذا صحيحاً أم لا . ولم يكن فى المحاكمات المصرية محكمون أو محامون وكان على المتهم أن يدافع عن نفسه . وأقسم حعبي ور بحياة فرعون أنه لم يرتكب هو أو زملاؤه الجريمة ولم يكد يقول ذلك حتى رفع الوزير إصبعه فانطلق رجلان ضخمان تبعاً للإشارة وهجما على السجين وطرحاه أرضاً ووجهه إلى أسفل وجاء رجلان آخران أخذا يضربانه فى غير رحمة بسعف النخيل وبعد أن استمر ذلك بضع دقائق بدأت شجاعة حعبي ور تخونه فصرخ قائلا « كفى . . . سأتحدث » وتوقف الضرب للتو واعترف هو أنه

www.ibtesama.com/vb

« سرق شيئاً » من مقبرة سو بك أم سا أف . ولكنه لم يعترف اعترافاً كاملا مؤملا أن يكون فى هذا الكفاية .

ولكن السلطات كانت تدرى أى نوع من الناس تتعامل معه وكانت طرائقهم منتجة قاسية . فجىء بمقرعة وبدىء فى ضربه حتى التمس مرة أخرى التوقف وأضاف بعض التفصيلات إلى اعترافه السابق . ولكنها لم تكن اعترافات كاملة إذ أقر أمر اغتصاب المقبرة ولكنه حاول إخفاء أسماء شركائه . . ولم يكن ذلك ذا جدوى فانتقل البوليس إلى ثالث المراحل وأقساها وجىء بأداة خشبية[1] بيضية الشكل ووضعت فى القدم اليمنى للمسجون ثم أديرت الأداة فى وحشية حتى بدأت مفاصل حعبي ور تتكسر . وقضى الألم العنيف نتيجة التعذيب على آخر محاولات المقاومة وحين حدث لديه نفس الشىء والتوت بنفس الطريقة اعترف اعترافاً شاملا بجريمته وجريمة زملائه .

وعولج السبعة الآخرون بنفس الطريقة حتى يتبين القضاء إن كانت الاعترافات تتفق واعترافات حعبي ور . ثم سئل الشهود الذين قبض عليهم فى نفس الوقت بعد أن ضربوا . وسرعان ما أفرج عن غالبيتهم وبعد يوم أو يومين حمل اللصوص يصحبهم

---

(١) ترى أذرع الأسرى الأجانب فى الحروب مقيدة فى مثل هذه الأداة .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٢٧

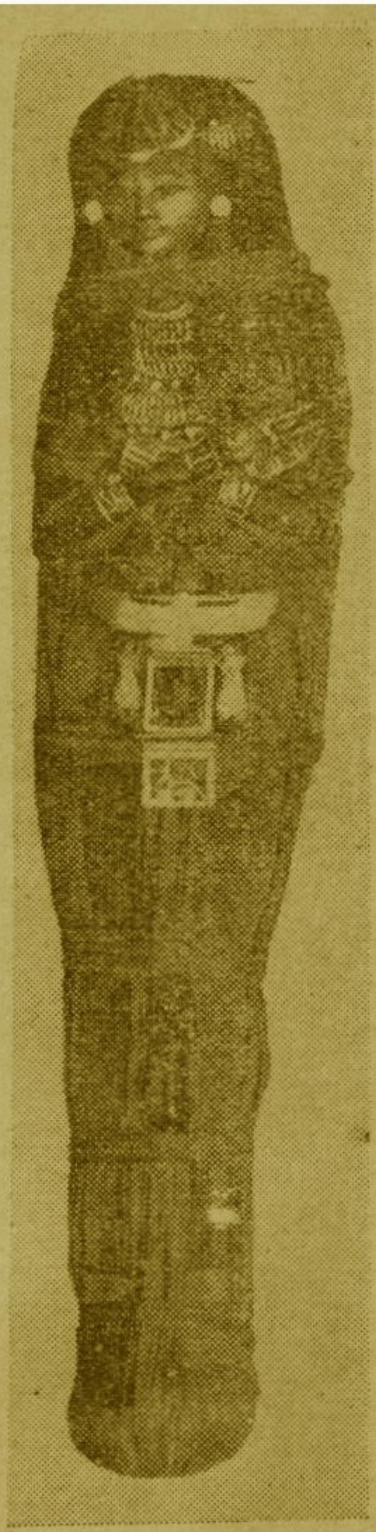

(شكل ١)
التابوت الداخلى المذهب للسيدة «حنت محيت» ، (الأسرة ١٩)
(المتحف البريطاني)

(شكل ٢)
مومياء إحدى الكاهنات الموسيقيات للاله آمون رع فى طيبه ، وتدعى « كاتبت » . لاحظ القناع ذا الوجه المذهب والأيدى الخشبية التى تتحلى بخواتم حقيقية من العقيق وإلى أسفل ذلك قلائد وتمثال «أوشبتى». (أسرتا ١٨ و ١٩) (المتحف البريطانى)

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٨) تماثيل « أوشبتى » من عصور مختلفة . من اليسار إلى اليمين : كاهنة موسيقية لأمون (حجر جيرى ، أسرة ١٨) ، الموظف « حوى » (خشب ، أسرة ١٩) ، تمثالان للملك « باى نجم » الثاني (قاشانى مزجج ، أسرة ٢١) ، تمثال المشرف على الملابس المدعو « باخاس » (قاشانى مزجج ، أسرة ٢٦) (المتحف البريطانى)

www.ibtesama.com/vb

الوزير خع أم واس والساقى نس آمون عبر النهر إلى الجبانة حيث أجبروا على أن يمثلوا أمام قضاتهم المنظر الكامل للجريمة .

وهكذا ثبت الاتهام تماماً وحكم عليهم بالاعدام . وسجل الاتهام والحكم بأمر القضاة كتابة وقدم إلى فرعون لالتماس الموافقة على ذلك لأن السلطان على الحياة والموت كان له وحده . وفى الوقت نفسه سجن اللصوص فى سجن معبد آمون فى الكرنك . واستطاع أحدهم وهو النجار ستخ نخت الفرار ولكن سرعان ما قبض عليه وأعيد بعد بضعة أيام .

وأخيراً بعد ثلاثة أسابيع — لأن فرعون لم يكن فى طيبة — أعاد الرسول الأمر الذى يحمل الخاتم الملكى وهكذا جاء يوم التنفيذ . وكان منظراً بشعا ذلك لأن الجرائم العادية كانت عقوبتها فصل الراس أو وسيلة أخرى مماثلة سريعة أما جريمة تهشيم الميت فانها كانت تلاقى مصيراً أشد هولا لأن أولئك الذين سلبوا الإله الطيب سو بك أم سا أف أحد الأسلاف المقدسين لفرعون الحى وزوجه الملكة من أملهما فى الخلود يجب أن يدفعوا ثمن أثمهم كاملا . كانت ساحة التنفيذ قطعة أرض واسعة خارج طيبة أقتيد إليها المجرمون الثمانية فى حر الظهيرة وهم مربوطون إلى بعضهم البعض بالحبال وكان يصحبهم فى رحلتهم هذه الأخيرة

www.ibtesama.com/vb

زوجاتهم وأطفالهم الذين ملأوا الجو بعويلهم المحزن . ووضعت فى ساحة التنفيذ ثمانية (خوازيق) خشبية رفيعة روعى فى أطرافها أن تكون حادة بالغة الدقة وإلى جانب كل خازوق ثقب غائر فى الأرض وجىء أولا برئيس العصابة حعبي ور لينفذ فيه الحكم أولا .. وكان منظراً دفع الكثيرين إلى أن يديروا وجوههم رعباً إلى الناحية الأخرى .. أمسك بالفريسة أربعة رجال أشداء إثنان من ذراعيه وآخران من قدميه . كما كان هناك رجلان آخران لم يعيرا صراخه إلتفاتاً أدخلا الحد الرفيع من الخازوق فى جسمه عنوة ثم وضع الخازوق فى الحفرة وعليه حعبي ور لا يستطيع حراكا : وعومل زملاؤه نفس المعاملة حتى تم وضع ثمانية خوازيق فى الشمس المحرقة تحمل فوقها ثمانية مخلوقات بشرية . ولنسدل ستاراً على هذه المرحلة من الموت البطىء لننتقل إلى أشياء أخرى .

* * *

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ فى « الجبانة العظمى الجليلة لملايين السنين » وقد بذلت جهود كبيرة خلال حكم الملوك الكهنة للاسرة الحادية والعشرين لإيقاف حملات سرقة المقابر ولكن يظهر أنها لم تكلل بنجاح كبير . وقد جهد الكهنة الأتقياء الذين

www.ibtesama.com/vb

ولوا عرش مصر فى محاولة علاج انتهاك حرمة المقدسات . وحين كان يثبت أن قبراً ملكياً أمكن فتحه وسرقته وأتلفت جثة صاحبه كانوا يحاولون إصلاحها وإعادة ربطها ووضعها من جديد فى تابوتها أو تجهيز تابوت جديد يثبت عليه بالحبر واقع الأمر . ثم تحمل المومياء ومعها ما بقى من أثاثها الجنزى فى سرية كبيرة إلى مقبرة أخرى يكون اللصوص لم ينتبهوا إليها .

على هذه الصورة كان المصير المخزى لفراعنة الأمبراطورية العظام فقبورهم التى أنفقوا الكثير من الجهد والنفقات فى إعدادها دنست فى عنف وقسوة بالغين وأجسادهم نقلت من مخبأ إلى مخبأ حتى تستنقذ من تدمير محتوم . ثم وضعت المومياوات الملكية أخيراً فى مقبرتين : مقبرة أمنحتب الثانى فى وادى الملوك ومقبرة أخرى فى الدير البحيرى وظلت كذلك لا يزعجها أحد مدى ثلاثة آلاف سنة حتى كشف أمرها فى نهاية القرن الماضى ونقلت ثانية ولكن إلى متحف بولاق فى هذه المرة حيث وضعت فى خزانات عرضت فيها .

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثامن

كنوز الماضى

إن الحديث عن قدماء المصريين وحياتهم وعاداتهم لا يكون كاملا إلا ببعض الإشـــارة إلى الأدوات الصغيرة التى كانوا يستعملونها ويصنعونها فى كميات كبيرة والتى تكشف لنا عن أفكارهم ومقدرتهم .

وتقدم اليوم الحفائر المنظمة فيضاً ضخماً من هذه الأشياء إلى متاحف العالم ، ولعله من الخير أن نعرف الطريقة التى تقوم بها مثل هذه الحفائر .

إن الوسائل التى تتبع تختلف باختلاف طبيعة الموقع الذى يكشف عنه فقد يكون معبداً حجرياً لم تبق منه إلا أحجار الأساس أو مقبرة صخرية يتطلب الأمر البحث عن مدخلها أو جبانة تضم مئات المقابر . ومهما يكن الموقع الذى يختار فإن الأبحاث يجب أن تجرى فى نطاق علمى بحت إذا كان الهدف الوصول إلى أكبر قدر من المعلومات . ولقد ولت الأيام التى كانت البعثات من المكتشفين تحتفظ بالجذاب وحده مما تعثر عليه وتلقى جانباً ما تظنه غير ذى

www.ibtesama.com/vb

أهمية ... والمتعة الخيالية لا تزال ذات نصيب فى أعمال الحفائر ولكن الحفار الذى قرأ فى الروايات عن هذا العمل ويتوقع اليوم أن تكون أعمال الحفائر أجازة استجمام طويلة سرعان ما يوقظه الواقع فى عنف ذلك لأن الأمر يتطلب عملا شاقا ويجرى رتيباً لا تغيير فيه كما يحتاج إلى نشاط وتركيز مطلق بالنسبة لأصغر التفصيلات . أما الجزاء فواف إن استطاع بعد ذلك أن يضيف لمسات خفيفة إلى لوحة الحضارة المصرية .

ولنقدم مثلا لذلك الكشف عن تل العمارنة وهو الذى أدى إلى كشف المدينة المصرية الوحيدة الكاملة المحفوظة حتى اليوم ذلك لأنه من المعروف أن المنازل المصرية تنقرض بسبب أن المصريين كانوا يبنون بيوتهم — وكل المبانى الأخرى غير الدينية — من اللبن وحين كان ينهار أحد هذه البيوت كانت تسوى أنقاضه ويبنى فوقها بيت آخر . وهكذا تجد مدينة تبنى على أنقاض أخرى بدلا من أن تظل قائمة مدى العصور كالمعابد الحجرية . ولكن الأمر لم يكن كذلك فى تل العمارنة لأن ظروفاً خاصة دعت إلى قيام مدينة كاملة هناك كانت عاصمة مصر وظلت دون أن تمس حتى يومنا هذا .

ولقد تحدثت فى الموجز الذى قدمته فى بداية هذا الكتاب

www.ibtesama.com/vb

عن تاريخ مصر عن فرعون هو أمنحتب الرابع المعروف باسم اخناتون وهو الذى جهد فى إدخال عبـــادة قرص الشمس والاعتراف به كإله واحد فى الوقت الذى ألغى فيه عبادة بقية المعبودات المصرية واستقر رأيه على هجر مدينة طيبة عاصمة الإله آمون رع وعاصمة مصر ليقطع كل علاقة بالماضى ويقيم عاصمة جديدة فى مكان آخر . وكان الموقع الذى اختاره ناحية يعرفها الأوربيون اليوم باسم تل العمارنة وهى تقع على بعد ٢٥٠ ميلا إلى شمال طيبة حيث تتراجع المرتفعات فى الضفه الشرقية للنهر تاركة خليجاً من الصحراء يحدده شريط من الأراضى الزراعية الخضراء (لوحة ٣٤ شكل ١) وقد بنى فى هذه الناحية مدينته المسماة « أفق القرص » وأحيى احتفالات ضخمة تمجيداً لإلهه فى الوقت الذى كانت تهدد الأخطار الامبراطورية المصرية فى آسيا . وبعد موت اخناتون هجر خلفاؤه الدين الجديد وعادوا إلى طيبة إما لأنهم لم يكونوا قادرين على متابعة الصراع أو لأنهم لم يكونوا راغبين فى إطالة أمده وبعد بضع سنوات هجرت « أفق القرص » تماماً وتركت البيوت والقصور والمعابد والمبانى العامة الأخرى لتغطيها رمال الصحراء تدريجياً .

هذه المدينة المخربة هى التى زودتنا بأكبر قسط من المعلومات

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٢٩) رسم وكتابة من كتاب الموتى

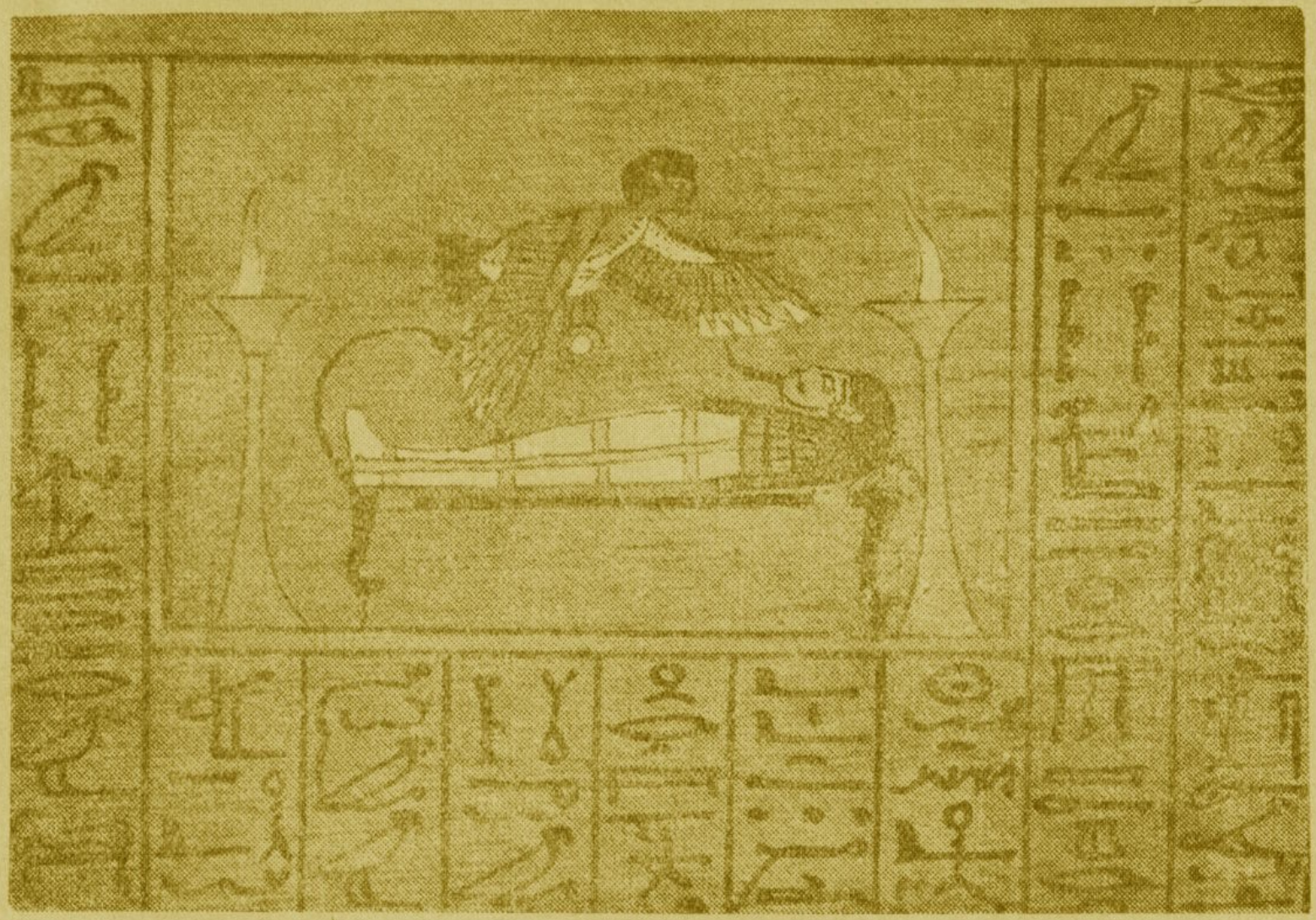

الرسم يمثل الروح (با) تزور المومياء فى المقبرة ، من بردية « آني » ، الأسرة (١٩) (المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٣٠) فتح الفم

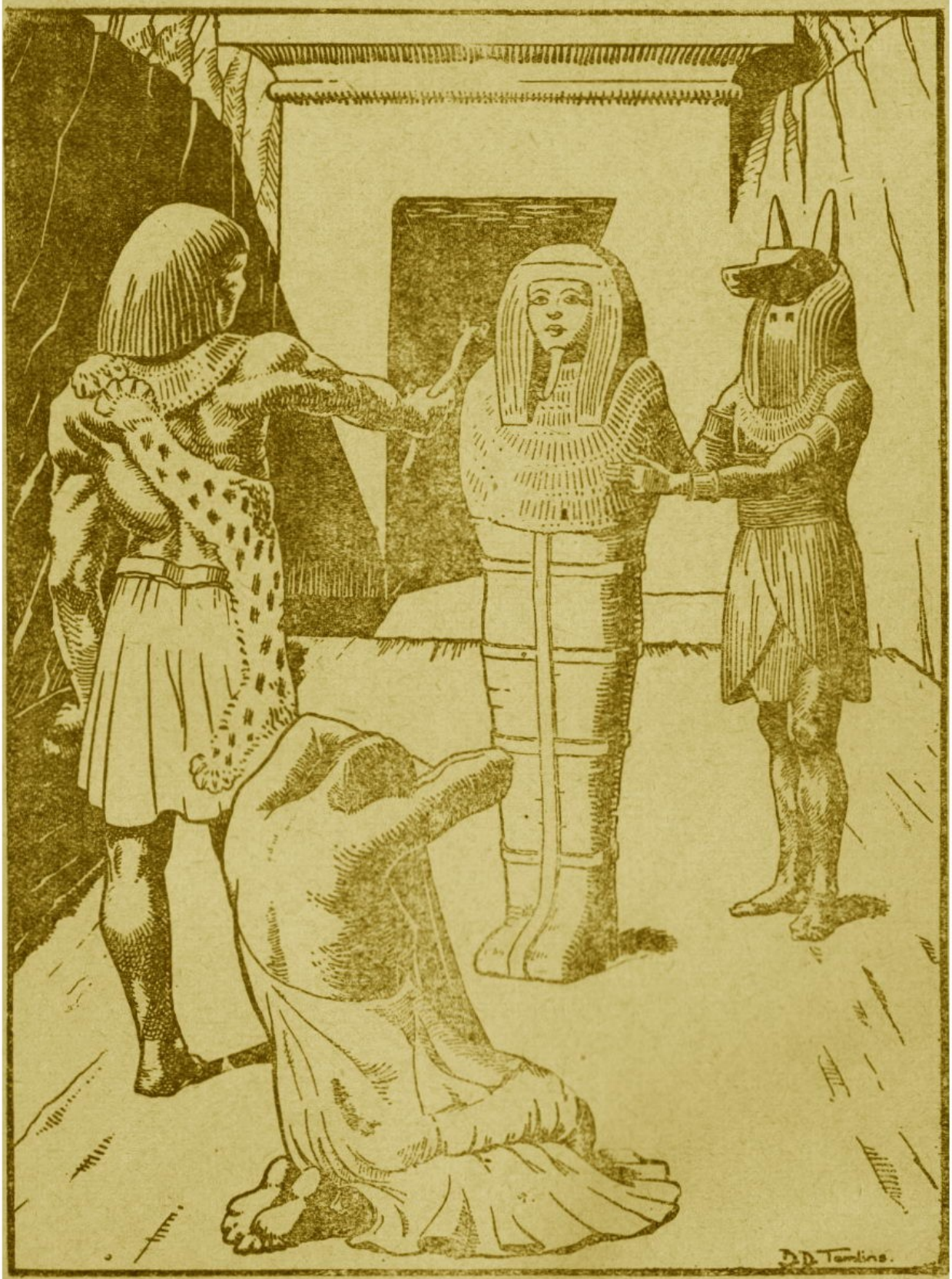

« إني أفتح فمك بالساحر العظيم »

(أنظر صفحة ١٦٣)

www.ibtesama.com/vb

عن المنشآت المدنية للمصريين القدماء . والوصف الذى قدمناه لبيت نسامون فى الفصل الثانى يعتمد اعتماداً كلياً على كشوف تل العمارنة ورغم أنه يحتل بضع صفحات فى روايته إلا أنه تطلب صبراً طويلا لكشف حقيقته . ففى موسم ١٨٩١ — ١٨٩٢ قام السير فلندرز بيترى بأول حفائر علمية منظمة فى تل العمارنة . وقبل الحرب العالمية الأولى قامت بعثة ألمانية بالحفر فى ناحية أخرى من المدينة وعثرت — من بين ما عثرت عليه — على مصنع مثال يحوى مجموعة نصفية للملكة نفرتيتى والأسرة المالكة محفوظة الآن فى متحف برلين واستطاع الانجليز بعد الحرب أن يحصلوا على امتياز الحفر وتابعت جمعية Egypt Exploration Society أعمالها هناك منذ عام ١٩١٩ عاما بعد عام وظلت تكشف على التوالى عن عاصمة الملك المهرطق عن معلومات أخذت تتزايد فيما يتصل بالحياة اليومية عند قدماء المصريين (لوحة ٣٤ شكل ٢) .

وجدران المنازل المخربة فى تل العمارنة ذات ارتفاع ملحوظ (لوحة ٣٥ شكل ١) وحيث لا يكون الأمر كذلك لا يصعب تكوين فكرة عن تخطيط البيوت . وعلى ذلك فإن البعثة العلمية يجب أن تضم مهندساً معمارياً يسجل تخطيط كل مبنى تخطيطاً مفصلا أثناء كشفه ويدخله فى مجموعة تخطيطات النواحى المختلفة المدينة . أما عملية الحفر نفسها فتتم بواسطة عمال مدربين من

www.ibtesama.com/vb

الفلاحين يضاف إليهم متطوعون من القرى المجاورة ولكن يجب أن يكون أحد الأعضاء الأوربيين للبعثة أو بعضهم موجوداً ليشرف على سير الأمور وليسجل فى مذكراته ما يسترعى التفاته. وفى المساء تعمل بطاقات للكتالوج لكل ما عثر عليه خلال اليوم وتعطى أرقاماً مسلسلة. كما يدرس كل الفخار الذى يعثر عليه بالمنازل وكذا حبات الخرز والمعلقات وتقارن بما هو معروف منها فإن عثر على طراز جديد ترسم بمقياس هندسى. هذا إلى أن الكتابات والنقوش يجب أن يتم نسخها ودراستها بواسطة عالم لغوى كفء. وقد يعثر على قطع لها أهميتها فى تل العمارنة وتكون هشة ولذا فإن معالجتها تتطلب حذراً زائداً خوفاً عليها من أن تتهشم نهائياً. مثال ذلك أن الدليل الذى مكن الأثريين واستطاعوا به أن يعيدوا زخرفة سقف بيت مصرى تناولناه بالوصف فى صفحة ٦٤ وما يليها كان كما يأتى: — لما تحول البيت إلى إنقاض أنهار من سقفه وسقطت الكتل الخشبية إلى أرض الغرف. وتحلل الخشب بمرور الوقت ولكن الملاط الطينى الملون ظل على حاله وغطته الرمال ولذلك فإنه عند متابعة الحفر يجب بذل أقصى العناية والانتباه حتى يحافظ على آثار اللون على الأرضية وحين يعثر عليها يجب أن ينبه العمال المتمرنون إلى تنظيفها ورفع الرمال بفرشاة. فإن روعيت هذه الدقة فإن قطع الملاط الساقطة من

www.ibtesama.com/vb

السقف والتى كانت تغطى الكتل الخشبية تتكشف محتفظة بزخارفها ذات الألوان الوضاءة . واللوحة ٣٥ شكل ١ تبين الغرفة الرئيسية الوسطى للبيت وهى الغرفة التى عثر فيها على هذه القطع كما يبين شكل ٢ الأرض من زاوية أقرب والقطع فى مكانها.

أما حين يعثر على حبات خرز فانه يجب استدعاء الأثرى فوراً لأن ما عثر عليه قد يكون عقدا أو قلادة بلى خيطها وهو قد يتمكن عند إزالته للرمال فى عناية أن يجد الخرز لا يزال باقياً بترتيبه (بنظامه) الأصلى . وهو أن سجل ذلك فى كراسته فانه يستطيع أن يعيد نظم الخرز تماماً على الصورة التى كان عليها فى العصور القديمة . والقلادة المرسومة فى لوحة ١٤ شكل ٢ أعيد نظمها بهذه الكيفية .

ولعل الفخار هو أهم ما يعنى به الحفار من بين أدوات الأقدمين فالأوانى والقدور التى كانت تصنع فى أعداد هائلة يعثر عليها فى إنقاض الحضارات القديمة عند الكشف عنها . والأثرى الذى يدرك تمام الإدراك مختلف أنواع الفخار الذى استعمل فى العصور التاريخية المختلفة يستطيع أن يقدر للتو تاريخ الموقع الذى يكشف عنه فى مكان مثل العمارنة وهى مدينة كان يسكنها جيل ضخم من الناس عثر على عدد كبير من الأوانى والقطع الفخارية

www.ibtesama.com/vb

فى المنازل وكان فحصها وترتيبها أمراً شاقاً كما يستطيع الكاتب أن يقرر ذلك من وراء تجربته الشخصية إذ مارسه فى موسم ١٩٢٩ والفخار المصرى على أية حال مبعث لذة خاصة وهو يبلغ قمة فنية ملحوظة فى أنواعه الجيدة .

ولم تكن عجلة الفخار قد تم إختراعها فى عصرما قبل الأسرات (قبل ٣٣٠٠ ق . م .) ولكن الفخارين استطاعوا رغم ذلك أن ينتجوا إنتاجاً طيباً . ولعل خير القطع وأجملها من ذلك العصر هى الأوانى اللامعة السوداء أو الحمراء أو الحمراء ذات الشفة السوداء . كما أن الأدوات البرتقالية المزينة بالرسوم الحمراء للرجال والحيوانات والقوارب التى تبحر فى النيل أو يستخدم فيها عدد من المجاديف يمكن اعتبارها هامة وإن لم تبلغ من الجمال مرتبة الأنواع سالفة الذكر . وأما الأوانى الحجرية لعصر ما قبل الأسرات فهى مدهشة حقاً وقد كانت تصنع باستخدام المثاقيب الخشبية أو الحجرية التى تغذى بأوكسيد الألومنيوم البلورى الشديد الصلابة أو مسحوق الصنفرة وبلغت هـــذه الصناعة ذروتها فى أناء عثر عليه فى هيراقونبوليس مصنوع من السايتيت الأسود والأبيض وارتفاعه ١٦ بوصة وقطره قدمان ولكنه بلغ من الرقة حداً حتى ليمكن حمله بأصبع واحد فى حين أن كتلة بنفس الحجم قد تزن أربعمائة رطل

وقد استعملت عجلة الفخار فى عهد الأسرة الرابعة وقد بدأت

www.ibtesama.com/vb

صناعة الفخار تنحط منذ إدخالها على حين بدأت صناعة الأوانى الحجرية تزداد جمالا وإتقاناً . ولعله ليس هناك سوى أشياء قليلة تزيد جمالا عن أوانى المرمر التى يرجع عهدها إلى الدولة القديمة وخاصة إذا سلطت عليها أشعة الشمس . وأن نحن استثنينا الأوانى الفخارية الحمراء الداكنة الخاصة بالفترة ما بين الأسرتين الرابعة والسادسة فأنت تكاد تقرر أن جاذبيتها لا تتكرر قبل الدولة الحديثة حين شاع استعمال طرازبزخارف ملونة. فالأكواب التى تميل إلى الحمرة والأوانى التى ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة والمزينة بصفوف من أوراق اللوتس الزرقاء الوضاءة وكذا القدور التى اتخذت هيئة الحيوان أو رءوس الإلهة حاتحور تليق جميعاً بالأهداف التى صنعت من أجلها فى استخدامها فى الولائم والمناسبات الخاصة بالاحتفالات . ولكن الفخار عاد إلى مرتبة الانحطاط مرة أخرى فى أخريات الدولة الحديثة وبدأ يتحول إلى خشونة ملموسة واضحة .

ولعل ما برع فيه المصريون براعة واضحة هو فن التزجيج الذى قد يعوض عدم نجاحهم فيما يتصل بالفخار فى العصور التاريخية . فقد كشفوا قبل الأسرة الأولى طريقة تزجيج الأحجار ثم نجحوا فى التقدم بهذه العملية حتى أصبحت لهم شهرة خاصة فى تزجيج المركبات التى نعرفها تحت إسم القاشانى والمكونة من مادة

www.ibtesama.com/vb

رملية صوانية تربط جزئياتها مادة صمغية من نوع ما وتغطى بطبقة زجاجية لامعة ملونة . وأجمل ألوان التزجيج التى وصلتنا هو الأزرق وهذا اللون بالإضافة إلى اللون الأخضر هما أكثر الألوان شيوعا . وقد برع المصريون فى هذا الفن حتى لنراهم يخلفون غرفة جدرانها مغطاة بألواح القاشانى الأزرق كما هى الحال فى هرم ومقبرة الملك زوسر فى سقارة و يصنعون خرزاً ومعلقات من نفس المادة فى صورة فاكهة أو زهور مثل ما عثر عليه فى تل العمارنة أو جعلان مزججة جيدة الصنع منحوتة من حجر الستيانيت .

وأن نحن استثنينا حبات الخرز فاننا نجد أن أكثر ما وصلنا من الأدوات المزججة هو الجعلان وتماثيل الأوشابتى . والجعل هو نموذج للخنفساء المقدسة المسماة Scarabaeus sacer ويصنع من الحجر أو مركب معين يزجج بعد ذلك . وقد استعمل كختم فى بدء الدولة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ ق . م) حين حل محل الأختام الأزرار التى شاع استعمالها فى النصف الأخير من الدولة القديمة وخلال عصر الفترة الأولى ومحل الأختام الاسطوانية التى كانت تصنع من الحجر أومركب ينقش عليه الرسم المطلوب وتلف فوق الطمى قبل أن يجف فيختم ما يراد ختمه بها والتى شاعت خلال المرحلة الأولى من التاريخ المصرى وظل استعمالها سائداً كذلك فى بابل وأشور وأن اختفت من مصر عند قيـــام الأسرة

www.ibtesama.com/vb

الثانية عشرة . أما الجعل فقد أخذ استعماله ينتشر من الأسرة الثانية عشرة حتى الأسرة الثلاثين وقلما يعود اليوم أحد زوار مصر منها دون أن يحمل معه أحدها تذكاراً لزيارته .

وقد بينا من قبل فى صفحة ٨٠ أن الخنفساء كانت تقدس كرمز لإله الشمس ومن أجل هذا فانها كانت تميمة لها قوتها وكان استعمالها فى مبدأ الأمر مختتم مساوية لهذه الأهمية ذلك لأن كبار الموظفين فى عهد الدولة الوسطى نقشوا على قواعدها أسماءهم وألقابهم ونقوشاً أخرى لطيفة وبمرور الزمن أصبحت دلالتها كتميمة لها أكبر قيمة فى نظر الناس فبدأوا يعلقونها لتكون مجلبة للحظ الحسن أوللحماية ضد الأرواح الشريرة ونقشت على قاعدتها صور الآلهة الرئيسية أو صيغ يفترض فيها جلب حسن الطالع إلى حاملها كما أن مجموعة منها كانت تكون جزءاً من المعدات الجنزية لكل مصرى متوسط الحال فى العصر المتأخر . والجعلان تلبس ضمن عقود أو توضع فى خواتم تلبس فى الأصابع . ولوحة ٢٦ شكل ١ تقدم مثلا طيباً لذلك . فالجعل موضوع فى خاتم من الذهب ويحمل إسم وألقاب « بتاح موسى الكاهن (السم) ورئيس الصناع الفنانين »[1] . وكان فى اهتمام السياح بالجعلان إغراء بالغش والتدليس حتى لنرى المئات من القطع المزورة تنتجها

(١) أى كبير كهنة بتاح ، أنظر صفحة ٨٦

www.ibtesama.com/vb

مصر فى كل عام . وعلى السائح الذى ليست له دراية تامة بالجعلان أن يرفض كل مايقدمه له التراجمة من العربان ويستحسن لو استشار أحد الاخصائيين قبل الشراء . ومن السهل الكشف عن التزوير بفحص طريقة القطع أو التزجيج ولكن بعض القطع يجاد تزويرها حتى ليخدع بها الخبراء أنفسهم والعدد الضخم من الجعلان الزرقاء التى تباع فى الأقصر وكذا الجعلان برؤوس أبى الهول هى بغير استثناء مزيفة (وقد عرض على الكاتب يوماً إثنان منها بما يعادل الخمسة قروش) .

أما تماثيل الأوشابتى فقد تناولناها بالوصف فى صفحة ١٥٠ ولعله من الطريف أن نتابع تاريخهـــا فى شىء من التفصيل . فأسلاف هذه التماثيل كانت من النماذج الخشبية التى توضع فى المقابر من الأسرة السادسة حتى نهاية الدولة الوسطى . وتمثل الخدم أثناء عملهم فى خدمة مولاهم مثل الخبازين وصانعى الجعة والجزارين وهم يقطعون ثوراً ، والنساء وهن ينسجن القماش والقوارب يجدف فيها البحارة . ولهذه التماثيل أذرع متصلة وهى جذابة طريفة ، وهناك مجموعة طيبة منها معروضة فى الغرفة المصرية الرابعة من المتحف البريطانى ، أما الهدف من استعمالها فكان امكان حلولها بطريقة سحرية محل الخدم الذين كانوا يقومون على خدمة الميت خلال حياته ويشرفون فى العالم الآخر على

www.ibtesama.com/vb

احتياجاته ، أما دلالة تماثيل الأوشابتى التى شاعت أولا خلال الأسرة الثامنة عشرة فتختلف عن ذلك كثيراً . ذلك لأن المصريين كانوا يعتقدون أن حياة الأبرار فى العالم الآخر ستكون صورة سماوية من حياتهم على الأرض ، وهكذا تصوروا سماء تشبه أرض مصر ، ولما كانت الزراعة أساس الحياة فى مصر ، فإن الأمر يكون كذلك فى العالم الآخر . وهذه الفكرة تبينها اللوحات الممثلة لملكة أوزيريس فى كتاب الموتى وفيها نرى بلاداً تتخللها القنوات كما هى الحال فى مصر ، كما نرى حقول القمح والشعير التى يحصدها الموتى ، وكل هذا لا بأس به بالنسبة للفلاحين كما تصور المصريون ، ولكن الأمر يجب أن يختلف بالنسبة للنبلاء والعظماء حين يكلفهم الآلهة بالعمل فى الحقول والسخرة . . أن مجرد التفكير فى ذلك الأمر كان مدعاة للتقزز لدى جمهرة المتعلمين من المصريين ، كما نستطيع أن ندرك ذلك من النص الذى قدمته على لسان سوبك حوتب فى صفحة ١٠٧ ولذا اخترعت تماثيل الأوشابتى لتكون ضماناً ضد هذا الاحتمال الفظيع .

وليس من المؤكد معرفة معنى كلمة أوشابتى وقد قيل فيها انها قد تكون مشتقة من الفعل « أوشب » بمعنى « أجاب » ومن ثم تعنى « المجيب » أى « ذلك الذى يستجيب لدعوة الميت » . والفصل السادس من كتاب الموتى الذى طالما نراه محفوراً

www.ibtesama.com/vb

أو منقوشاً على صدر التماثيل والذى قدمت ترجمة له فى صفحة ١٥٠ يبين فى وضوح مهام هذه التماثيل ، فهى تحل محل صاحبها حين يصدر له أمر أوزيريس أو أوامر الآلهة الأخرى بالعمل فى الفلاحة من أى نوع . وعلى ذلك فإن الأوشابتى يمثل الميت نفسه فى هيئة المومياء (لوحة ٢٨) ويحمل أدوات الحفر وسلة . أما إذا كان المتوفى امرأة فإنه يكون على شكل الأنثى ، وأما ان كان يخص فرعون فإنه يوضع على رأسه لباس الرأس والصل علامة الملكية .

وتماثيل الأوشابتى للأسرة الثامنة عشرة والنماذج الجيدة للأسرة التاسعة عشرة كانت تصنع من الخشب أو الحجر الجيد النحت . ومن الأمثلة المعروفة أوشابتى كاهنة آمون الموسيقية المصنوع من الحجر الجيرى وكذلك التماثيل الخشبية للموظف حوى (الشكلان فى لوحة ٢٨) . وسرعان ما تفشت صناعة الأوشابتى من القاشانى ونستطيع أن نلمس جمالها ودقتها فى النماذج الزرقاء المزججة للملك سيتى الأول وخاصة رقم ٢٢٨١٨ فى المتحف البريطانى . وفى خلال مدة حكم أسرة الكهنة (الأسرة الحادية والعشرون) كانت هذه التماثيل رديئة الصنع وان غطيت بطبقة عجيبة مزججة ذات لون أزرق داكن حتى لنكاد نظنها مبتلة . وهناك مثلان لها فى نفس اللوحة السابقة صنعا للملك

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٣١)

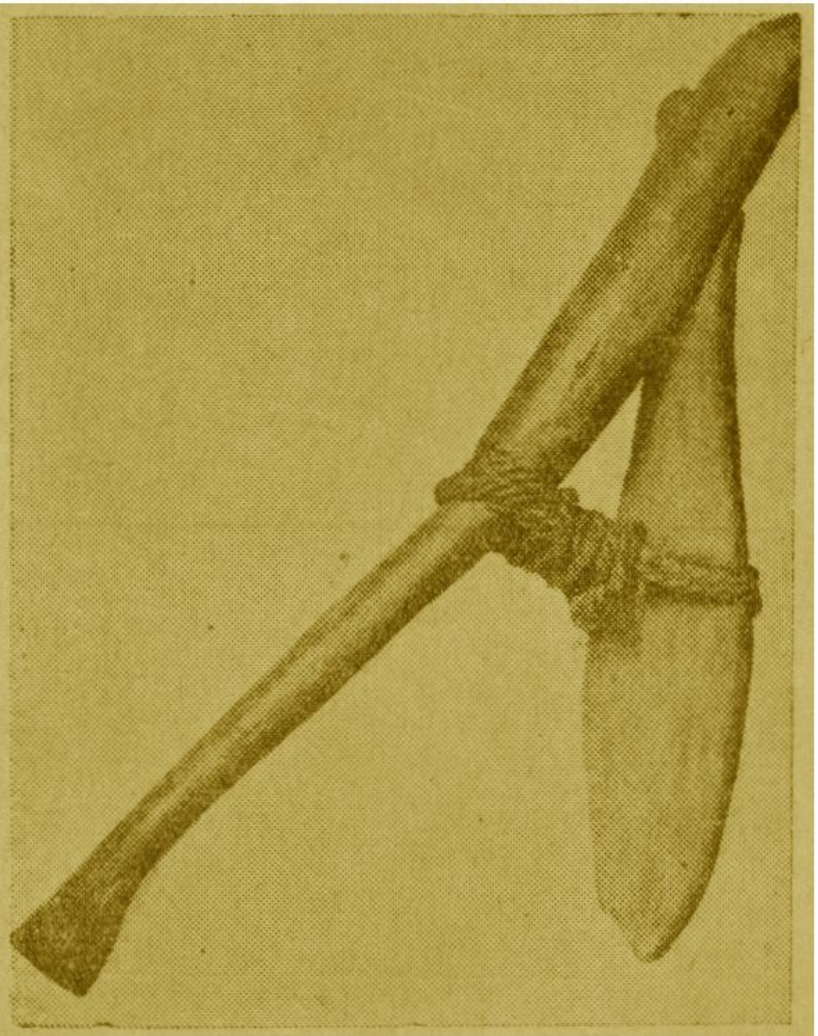

(شكل ١) فأس من الخشب (المتحف البريطاني)

(شكل ٢) منجل من الخشب، أسنانه من الظران (الصوان)
(المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

(لوحة ٣٢)

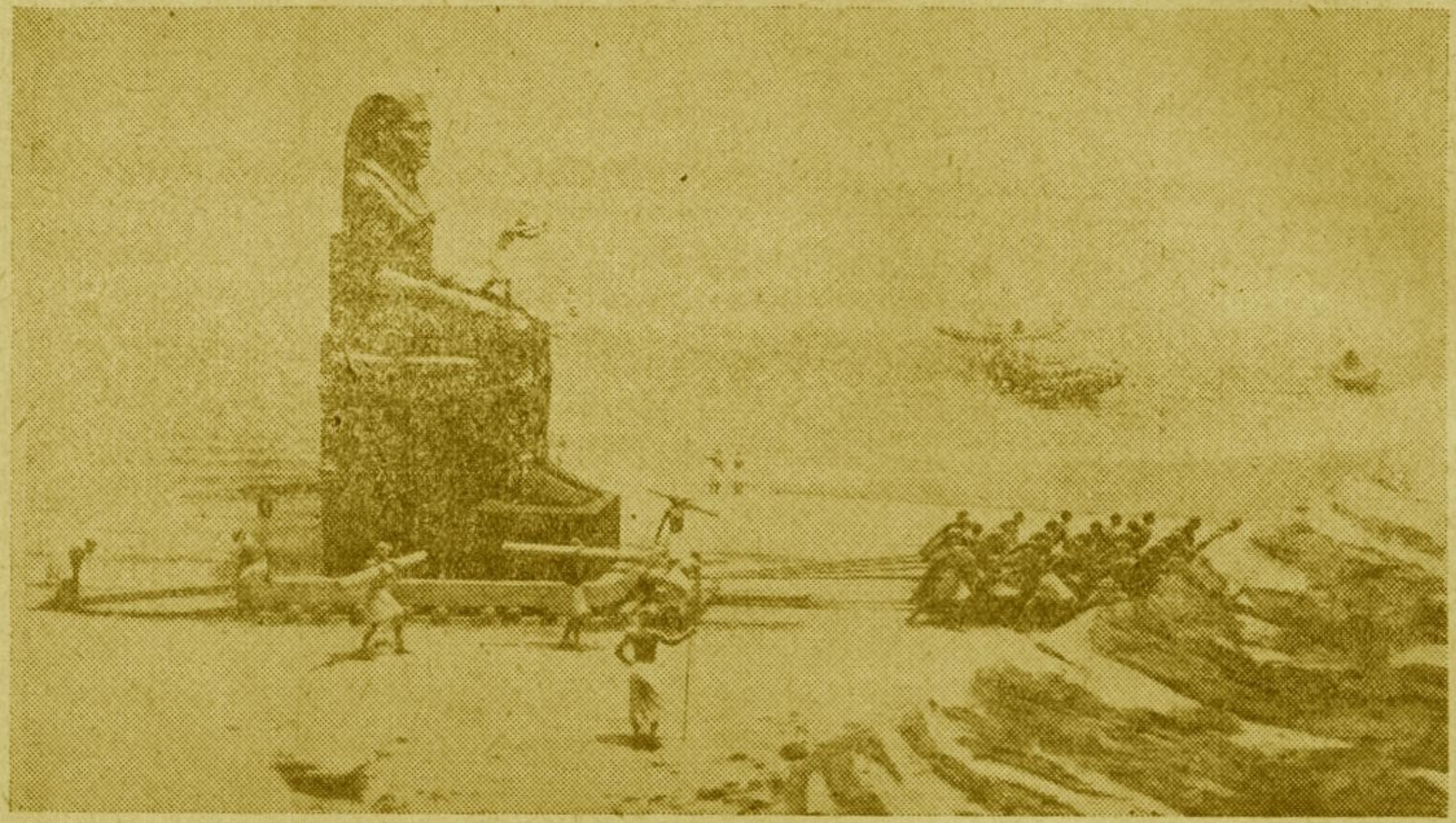

نقل تمثال ضخم فى عصر الدولة الوسطى (عن ديوراما بمتحف العلوم ، فى سوث كنسنجتون)

www.ibtesama.com/vb

« باى نجم » الثانى أحدهما من الطراز المعتاد يرى فيه الملك فى هيئة المومياء ، والآخر من طراز آخر يمثله فى صورة الأحياء مزوداً بالسوط حتى يشرف على نظام السخرة . وهذا الطراز الأخير شائع جداً فى هذه الفترة . وقد صنعت فى الأسرة السادسة والعشرين أعداد كبيرة من تماثيل الأوشابتى من القاشانى وهى من طراز يختلف تماما عن الطراز الشائع فى العصور الأخرى إذ هى مزودة بقاعدة فى أسفل الناحية الخلفية ، أما التزجيج فلونه أخضر تفاحى وخير أمثلته يعد انتاجاً فنياً جداً كما فى تمثال « باخاعاس » المصور فى نفس اللوحة .

ورغم أن التزجيج عرف منذ عصر ما قبل التاريخ فإن استعمال الزجاج لم يصبح أمراً شائعاً حتى الأسرة الثامنة عشرة حين نجد أوانى جميلة من الزجاج المتعدد الألوان (كالمصورة فى لوحة ١٦ شكل ١) ولما كان فن نفخ الزجاج لم يعرف إلا فى عصور الرومان فإن هذه الأوانى كانت تصنع بطريقة شاقة فكان الزجاج يسحب أولاً على هيئة عصى من ألوان مختلفة (عثرنا على أمثلة منها فى موقع مصنع زجاج قديم فى تل العمارنة) ثم يشكل قالب (حشو) من مادة رملية متماسكة وتسخن بعد ذلك العصى الزجاجية ثم تلف حوله حتى تمتزج معا .

www.ibtesama.com/vb

ويمكن الحصول على النموذج المطلوب بسحب الأشرطة مختلفة الألوان وهى فى حالة الانصهار بواسطة أداة معدنية تحرك إلى أعلى وأسفل . وحين يبرد الزجاج يمكن تكسير القالب الداخلى (الحشو) وهكذا ينتهى صنع الإناء . وحبات الخرز الزجاجية المتعددة الألوان من هذا العصر جذابة جداً كذلك وهى تشبه حبات الخرز الزجاجية الفينيسية فى الوقت الحاضر .

وبلغت مهارة المصريين حداً فائقاً فى قطع الأحجار شبه الكريمة سواء أكانت قطعاً منفصلة أم بقصد استخدامها فى التطعيم. أما الأحجار الكريمة مثل الماس أو اللؤلؤ فلم يعرفها المصريون وكان أكثر الأحجار شيوعاً واستعمالا هى الأمثيست والعقيق واليشب والزمرد واللازورد والفيروز والسماق (بورفيرى) والسبج (الاوبسديان) وغيرها .

وأجمل حبات العقيق ترجع إلى الدولة القديمة إذ للحجر مظهر سحابى . وفى الدولة الوسطى يسترعى نظرنا جمال العقود المصنوعة من حبات الأمثيست ومن أجملها ما تحمل رقم ٣٤٨٦٧ بالمتحف البريطانى المصنوعة من حبات مستديرة من الأميثيست والذهب على التوالى ومن عين حوريس من الذهب تتوسط العقد وبعض صور المقابر تمثل صانعى الحلى أثناء قيامهم بعملهم فنجد من بينهم أحياناً من يعملون فى ثقب أوصقل حبات الخرز وكان المثقب يستعمل فى الحالة الأولى .

www.ibtesama.com/vb

ومن أهم ما كشف عنه السير فلندرز بترى وبرنتون حلى مصرية قديمة ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة عثر عليها فى مقبرة الأميرة « سات حاتحور عنت » بالقرب من هرم سنوسرت الثانى فى اللاهون ومن بينها تاج ملكى وصدريتان رائعتان بلغت إحداهما القمة فى صناعة التطعيم بالأحجار فى مصر القديمة ويمثل الرسم المبين عليها الخانة الملكية للملك سنوسرت الثانى « خع خبر رع » فوق رمز ملايين السنين ثم رجل راكع يمسك بسعف نخل عليه علامات حز . وعلى جانبى الخانة الملكية صل تدلى منه علامة عنخ أو رمز الحياة وخلف هذه المجموعة صقرا حوريس بحجم القطعة كلها يضعان قرص الشمس فوق الرأس . ومعنى هذا الرسم إذن أمنية يقصد بها أن يمنح حوريس إلى سنوسرت عمراً يمتد إلى الأبد . وأما قاعدة الصدرية فمن الذهب ثبتت اليه فروع ذهبية رفيعة لتكون الأقسام اللازمة لتثبيت التطعيم المكون من ٢٧٢ قطعة منها ١٩٥ من الفيروز و١٤٠ من اللازورد و٣٥ من العقيق واثنتان من العقيق الأحمر . وليس هذا هو كل شىء بل أن القاعدة حفرت بتفصيلات كاملة بحيث يستطاع رؤية القطعة فى جمالها فى الناحيتين وليس يستطيع صانع حلى قديم أو محدث [1] أن يقوم بصنع مثيل لها فى

(١) يمكن مشاهدة صورة ملونة لها بوصفها الكامل مع غيرها من الحلى فى كتاب Lahun I, The Treasure by Guy Brunton.

www.ibtesama.com/vb

حالتها الراهنة وهى معلقة فى قلادة من حبات الأميثيست الكروية أما من ناحية الروعة الخالصة فان محتويات مقبرة توت عنخ أمون التى أذهلت العالم الحديث فى السنين الأخيرة تكاد تكون منفردة منقطعة النظير ورغم أن الحلى من تصميم أثقل من نظيره فى الدولة الوسطى ولا يتفق مع الذوق المبسط للعصر الحديث فان المجموعة كلها رمز للمهارة المصرية فى هذه الناحية وأهم ما بها التابوت الداخلى المصنوع من الذهب فى سمك يتراوح ما بين ٢½ و ٣½ ملليمتر وقد صنع بحيث يمثل الملك فى صورة أوزيريس وعلى رأسه غطاء الرأس الملكى من القماش المخطط الذى يبرز منه رمز الملك : العقاب والصل . وفى يديه المعقودتين على صدره يمسك بعصا الراعى والسوط رمزى السلطان الملكى . والتابوت مغطى بنقش ريشى ونقش على الجزء السفلى إيزيس ونفتيس مجنحتين . ولعل أعجب ما فيه هو الزخرفة المضافة بالميناء ذات الفواصل وهى تمثل الإلهتين نخبت وأوتو فى هيئة عقابين يلفان الملك بأجنحتهما المنشورة وهما مطعمتان بالأحجار شبه الكريمة . والتابوت قطعة من الفن الرائع الذى يمثل دقة الصناعة عند الصائغ وصانع الحلى وهو أثر يجمع بين طياته خلاصة لكل مجد مصر القديمة [1] .

---

(١) فى لوحة ٣ زوج من الدمالج المطعمة برسوم وتناولناها بالوصف فى صفحة ٣٦

www.ibtesama.com/vb

الفصل التاسع

روح مصر

عرضت فى المقدمة ملخصاً قصيراً لتاريخ مصر يستطيع القارئ أن يعود إليه من وقت لآخر حين يطالع أجزاء هذا الكتاب ، وأنا لم أحاول فى الفصل المذكور أن أعرض أكثر من ملخص عادى لأهم الأحداث التاريخية . وقد حاولنا بعدئذ أن نتعلم شيئاً عن الحياة فى مصر القديمة ، وأن نرى مجد الفراعنة وعادات رعاياهم ، وأن نفهم عبادة الآلهة والاستعدادات للحياة فيما وراء المقبرة . وفى هذا الفصل الأخير أود أن أضع أمام القارئ فكرة عامة عن الملكية والدولة خلال الحقب الثلاث العظيمة من الحضارة المصرية .

منذ أكثر من قرن مضى كان ماضى مصر كتاباً مغلقاً . ولم يكن يستطيع أحد أن يقرأ كلمة من النقوش الموجودة على الآثار المصرية ، ولم تكن الحفائر قد بدأت بعد . بل كان كل ما نعرفه عن التاريخ المصرى والدين والعادات نتيجة ما كتبه الأقدمون

www.ibtesama.com/vb

من الكتاب أمثال هيرودوت وديودور وسترابون ممن زاروا مصر فى فترة انحلالها ولم يروا سوى نهاية حضارتها ، بل وأكثر من ذلك لم يكن لديهم من المعدات ما يكفى للقيام بعملهم ، إذ كانوا يجهلون قراءة المستندات القديمة للبلاد فاعتمدوا على أحاديث تبادلوها مع المواطنين . وقد داروا فى أنحاء البلاد كسياح وسجلوا ما رأوا وما سمعوا ، ومن هنا كانت المعلومات التى توصلوا إلى جمعها — رغم طرافتها وأهميتها الكبرى بالنسبة لنا — لا تستطيع أن تجعلهم يكونون صورة حقيقية عن مصر القديمة فقد كان المصريون مثلا بالنسبة لهم « أكثر الناس تديناً » ، إذ أن المعابد الضخمة وجماهير الكهنة المشغولين دائماً فى الأعمال المقدسة والعقيدة التى سادت عن الحياة فى العالم الآخر والاستعدادات الضخمة للمقبرة . . كل هذه الأشياء دفعت هؤلاء الكتاب إلى أن يعتقدوا أن المصريين قوم فيهم كآبة ، لأن أفكارهم تتركز فى أسرار الوجود العميقة غير مكترثين بالشئون الدنيوية .

وقد ظلت هذه الفكرة سائدة خلال العصر المسيحى ، إذ ملأت أسرار مصر عقول الناس بالرهبة والعجب ، وظلت هى سراً خافياً بالنسبة لهم . . . ولكن بعد أبحاث شاقة قام بها علماء مختلفون ودراسات قام بها الشاب الإنجليزى توماس يونج تتصل باسم بطليوس فى الكتابة الهيروغليفية من نقوش حجر رشيد

www.ibtesama.com/vb

تبعه إيضاح كامل بواسطة شامبليون فى كتابه المشهور Lettre à M. Dacier الذى نشر عام ١٨٢٢ مبيناً فيه طريقة ومشكلة الكتابة الهيروغليفية ، وهو الأمر الذى كان يظن دهراً طويلا أنه لا يستطاع الوصول إليه أمكن نهائياً حل المشكلة . ومنذ ذلك اليوم لم يعد الأمر سوى مسألة زمن تترجم فيه المستندات وتدرس حتى يستطيع العالم أن يحصل على بيانات تساعد على دراسة مصر . وقد تبع معرفة الهيروغليفية القيام بحفائر منتظمة ، ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ازداد ثراء متاحف العالم بالقطع المصرية ذات الأهمية الأثرية والفنية . وتعرض لنا اليوم مادة ضخمة نستطيع عن طريقها — أن تذرعنا بالصبر — أن نصل إلى فهم واضح للماضى .

وأول معالم التاريخ المصرى هى مجموعة الآثار التى خلفتها الأسرة الرابعة ، وهى أهرام الجيزة وأبو الهول مع ما يحيط بها من مقابر . وكان يظن منذ بضع سنوات أن تطور الحضارة من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة تطور مفاجئ سريع ، ولكن الكشوف الحديثة للمبانى المحيطة بهرم زوسر فى سقارة أثبتت أن الفن والعمارة فى عهد الأسرة الثالثة قد وصلا إلى قمة عالية ، ورغم ذلك فإن آثار الجيزة لا تزال تحدد الذروة التى استطاعت

www.ibtesama.com/vb

الحضارة أن تصل إليها فى تلك الفترة البعيدة والتى بدأ الاضمحلال فى أعقابها .

وترتفع أهرام خرفو وخع أف رع ومنكاورع بقممها إلى السماء فوق صخور الهضبة على الضفة الغربية للنيل عند حافة الصحراء ، وأكبرها هرم خوفو الذى كان المصريون يسمونه : « أخت خوفو » أى أفق خوفو ، وهو أعجبها بناء . وبالقرب منه هرم خع أف رع المسمى « ور خع أف رع » أى خع أف رع عظيم وهو يظهر للوهلة الأولى كإنما هو أكثر ارتفاعاً من سابقه ، لأن المستوى الذى قام عليه أعلى من مستوى هرم خوفو . أما الهرم الثالث المسمى « من كاورع مقدس » ، فهو أصغر من سابقيه ، وكان يوجد أمام الوجه الشرقى لكل هرم فى العصور القديمة معبد يقوم فيه كهنة يعنون بإحياء طقوس الخدمة التى تتضمن حمل الطعام والشراب والقوى السحرية إلى الفرعون الذى يرقد فى أعماق هرمه . ومن كل معبد يهبط طريق إلى مبنى تصل إليه القوارب فى الفيضان ، وأكثر هذه المبانى حفظاً حتى اليوم الطريق الخاص بهرم خع أف رع ومبنى الدخول فى نهايته المعروف عادة باسم « معبد أبى الهول » ، لأن أبا الهول يقوم إلى جانبه ، وهو أثر عجيب يعدل فى طرافته الأهرام نفسها وتحيط به الأسرار منذ آلاف السنين . وأبو الهول أسد برأس

www.ibtesama.com/vb

لملك مصرى ، وكان يفترض أنه يمثل فرعون . وكان يمثل كذلك الإله حوريس فى هيئة الأسد ، وقد اختلطت الفكرتان . . ويغلب على الظن أن أبا الهول بالجيزة نحت خلال حكم الملك خع أف رع ، وقصد بوجهه أن يجىء صورة تمثل ذلك الملك . وكانت الفكرة فى ذلك — شأنها فى هذا شأن الأهرام — أن يكون بالغ الضخامة لدرجة أن شعبة من الصخر الطبيعى نحتت بحيث تمثل الشكل المطلوب .

وهكذا تظل أهرام الجيزة ، وهى أصلا إحدى عجائب العالم السبع أشد آثار الماضى تأثيراً فى النفس ، إذ أن السائح لا يلبث أن تأسره هذه الأبنية الضخمة سواء شهدها فى ضوء النهار الساطع أو جال حولها فى الليل حين يسبغ عليها القمر المكتمل بريقاً فضياً أو تطلع نحوها من قمة تلال المقطم عند غروب الشمس حين تظهر قرمزية فى بحر من الذهب .

وقد يرى بعض الناس فى الأهرام رمزاً للأنانية جهد فى إقامته الجماهير بعرق الجبين تمجيداً للملوك . . وقد ظل هذا الرأى سائداً لآلاف السنين منذ زار هيرودوت مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، كما لا يزال يعتنقه الكثيرون حتى اليوم . . ولكن الفكرة ليست عادلة تماماً ، ذلك لأن الأهرام هى الثمرة المنطقية للعقيدة المصرية فى الملك .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٣

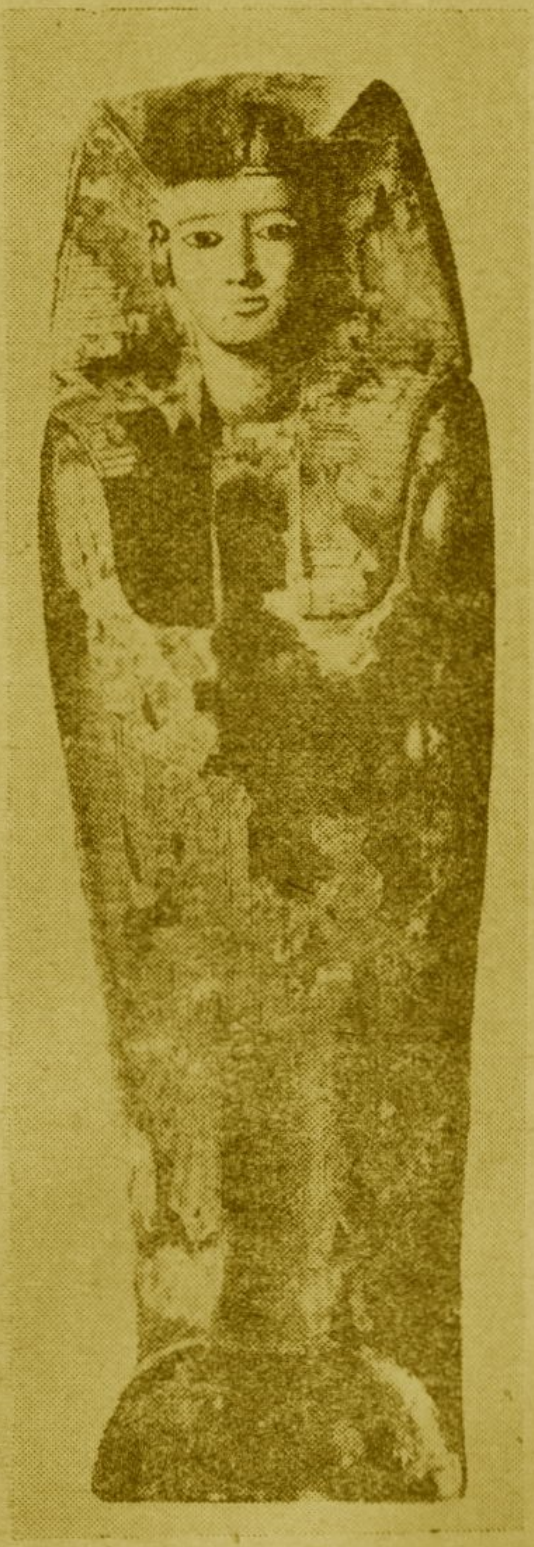

تابوت خشبي مغطى بالذهب للملك «أنتف» الخامس، الأسرة (١٧) (المتحف البريطاني)

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٤

(شكل ١)
منظر للصحراء بالعمارنة ، فى اتجاه الجنوب

(شكل ٢
العمل بالحفائر التى تقوم بها « جمعية الكشف بمصر » فى العمارنة

www.ibtesama.com/vb

وقد ذكرت فى مقدمة هذا الكتاب أنه خلال الفترة الأولى من الدولة القديمة كان النبلاء العظام يعيشون فى البلاط ويحكم مقاطعاتهم مندوبون مفوضون يديرون شئونها من قبل فرعون ، وبمرور الزمن ازداد النبلاء قوة واستطاعوا أن يسيطروا على سير الأمور فى مقاطعاتهم المحلية مباشرة . ورغم أن سلطان فرعون ظل مطلقاً من الناحية النظرية ، إلا أن كيانه كان يعتمد أكثر ما يعتمد على ولاء النبلاء الذين يكونون بلاطه ، وحين ازداد نفوذ النبلاء قام نظام إقطاعى كان من نتيجته أن أصبح لسادة المقاطعات أثرهم على العرش . وفى خلال القسم الأول من الدولة القديمة استطاع الملوك أن يبلغوا من القوة حداً يمكنهم من الوقوف فى وجه المؤثرات المضادة وتمثل أهرام الجيزة ذروة سلطان فرعون الشخصى .

وحول الأهرام ترى مقابر « مصاطب » النبلاء مرتبة فى شوارع كمدينة للموتى . لقد كان شاغلوها يخدمون فرعون فى حياته وهم الآن لايزالون يمثلون بلاطه فيما وراء القبر . وأود لو أن القارىء احتفظ فى ذهنه بدلالة هذه المجموعة الممثلة فى الهرم القائم الشامخ مرتفعاً ومن حوله المقابر فهى صورة رمزية للدولة المصرية خلال تلك الفترة الأولى العظمى من حضارتها ... القبر الضخم لفرعون ومقابر رجال بلاطه ، وتفرد الملك فى

www.ibtesama.com/vb

سيادته الخارقة للطبيعة والبلاط يسنده ويدعم مركزه وإن كان يستطيع فى أى وقت أن يكون مصدر تهديد وأن نحن أردنا أن نلقى نظرة متفحصة نحو فراعنة الدولة القديمة فإن تمثال خع آف رع المصنوع من الديوريت والموجود بالمتحف المصرى يستطيع أن يقدم لنا الكثير . . . أنه يمثل الملك على عرشه فى الصورة التقليدية ويده اليمنى على ركبته ولباس الرأس الملكى من القماش فوق رأسه وقد نحت بأعلى ظهر العرش صقر حوريس يحمى رأسه (الملك) بجناحيه . . ولعل أكثر ما يلفت النظر هو الوقار المطلق إذ أن التعبير الذى يقدمه لنا هذا التمثال الحجرى ينم عن سيادة واطمئنان ملكى كامل . . . أننى أريد أن أؤكد هذه الصفة « اطمئنان » ذلك لأنه رغم أن التمثال يتحدث عن سلطان خع اف رع غير المحدود فإن هذه القوة هنا تمثل فى هدوء مطلق . فخع اف رع ليس بشرا بل هو إلهى مقدس يصحب الآلهة وهو غير قابل للتحول أو الفناء وهو حين يجلس هناك على عرشه فى عظمة تظلله أجنحة المعبود الحارس للملكية تظهر نظرته المهيبة لنا كأنما تخترق صحراء الجيزة إلى مدينة الموتى الخالدة .

ولكن ليس يكفى أن نقول أن المصريين قنعوا بالسماح لسلسلة من الملوك أن يحكموهم ذلك لأن المعتقدات الدينية الرئيسية كانت مرتبطة بالملكية . وكان فرعون بوصفه ابن إله

www.ibtesama.com/vb

الشمس وصورته الجسدية يعتبر أكبر الوسطاء أثراً بين الناس والآلهة وهو الكاهن الأكبر بحكم مركزه وكان يقوم من الناحية النظرية بأداء كل الخدمات الدينية فى كل المعابد وإن كان فى واقع الأمر يترك لمندوبيه من الكهنة المحليين القيام بهذه الأعمال . ومع ذلك فإن هناك احتفالات دينية هامة كثيرة كان من الضرورى أن يقوم بها هو شخصيا وخاصة ما يتصل منها بالتقدم الزراعى فى البلاد . وكانت حياة الملك مرتبطة ارتباطا وثيقاً برعاياه وبزراعة المحصولات التى يعتمدون عليها فى حياتهم . وكانت مصلحته هى مصلحة الدولة وبعد موته — حتى حين يخلفه فرعون آخر — كانت سلامة الملك الميت حيوية بالنسبة لرعاياه فكان يجب أن يحنط جسده ويدفن حيث لا تمتد له يد مدنسة تنتهك حرمته فى هرمه الخالد ويقوم على خدمته هيئة كهنوت دائمة مخصصة لاحياء هذه الطقوس السرية التى يأملون أن تحصل روحه على الخلود كنتيجة لها . وكان تقدم البشر يرتكز على الملك الحى والملك الميت.

وبانهيار السلطة المركزية فى نهاية الأسرة السادسة وظهور الفوضى على أثر ذلك تلاشت ثقافة الدولة القديمة . فحارب البارونات بعضهم البعض وحدثت على الأغلب غزوة أسيوية من نوع ما وانهارت مؤقتا الحضارة المصرية . فأهمل شأن الأهرام والمعابد الخاصة بعظماء الملوك الغابرين وطرد كهنتها وخيم

www.ibtesama.com/vb

جو من الاضمحلال والخراب فوق آثار الدولة المنهارة . وليس من عجب أن تعكس أداب تلك الفترة نظرة التشاؤم وذلك حين أدرك الناس أن النظام الوطيد للامور لم يكن وطيدا فى واقع الأمر وأن مصر كانت فى حاجة ماسة إلى مخلص . . وحتى المعتقدات القديمة التى تتصل بالحياة بعد الموت تأثرت تأثراً واضحاً ولم يعد المرء يحس ضمانا لروحه أو أمنا لنفسه بعد أن رأى القبور مخربة والشعائر الجنزية معطلة .

وترجع لهذه الفترة وثيقة من الأدب المصرى سماها علماء الآثار « صراع بين المنتحر ونفسه » وهى تكشف لنا عن خبيئة رجل قاسى الآلام حتى أفعمت نفسه وتاق إلى التخلص من حياته ولكن روحه تغريه على العدول عن ذلك . والنص عسير الفهم ولكن اعتراض الروح ومحاولتها صرفه عن الانتحار يكاد يتركز فى أن صاحبها فقير وأن طقوس الدفن والقرابين سوف يهمل أمرها لأنه .. حتى مقابر الملوك مهملة اليوم فتقول روحه « أولئك الذين شادوا مبانيهم بالجرانيت وصاغوا قاعة فى الهرم وتوصلوا إلى أحسن ما يمكن الوصول اليه .. حين أصبح البناة آلهة (أى الملوك موتى) هاهى ذى موائد قرابينهم فارغة وهم كالمتعبين الذين يموتون على السدود بغير خلف .. جرفهم الطوفان وحرقتهم حرارة الشمس

www.ibtesama.com/vb

وأسماك ضفة النهر تتحدث إليهم »[١] وأنه لخير أن يطرح التفكير في العالم الآخر جانبا وأن يستمتع بهذه الحياة .

وهناك موضوعات أخرى من نفس العصر تصف الارتباك الذى حل بالبلاد « حين نال النساء العقم وليس هناك حمل . ولم يعد خنوم[٢] يشكل الرجال بسبب ما آل إليه أمر البلاد « حين » ماتت الابتسامة على الشفاة وسرى الأسى فى الأرض كلها مصحوبا بالعويل » آه لو وجد « الربان » ليقود الامور ويوجهها وجهتها السليمة « أين هو اليوم ؟ أهو نائم ؟ أنظر ! أن قوته لا تبين[٣] »

وأخيراً جاء الخلاص بانتصار بيت انتف الذى كان يحكم أقليم أرمنت إلى جنوب طيبة وتوحدت مصر مرة أخرى تحت قيادة الأسرة الحادية عشرة وبدأت الحقبة العظمى الثانية للحضارة المصرية وهى المعروفة بالدولة الوسطى .

وجابهت الأسرة الجديدة من الملوك صعوبات شتى من كل جانب لتقر سلطانا مركزيا قويا وهى نفس الصعوبات التى لقيها أسلافهم فى الدولة القديمة .. ألا وهى القوة الخطرة للسادة الأقطاعيين . ذلك لأنه فى خلال فترة الاضطراب التى أعقبت

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

(٢) الإله الذى يشكل أجساد الناس على عجلة الفخار .

(٣) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

انهيار الدولة القديمة أصبح سلطان هؤلاء النبلاء غير محدود وليس لنا أن نتصور أن سيادة الحكام الجدد القادمين من الجنوب كان من الممكن أن تؤمن أو تباشر دون احتكاك مستمر بالحكام المحليين المتعددين . ورغم ذلك فإن الفراعنة أخذوا يكسرون من شوكتهم حتى استطاع سنوسرت الثالث أخيراً فى الأسرة الثانية عشرة أن يقضى على نفوذهم .

خلف آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة رجل يدعى أمنمحات هو مؤسس الأسرة الثانية عشرة التى وصلت الحضارة المصرية للدولة الوسطى ذروتها فى عهدها . وكان عصراً عظيما لتقدم الفن وربما كان أزهى عصور الأدب عامة ويطلق علماء الآثار على لغة هذه الفترة « الكلاسيكية » التى تعقد المقارنه بينها وبين اللغة المصرية القديمة والمتأخرة وهما السابقة واللاحقة لها . وأن نحن استطعنا أن نبلور فى أذهاننا الأفكار التى يقدمها هذا العصر فلنفعل كما فعلنا بالنسبة للدولة القديمة ولنطالع بعض التماثيل . . . ولعل أروعها هنا وأكثرها إشعاعاً هى تماثيل الملوك أنفسهم . . كان سنوسرت الثالث أشهر فراعين الأسرة الثانية عشرة وكذا إبنه أمنمحات الثالث ولوحتا ٣٦ و ٣٧ من هذا الكتاب بهما صورتان لتمثال لسنوسرت المحفوظ بالمتحف البريطانى ولرأس ربما كان لأمنمحات مأخوذ من مجموعة ماك جرجور ويحسن

www.ibtesama.com/vb

القارىء صنعاً لو قام بدراستهما عن كثب وقارن بينهما وبين تمثال خع اف رع .

ما أبعد الفارق بين الاثنين ! أن المعبود الجليل المطمئن الذى يتنفس فى أحجار تمثال خع اف رع نرى بدلا منه فى صورة سنوسرت وأمنمحات طابع التجربة البشرية . هؤلاء الفراعنة بشر . . . يدركون القوة التى تحت أيديهم وقد عقدوا العزم على استغلالها إلى أبعد الحدود . . أن وجه سنوسرت فيه وحشية وفيه عنف وفمه يوحى بالإرادة الحديدية والعزم الذى لا ينثنى . . أن هنا جندياً عظيما أخضع النوبة حيث استمرت عبادته مدى عدة قرون كإله . . ورجل الدولة الذى استطاع أخيراً أن يسحق النبلاء

أما صورة أمنمحات الثالث من ناحية أخرى المصنوعة من الأوبسيديان وهو أصلب المواد فتمثل وجهاً أشد كآبة مليئاً بالقوة يشير إلى عقل مستنير ولكنه مع ذلك وجه رجل أدرك أن « الكل باطل » . أما عيناه الثقيلتان المليئتان بالاحتقار فترجع بنا إلى سلفه أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الذى تنسب اليه القطعة الأدبية المعروفة تحت إسم « تعاليم أمنمحات » والتى يظهر منها أنه بعد حياة كرست لإقرار الأمن والتقدم فى مصر هاجم الملك ذات ليلة فى غرفة نومه جماعة من المتآمرين ضد العرش وفشلت

www.ibtesama.com/vb

المؤآمرة وعول أمنمحات على إشراك إبنه سنوسرت الأول فى حكم البلاد ثم الانسحاب من الحياة السياسية ووجه إلى إبنه الحديث التالى الذى يقطر أسى ومرارة :

« أنت يا من صرت إلهاً (أصبحت ملكا) أستمع إلى ما سأقوله لك حتى تغدو ملكا على البلاد وحاكما على ضفتى النهر وحتى تصنع خيراً مما يؤمل فيك . أحترس من أعوانك .. لا تقربهم لك ولا تبق منفرداً . . لا تأمن جانب أخيك ولا تعرف لنفسك صديقاً ولا يكن لك مقربون . . أن ذلك لا جدوى منه »[1] .

« لا تعرف لنفسك صديقاً » أفى الاستطاعة التعبير فى وضوح أكثر من ذلك عن القاعدة التى استنها أولئك الذين كانوا يسوسون الأمور إذ ذاك ؟ ألم تثبت صحة ذلك الرأى مرات لا تحصى خلال تاريخ البشرية ؟ لقد كاد إهمال أمنمحات فى العمل بها يودى به « لأن من طعم منى احتقرنى ومن مددت له يدى أثار المخاوف » ولم تكن تعنى شيئاً الحكومة القوية التى جهد فى بنائها والتقدم الذى أمن به مصر كنتيجة لإدارته الحازمة « أن صورى بين الأحياء وأنصبتى فى التقدمات بين الرجال .. ومع ذلك تآمروا على » وحين أوى فرعون إلى غرفة نومه ليلا هاجموه فجأة « حدث الشر الكريه حين لم تكن إلى جانبى » .

---

(١) هذه الفقرات وكذا الفقرات التالية من ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٥

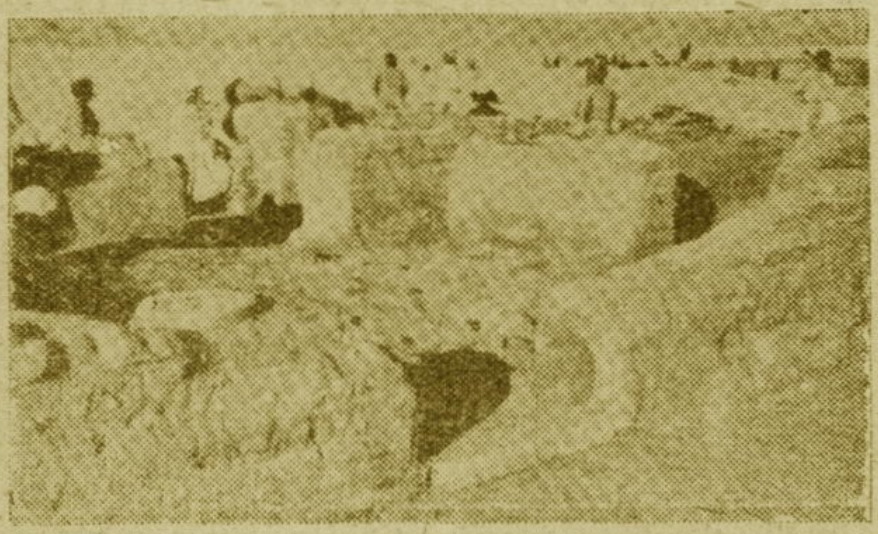

(شكل ١)
الغرفة الوسطى الرئيسية بأحد منازل العمارنة

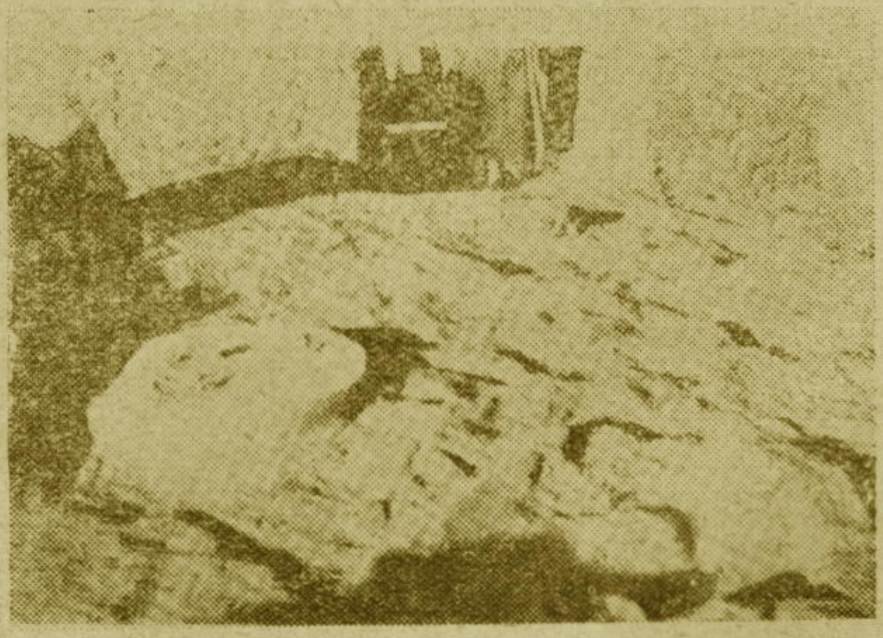

(شكل ٢)
منظر أوضح (عن قرب) لأرضية الغرفة المبينة أعلاه يرى فيه آثار ملاط الطين الملون الذى كان يغطى عوارض السقف الخشبية موجودة فى الأماكن الأصلية التى سقطت فيها .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٦

تمثال من الجرانيت للملك «سنوسرت» الثالث ، أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة
«المتحف البريطانى»

www.ibtesama.com/vb

ورغم أن المحاولة أخفقت إلا أن أمنمحات آمن بأن حاكما شاباً قوياً يجب أن يسيطر على الموقف ولذا فانه تنازل عن سلطاته لإبنه سنوسرت . . ولقد كان يحس خيبة الأمل فى عصره غيره من الناس الذين ليسوا بملوك ولكن أمنمحات أحس بها إحساساً كاملا « لقد عملت فى البدء وستحكم أنت فى النهاية »

ولنرجع إلى تماثيل الأسرة الثانية عشرة التى نستطيع بها أن نفهم أكثر من ذى قبل العصر الذى تمثله . أن مصر الآن دولة تربط أجزاءها إرادة قوية لرجل إله . أن الفكرة الخاصة بمعبود هادىء مستقر على رأس شئون البلاد لم تعد مقبولة ذلك لأن فرعون استطاع أن يحكم الدولة بعد صراع عنيف وتجارب مريرة وسيفعل ذلك حتى النهاية وكأنما يحدثنا تمثال الأوبسيديان لأمنمحات الثالث قائلا « أنا الملك وأنا الإله . أطيعونى وإلا قضيت عليكم » .

وبعد أن سقطت الدولة الوسطى وتحطمت وانتقلت سياسة الأمور فى مصر مدى فترة طويلة إلى الغزاة الأجانب المعروفين بالهكسوس طرد هؤلاء أخيراً واستعاد السلطان والنظام القديم أمراء طيبة . . وقد جاءت بمولد الصراع ضد الهكسوس الساعة الكبرى فى التاريخ المصرى .

www.ibtesama.com/vb

لقد تناولت بالوصف فى المقدمة أشهر أحداث الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين التى قامت خلالها الامبراطورية الأولى والثانية ولدينا تفصيلات عن أحداث هذه الفترة أكثر مما لدينا عن غيرها فالوثائق المكتوبة كثيرة نسبياً ، والتماثيل وصور الملوك والملكات وعظماء الرجال وافرة . أن فرعون الآن صاحب صولة لا فى مصر وحدها بل فى العالم الشرقى . أن جزية الشعوب تتدفق على خزائنه ، وملوك البلاد الأجنبية وأمراؤها يقدمون له الولاء ويلتمسون رضاءه . أنه لم يعد يعنيه الكفاح فى الداخل بل اخضاع الأقاليم خارج حدوده .

ولقد حدثت تغيرات ملموسة فى الأدب والفن فى ذلك العصر . . أما العقيدة فى فرعون كمعبود عال كما يظهر نفسه فى تمثال خع اف رع من الدولة القديمة ، فأمر لم يعد بالصورة التى نعرفها ، ولكن الملك كما يظهر للمصريين فى الدولة الحديثة نراه أقرب لهذه العقيدة من أى واحد من الملوك الذين كانوا يحملون اسم امنمحات أو سنوسرت . ورغم أن مجال نشاطه كان أوسع من أسلافه فى الدولة القديمة إلا أن الحياة التى كان يقضيها فى الحملات الخارجية والخرافة عن الإله المطمئن تبدأ مرة أخرى تسيطر على النفوس ففرعون يكسب المعركة تلو المعركة ويخضع المدينة تلو المدينة ، والمحبوب من الآلهة الذين يمهدون له السبيل

www.ibtesama.com/vb

يسير من مجد إلى مجد . . وحين تسوء الأمور أحياناً فإن الوهم يظل قائماً . . والأمر يستوى لدينا بالنسبة للصورة المثالية لفرعون التى تقدمها لنا الآثار سواء قنع الملك منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة بامبراطورية أسيوية ليست سوى جزء من الامبراطورية السابقة أو تطلب الأمر حملات متصلة منذ منتصف الأسرة التاسعة عشرة لصد العدوان الخارجى عن مصر نفسها . ويتعاون الفن والأدب على أن يضفى على الملك صفات تصوره كأنما هو نفس المعبود المطمئن القوى الذى لا يقهر ، أما الواقعية التى كنا نراها فى الدولة الوسطى والتى لم تكن تتردد فى تسليط ضوء فاحص على السياسة والدين فقد انقضى أمرها .

وليس من شك أنه طرأ تغيير كبير على مركز فرعون فى الدولة الحديثة فى مصر نفسها ، إذ اختفى البارونات الثائرون فى العصور الماضية وأشرف على إدارة الشئون فى البلاد موظفون يعينهم الملك وأخذت الهوة بين الفرعون ورعاياه تتسع اتساعاً واضحا . كما ان الصورة الإلهية للدولة المصرية التى ظلت دائماً من الأمور المميزة فى مصر أخذت تزداد وضوحاً حتى أخذ فرعون يتحول شيئاً فشيئاً إلى أداة فى يد كهنة آمون رع .

ومن المؤكد كذلك أن هذه العقيدة فى الملكية وصلت ذروتها فى عهد رعمسيس الثانى وهو سيزوستريس اليونان الأسطورى .

www.ibtesama.com/vb

وقلما نجد معبداً فى مصر لا يحمل اسمه وفى كل ناحية نرى التماثيل الضخمة له تطل علينا . وقد اعتاد علماء الآثار المحدثون أن يسخروا من رعمسيس وأن يصوروه « كشخص أجوف » استطاع عن طريق الاعلان عن نفسه أن يفرض شخصه وأعماله على تاريخ مصر بحرمان أسلافه العظام فى الأسرة الثامنة عشرة . وكان شيوع الرأى وتكراره فى الكتب والمقالات والمحاضرات مما أدى إلى احتقار الدارسين لمصر القديمة لرعمسيس وأعماله . . وانى أعتقد أن هذا الرأى ليس ظالما فحسب بل أراد باطلا كذلك وانى أدعو القارىء إلى الاستماع فى أناة إلى وجهة نظر أخرى عن رعمسيس .

اعتلى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى وسر ماع رع ستب إن رع ابن رع رعمسو المحبوب بن آمون العرش حوالى عام ١٣٠١ ق . م وقد أظهر للوهلة الأولى ما يشير إلى حكم ممتاز . وكان من غير نزاع أرشق الفراعنة الذين حكموا مصر ، وقد امتزجت هذه الروعة الملكية بنشاط وافر لا مثيل له ، وهناك تمثال من الجرانيت فى تورين يمثله وهو شاب وتظهر به ملامحه المصوغة فى رقة وأنفه الأقنى ولم يشأ النحات فى الدولة الحديثة أن يلمح النار التى تتأجج فيه حين جعل هذه الملامح ذات تأثير رقيق محبب . . . هذه النار نار المطامع التى تخلق وتصور هى التى

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٧

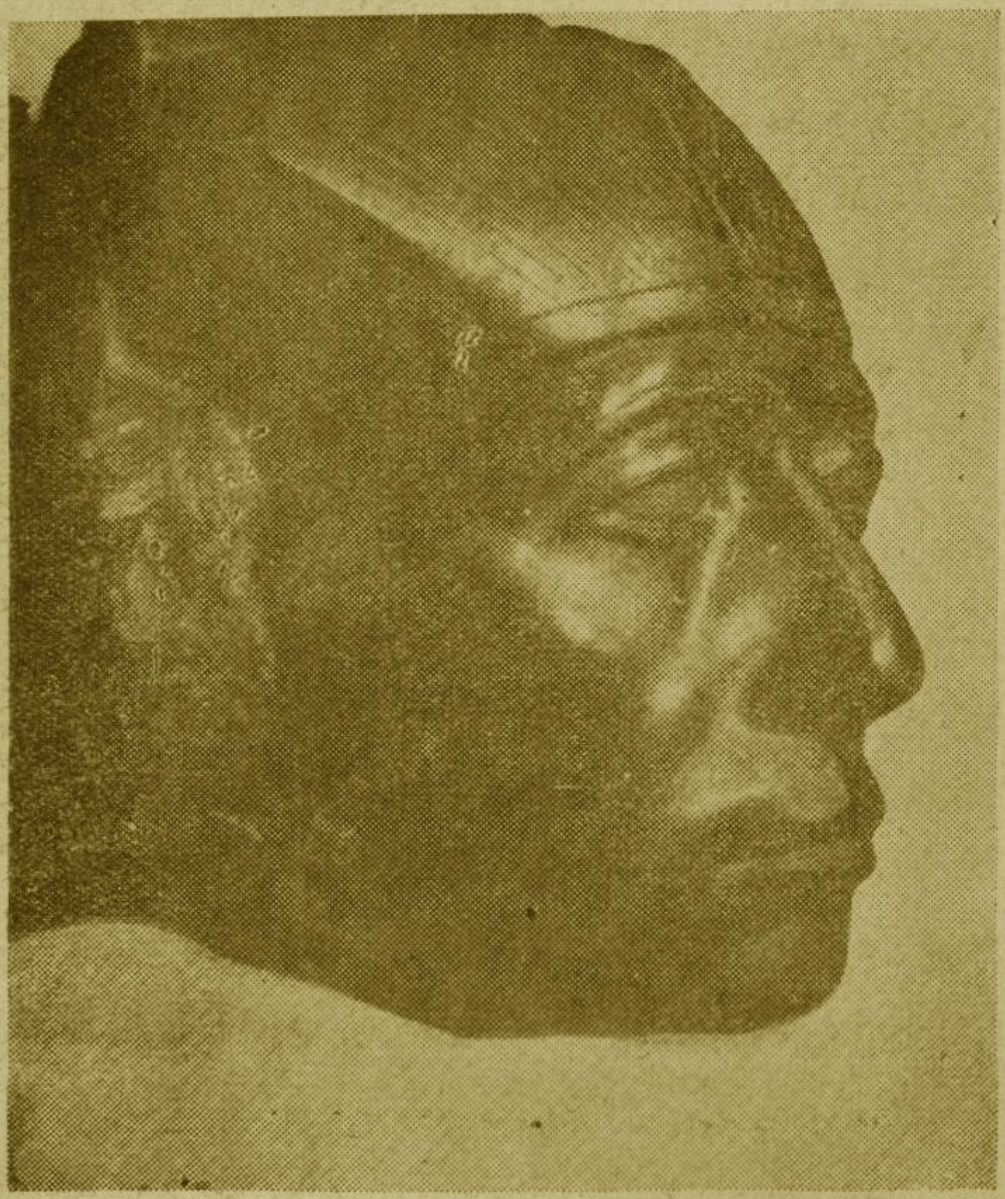

رأس من الأوبسديان هو صورة حتة لأحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد يكون « أمنمحات » الثالث .

www.ibtesama.com/vb

لوحة ٣٨

الجزء الأعلى من تمثال ضخم من الجرانيت للملك « رمسيس » الثانى ، من معبد الرمسيوم ، بطيبة ، يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار . «المتحف البريطاني»

www.ibtesama.com/vb

تميز رعمسيس من بين ملوك مصر وترفعه فى أذهان البشر إلى مرتبة الخالدين كملك لمصر بغير منازع .

حين ولى رعمسيس عرش مصر كان هناك بعض الأمل فى استعادة الامبراطورية الآسيوية التى ضاعت فى أخريات الأسرة الثامنة عشرة ، وفى متابعة الحملات التى أشهرها أبوه سيتى الأول ضد فلسطين وسوريا واتجه رعمسيس بقصد تحقيق هذا العمل الذى بدأه أبوه سار نحو الشمال بجيشه فى العام الخامس من حكمه ليلقى أشد أعدائه مراساً فى سوريا وهم الحيثيون . وبلغ الصراع أشده فى معركة قادش المشهورة على الأورونت وهى التى ذكرناها فى صفحة ٢٠ والتى كادت تنتهى بالهزيمة بسبب قلة تجربته وتهوره ، ولكن روح فرعون التى لا تغلب حولت الكارثة إلى نصر ، إذ استطاع بمعونة حرسه أن يشن على الحيثيين تلك الغارة الساحقة التى خلد ذكرها المصريون فيما بعد فى ملحمة رائعة . ولا بد أن رعمسيس كان يبدو إلها حين بدأ يهاجم أعداءه وهو فى عربته التى تجرها خيوله المطهمة ، وريشها لا يستقر فوق رأسها ، وقوسه الكبير يرسل السهم تلو السهم نحو قلوب « أولئك التعساء الذين لا يعرفون الله » ، وتصفه الملحمة كأنما هو :

« بطل بغير مثيل ذراعاه قويتان وقلبه جسور . جميل الصورة مثل أتوم . .

منتصر فى كل الأراضى . لا يستطيع أحد أن يرفع سلاحا ضده . هو حافظ لجنده ودرع لهم يوم القتال . هو حامل قوس لا نظير له وهو أقوى من مئات الألوف مجتمعين . . . لا يستطيع ألف رجل أن يقفوا أمامه . ويصيب الأعماء منه آلاف حين يتطلعون نحوه . هو يبعث الرعب حين يصرخ عالياً أنه يجعل قلوب الأجانب تهن كما يفعل الأسد المتوحش فى وديان الصحارى . . . أنه هو الذى ينقذ جيشه ويحمى حرسه ويخلص جيوشه . . قلبه كجبل من التبر . . . أنه الملك رعمسيس »[1].

ورغم ذلك فإن الحرب كانت سجالا وكانت خسائر الجانبين بالغة الضخامة ورغم أن رعمسيس تابع الصراع مدى عدة سنين ضد الحيثيين إلا أن أقدامهم كانت من الثبات فى سوريا بحيث كان يصعب اقتلاعها ومن هنا لم يكن أمام مصر سوى أن تقنع بالتمسك بفلسطين وحدها . وأخيرا نرى أنه فى السنة الحادية والعشرين من حكمه تتوقف الاعتداءات بينه وبين الحيثيين وتعقد معاهدة سلم هى أول معاهدة دولية عرفت فى التاريخ وهكذا نرى أن مصر كقوة عالمية تجد أمامها فى الميدان ندا وسيأتى وقت قريب نراها لا تطمع فى توسيع رقعة الامبراطورية بل

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

تضطر إلى الدفاع عن كيانها ضد العدوان الأجنبى .

ولا بد أن خيبة الأمل كانت شديدة بالنسبة لرعمسيس أنه كان يعدل وربما يفوق أسلافه فى الأسرة الثامنة عشرة من ناحية المطامع والعزيمة وهو كان يستطيع فى ظروفهم أن يبعث بجيوش مصر إلى أبعد مما فعلوا . . ولكنه ولد فى عصر غير عصرهم مما جعل الظروف لا تساعده على تحقيق أحلامه . وكان لابد له أن يجد مخرجاً لنشاطه الذى يفوق نشاط البشر .

ومن هنا كان عصر البناء الذى يحيرنا حتى فى عصرنا الحديث فقد أقام فى أنحاء مصر المعبد بعد المعبد والتمثال الضخم وراء التمثال الضخم فى أحجام لم يعرفها التاريخ المصرى وهى ترجمة لرغبات فرعون فى الخلق وجدت منفساً لها فى الأحجار ففى طيبة فى مصر (لوحة ٢١ شكل ١) أو فى أبو سمبل فى النوبة البعيدة تذهلنا تماثيل رعمسيس بأحجامها البالغة الضخامة وهى قائمة تمسك بشعائر أوزيريس أو تمثل الملك جالساً وتاج مصر المزدوج فوق رأسه . ونراه يقص من آن لآخر أنباء معركة قادش التى أمر بنقشها على جدران المعابد ويعاود ذكر أعماله التى تنم عن جرأة بالغة فى ذلك اليوم ولم يقتصر نشاطه على بناء المعابد فقط ففى الركن الشمالى الشرقى من الدلتا نراه يقوم بانشاء مدينة جعل منها عاصمة له سماها « بيت رعمسس العظيم فى الانتصارات » وهى «رمسس» التوراة

www.ibtesama.com/vb

فى الغالب ويقول أحد شعراء تلك الأيام الخوالى « ما أجمل يوم حضورك » .

« وما أرق صوتك حين تتكلم .. حين شيدت «بيت رعمسس المحبوب من أمون » عند أول البلاد الأجنبية وآخر مصر . المدينة بشرفاتها الجميلة وقاعاتها الخلابة من اللازورد والفيروز .. المكان الذى تستقر فيه عرباتك .. والمكان الذى يحتله مشاتك والمكان الذى تستقر فيه فى الميناء سفن جيوشك حين تحضر لك الجزية ».[1]

هذا النشاط البنائى المذهل فى ضخامته وتنفيذه هو أحد التعبيرات المادية عن شخصية رعمسس الجبارة الذى اضطر إلى اللجوء إلى التعبير عن نفسه بقدر ما وسعه حين لم يستطع أن يمارس نشاطه كشخصية دولية وقضى السنين يفكر فى ماضيه الحربى وفى الاحتفال بيوبيلات فخمة وفى تصميم وإنشاء مبانى حجرية أكثر مما فعل وقد عول كوريث لمجد فراعنة مصر على أن يصبح أعلاهم ذكرا . . ولقد نجح فى هذه الناحية . فلما مات فى نهاية الأمر بعد حكم امتد ستة وستين عاما وخلف ١١١ إبناً و ٥١ فتاة كاد يطمس ذكرى أولئك الحكام . . ومن هذا الحين يعرفه العالم كـ « أوزيماندياس ملك الملوك » « الملك الشمس » لمصر القديمة .

---

(١) ترجمة أرمان وبلاكمان السابقة .

www.ibtesama.com/vb

فهرس الموضوعات

صفحة

مقـــدمة . ٩
لمحة عن تاريخ مصر
الفصل الأول ٢٥
فرعون ، الإله الطيب
الفصل الثـانى ٥٢
الرياضة والمرح
الفصل الثالث . ٧٦
الآلهة وعبادتها
الفصل الرابع . ١٠٦
الكتاب الممتازون
الفصل الخامس ١٣٥
دفنة جليلة بالجبانة
الفصل السادس . ١٦٥
العمال والصناع
الفصل السابع .. ١٩٧
المجرمون الكبار
الفصل الثامن ٢١٦
كنوز الماضى
الفصل التاسع ٢٣٧
روح مصر

www.ibtesama.com/vb

فهرس الصور

لوحة		صفحة
	«... حين أكون بين الملوك العدول القائمين أمام آمون رع، ملك الآلهة، وأمام أوزيريس، سيد الأبدية!» (لوحة المقدمة).	٥
١	(شكل ١) منتو، إله هرمونتيس، وهو إله الحرب. (شكل ٢) آمون رع، الإله الأعظم لطيبه	٢٦
٢	قاعة العرش فى قصر أخناتون بالعمارنة	٢٧
٣	زوج من الأساور الذهبية	٣٧
٤	(شكل ١) مبخرة من البرونز. (شكل ٢) عدد من المزامير (الزمارات) المصرية.	٣٨
٥	(شكل ١) تمثال من الخشب الملون لفتاة تعزف على الجنك. (شكل ٢) صلاصل من البرونز.	٥٦
٦	رسم من جدار مقبرة يمثل نبيلا مصرياً يصيد الطيور	٥٧
٧	(شكل ١) رسم مجدد للغرفة الرئيسية فى منزل الوزير نخت. (شكل ٢) رسم تخطيطى لمنزل الوزير نخت بالعمارنة	٦٢
٨	مقطع لأحد المنازل الخاصة بالعمارنة (رسم مجدد)	٦٣
٩	(شكل ١) نافذة حجرية ذات فتحات طولية. (شكل ٢) منزل الوزير «نخت» بالعمارنة	٨٨
١٠	منظر داخل منزل الوزير «نخت» بالعمارنة	٨٩

www.ibtesama.com/vb

١١ رسم من إحدى المقابر المصرية ، يمثل مأدبة . ٩٨
١٢ تمثالان جالسان لأحد النبلاء ومعه زوجته . ٩٩
١٣ (شكل ١) مسند رأس من العاج ٢١٩
(شكل ٢) شعر مستعار لإحدى السيدات المصريات
١٤ (شكل ١) إناء من زجاج متعدد الألوان من العمارنة . ١٢٠
(شكل ٢) قلادة من حبات القاشانى المزجج .
١٥ مكاحل ذات أشكال مختلفة . . . ١٢٩
١٦ صندوق أدوات الزينة لإحدى السيدات المصريات . . ١٣٠
١٧ (شكل ١) إناء للنبيذ من الفخار . ١٤٨
(شكل ٢) أجزاء ماصة (سيفون)
١٨ (شكل ١) تمثال صغير من البرونز لأوزيريس . ١٤٩
(شكل ٢) تمثال صغير من البرونز لإيزيس ـ حتحور .
١٩ (شكل ١) مومياء أحد العجول المقدسة من العصر الرومانى ١٥٨
(شكل ٢) قطة من البرونز تتحلى بأقراط من الذهب .
٢٠ إله مصرى يخرج فى مهرجان محمولا على الأعناق . ١٥٩
٢١ (شكل ١) معبد الرمسيوم فى طيبه . ١٧٩
(شكل ٢) أحد تمثالى ممنون فى طيبه
٢٣ مثال من الكتابة الهيروغليفية . ١٨٠
٢٣ صفحة من بردية هيراطيقيه (دوربنى) . ١٩٠
٢٤ لوحات كتابة وأقلام . ١٩١

www.ibtesama.com/vb

٢٥ لوح للكتابة من الخشب . . . ٢٠١
٢٦ (شكل١) خاتم بأعلاه جعل لكبير كهنة بتاح «بتاح موسى» ٢٠٢
(شكل ٢) مومياء أحد كهنة آمون
٢٧ (شكل١) التابوت الداخلى للسيدة «حنت محيت» . ٢١١
(شكل٢) مومياء الكاهنة الموسيقية «كانبت» .
٢٨ تماثيل «أوشبتى» من عصور مختلفة . ٢١٢
٢٩ رسم وكتابة من كتاب الموتى . ٢١٩
٣٠ فتح الفم . ٢٢٠
«إنى أفتح فمك بالساحر العظيم»
٣١ (شكل ١) فأس من الخشب . ٢٣١
(شكل ٢) منجل من الخشب .
٣٢ نقل تمثال ضخم فى عصر الدولة الوسطى . ٢٣٢
٣٣ تابوت الملك «أنتف» الخامس . ٢٤٢
٣٤ (شكل ١) منظر للصحراء بالعمارنة . ٢٤٣
(شكل ٢) العمل بالحفائر .
٣٥ (شكل ١) الغرفة الوسطى الرئيسية بأحد منازل العمارنة . ٢٥٢
(شكل ٢) أرضية الغرفة المبينة أعلاه
٣٦ تمثال من الجرانيت للملك «سنوسرت» الثالث . ٢٥٣
٣٧ رأس من الأوبسديان لأحد الملوك . ٢٥٨
٣٨ الجزء الأعلى من تمثال ضخم من الجرانيت للملك رمسيس الثانى ٢٥٩

www.ibtesama.com/vb

تصويب

اكتفينا بتصويب أهم الأخطاء المطبعية ، تاركين بعض الأخطاء التى تبدو لنظر القارىء لأول وهلة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٤	لعرف	لنعرف
١٣	٩	كانَ	كانت
٢٤	١٣	نصر	نصر
٣٦	٥	بمسك	يمسك
٤٤	٢	أفقرت	أقفرت
٤٤	١٤	الجتـــة	الجثـــة
٤٥	١١	جميلتان	جميلتين
٥٣	٤	مكانهم	مكانهم
٥٨	١ و٦	أقارب ؟ =	القارب ؟ :
٥٨	الهامش	أى مجمو وصر	أى مجموع ماحوصر
٥٩	١٤	مثلا	مثال ذلك
٦١	١٥	لنتمشى	لنتمش
٦٤	٦	يستمد	يستند
٨٣	١٥	امحاء	أنحـاء
٨٣	١٧	ى	فى
٩٥	١٣	منها	ومنها
٩٦	١٧	بعد الآخر	الواحد بعد الآخر
١٠٢	١١	الفزم ــ المحببة	القزم ــ العجيبة
١٠٨	١٠	بتجهون	يتجهون
١١٥	١٥	الكنابة	الكتابة

www.ibtesama.com/vb

تـــابع التصويب

صفحة	سطر	خـــطأ	صـــواب
١١٨	١١	حين	حتى
١٢١	١٢	وعدد عديد	وعددا عديدا
١٢٤	١	بدأ	بُدئ
١٣١	٦	با ا ـــ للروجة	باتا ـــ للزوجة
١٣٦	١	أنباع ـــ أنيت	أتباع ـــ أتيت
١٤٠	١٣	ا يته	نهايته
١٤٢	٢	المنطر	المنظر
١٤٧	١٤	تنتهى	تنتهى
١٥٠	١٠	أن	إن
١٦٠	١٥	حوس	حوش
٢٠٣	٥	بنفتح	ينفتح
٢٠٤	١٣	بالانقياء	بالأتقياء
٢١١	لوحة ٢٧	حدث إبدال فى الشرح ، فالشرح الذى تحت شكل (٢) هو لشكل (١) ، وما تحت شكل (١) هو شرح لشكل (٢)	
٢١٥	٥	بقى	بقى
٢٢٢	١٦	أقصى	أقصى
٢٢٣	١٤	إنقاض	أنقاض
٢٢٧	٢	النانية	الثانية
٢٣٩	٢	طريقه	طريقة

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

مطابع
دار الكتاب المصري
٨٢ شارع القصر العيني ت ٢٦٥٨٨

www.ibtesama.com/vb

أهداف هذه المجموعة

* تكوين مكتبة عربية متكاملة ، يجد القارىء العربى فيها كل ما هو بحاجة اليه من المعلومات فى شتى الموضوعات ، معروضة عرضا سهلا ، يتقبله القارىء العادى ، ويجد فيه المتخصص الحقائق والنظريات والأراء مبسوطة بغاية الدقة ، متمشية مع آخر ماوصل اليه العلم فى تلك الموضوعات .

* نشر هذه المكتبة فى أوسع نطاق ممكن ، وذلك بتخفيض السعر قدر الامكان ، واشراك اكبر عدد من الناشرين فى نشرها .

* النهوض بالكتاب العربى من حيث الشكل والموضوع .

* تشجيع عادة اقتناء الكتب وقراءتها .

* الافادة بصورة عملية من جهود العلماء والادباء فى شتى الأمم ، بأتاحة الفرصة أمام القارىء العربى للاطلاع الواسع على ماعندهم .

* افساح المجال أمام الشباب الطامح الى الاشتغال بالعلم والأدب للمساهمة بصورة ايجابية فى النهضة العلمية والادبية .

* تشجيع الناشرين فى مصر والدول الشقيقة على الاقبال على نشر كتب العلم والثقافة العالمية ، وتعويضهم تعويضا مجزيا .

* تجديد النشاط الفكرى فى العالم العربى عن طريق الكتب القيمة التى تحمل اليه العلم والمعرفة .

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

www.ibtesama.com/vb